الرسائل الشعرية

الإهداء

أهدي هذه الرسالة إلى زوجي العزيز لقاء ما بذله من عون وتشجيع.

سعاد عبدالله أبو ركب

شكر و تقدير

يسرني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور فايز القيسي الذي أحاطني بإشعاع نوره العلمي، شعلة منحني إياها من مكتبته الخاصة، وأخرى أرشدني بها، فرعى هذا البحث منذ أن كان فكرة، إلى أن جاء على هذه الصورة، فأخذ بيدي وقدم لي العون والمساعدة، ولولاه ما كان هذا البحث على هذه الصورة.

كما أتوجه بالشكر الفائق إلى كل من الأستاذ الدكتور صلاح جرار، والأستاذ الدكتور سمير الدروبي، والدكتور يوسف القماز على تفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة، وتكرمهم بقراءتها، وإبداء الملحوظات حولها، التي لا شك سوف تضيء لي كثيراً من الجوانب التي لم أتنبه إليها، وتثري قضايا ذات علاقة بها قصر عنها جهدي.

كما أتوجه بالشكر الخالص إلى أساتذتي جميعاً في قسم اللغة العربية وآدابها، الذي أكن لهم كل حب وتقدير وفاء على ما قدموه لي من معونة ونصح و إرشاد لإنجاز هذا البحث.

سعاد عبد الله أبو ركب

فهرس المحتويات

الملخص

الرسائل الشعرية في الأندلس
في القرن الخامس الهجري

سعاد عبد الله أبو ركب

جامعة مؤتة، 2005

تتناول هذه الدراسة ظاهرة الرسائل الشعرية في الأندلس في القرن الخامس الهجري التي انتشرت بين الشعراء الأندلسيين، على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية، حتى أصبحت أحد مظاهر الإشراق الشعري الذي شهده الأندلس آنذاك.

وتهدف هذه الدراسة إلى تحديد مفهوم الرسائل الشعرية وتتبع تطورها وازدهارها وألوانها المختلفة، وبيان أهميتها في الكشف عن كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية والأدبية والعسكرية وغيرها، من خلال تحليل الرسائل الشعرية ببعديها الخاص والعام.

وتتكون هذه الدراسة من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، ففي المقدمة تحدثت عن سبب اختياري هذا البحث ومنهجي في كتابته.

ودرست في الفصل الأول الرسائل الشعرية من حيث مفهومها وأسباب ازدهارها وألوانها.

أما الفصل الثاني فقد تناولت فيه القضايا الخاصة ذات الصلة الوثيقة بذات الشاعر مثل الطلب و الاستمناح والعتاب والاعتذار والتهنئة والاستدعاء والمدح والغزل وغيرها.

وتحدثت في الفصل الثالث عن القضايا العامة التي تتعلق بالأحداث السياسية والاجتماعية والأدبية وغيرها مما تفاعل معه الشعراء وتحدثوا عنه.

وناقشت في الفصل الرابع البناء الفني للرسائل الشعرية من حيث الشكل واللغة والأسلوب وتوظيف الموروث الثقافي وغير ذلك.

أما الخاتمة فقد ضمنتها أبرز النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة.

Abstract

The Verses-Letters in Al-Andalus During
The 5th A.H./ 11th Century A.D.

Su'ad Abu Rukab

Mu'tah University, 2005

This research deals with the verse-letters flourished and spread among a great number of poets belonging to different social backgrounds in Andalucia during the 5th A.H./11th century A.D.

The research comprises an introduction, four chapters and a conclusion. The introduction includes a definition of the research in hand, its aims, and the method being used.

The first chapter defines the concepts of the verses-letters and discusses the factors that had let to their development and flourishing.

The second chapter deals with the personal dimension and presents the main topics that showed how the poets felt in different intuitional situations.

The third chapter discusses the general dimension and presents the most significant public issues that the poets used to write about in their verses-letters.

The fourth chapter tackles the artistic features and lexis of the verses-letters.

In the conclusion the researcher includes the result of his research work.

الفصل الأول

الرسائل الشعرية (مفهومها ونشأتها)

1.1 المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنـا، إنـك أنت العليم الحكيم، وبعد،

فقد ازدهر الشعر في الأندلس في القرن الخامس الهجري ازدهاراً كبيراً، بلغ به أقصى درجات ازدهاره في تاريخ الأندلس الإسلامي، وكان في مقدمة مظاهر هذا

الازدهار شيوع الرسائل الشعرية بين الشعراء على اختلاف طبقاتهم الاجتماعيـة؛ فقد كان الشعراء من الأمراء والوزراء والأعيان وأرباب السيوف وفرسان الكلام يستخدمون الرسائل الشعرية و يتهادون الرقاع الصغيرة التـي تحمـل عبـارات الدعوات والاعتذارات والأهاجي، أو يرفقونها بهداياهم أو يسجلون فيها لمحات من حياتهم، وقد اقتحمت الرسائل الشعرية على النثر كثيراً من أبوابـه وموضـوعاته الخاصة والعامة.

وعلى الرغم من أهمية هذه الظاهرة الشعرية في الأندلس فإنها لم تحظ بدراسة علمية مستقلة تحدد مفهوم الرسالة الشعرية وأبعادها وأهميتها، أو تقف عند أشكالها وأنماطها، أو تتناول الموضوعات والقضايا التي دارت حولها، أو تناقش بناءهـا الفني ولغتها وأساليبها وما إلى ذلك، وجل ما نجده حول الرسائل الشعرية إشارات عامة ومختلفة في بعض الدراسات التي تتناول الشعر الأندلسي.

لهذا سعت هذه الدراسة إلى بناء صورة واضحة القسمات للرسائل الشعرية في الأندلس في القرن الخامس الهجري، من خلال تحقيق الأهـداف التاليـة: تحديـد مفهوم الرسائل الشعرية لغوياً ونقدياً، وتتبع تطور فن الرسائل الشعرية والكـشف عن عوامل ازدهارها ومظاهره المختلفة، وتبيان أهمية الرسـائل الـشعرية فـي الكشف عن كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية والأدبية وغيرهـا مـن مظاهر حياة المجتمع الأندلسي في القرن الخامس الهجـري، وتحليـل مـضامين الرسائل الشعرية بأبعادها العامة والخاصة، ودراسة الجانب الفني واللغوي لهـذه الرسائل، من حيث البناء الفني والأسلوب واللغة وغير ذلك.

وقد جاءت مادة هذه الدراسة في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، تناولت المقدمة أهمية دراسة الرسائل الشعرية وأسباب اختيارها والمنهج العلمي الـذي اعتمـده الباحث في تناولها، وتناول الفصل الأول مفهـوم الرسـائل الـشعرية وأسـباب ازدهارها وألوانها في عصر الدراسة.

وبسط الفصل الثاني القول في القضايا الخاصة ذات العلاقـة الحميمـة بـذات الشاعر وانفعالاته وعواطفه ومشاعره الذاتية التي تناولها الشعراء.

أما الفصل الثالث فقد تناول القضايا العامة التي دارت حولها الرسائل الشعرية، وهي قضايا ومسائل تتصل بالأحداث السياسية والعسكرية والاجتماعية والأدبية وأعلامها التي تفاعل معها الشعراء وعبروا عنها في رسائلهم الشعرية.

ولعله من المفيد الإشارة هنا إلى أن تقسيم مضامين الرسائل الشعرية إلى قسمين: قضايا خاصة وقضايا عامة بحسب أغراضها وموضوعاتها لا يعني الحرفية؛ ذلك أن وشائج القربى بينهما قوية.

وجاء الفصل الرابع في الحديث عن البناء الفني للرسائل الشعرية وما يتصل بذلك من توظيف الموروث الثقافي والديني في الرسائل، إلى جانب استخدام الألوان البلاغية المختلفة التي تسهم في توفير جماليات التعبير.

وقد سلكت الدراسة في معالجة الموضوعات والقضايا التي اشتملت عليها مسلك المنهج العلمي القائم على البحث والتحليل والتعليل، والمستفيد من معطيات المناهج الأدبية المختلفة، مثل المنهج التاريخي والفني والنفسي وغيرها.

وبعد، فإنني أرجو أن أكون قد أسهمت في هذا الجهد المتواضع بشيء فيه خدمة التراث العربي الإسلامي في الأندلس، وأنني لأرجو أيضاً من أساتذتي الكرام الذين نظروا في هذا العمل الذي لا يخلو من هنات وزلات أن يصفحوا عما فيه من قصور، وأن يلاحظوه بعين الرضا الكليلة عن كل عيب، وإلا فحسبي أن بذلت به جهدي وقدر استطاعتي، والله أسأل التوفيق والسداد في القول والعمل.

2.1 مفهوم الرسائل الشعرية:

إن تحديد مفهوم الرسائل الشعرية يقتضي الرجوع إلى المعاجم العربية والوقوف عند الجذر الثلاثي لهذه الكلمة، فلفظة " رسالة " اسم مأخوذ من المادة اللغوية (رسلَ). أ ما المعنى اللغوي لها فهو: (القطيع من كل شيء) أو جماعات الإبل أو (قطيع الإبل يرسل بعد قطيع)، ويقال: (أرسلوا إبلهم إلى الماء أرسالا أي قطعاً)[1].

([1]) انظر : اللسان، العين، مادة " رسلَ " .

وقد تطور مفهوم لفظ رسالة من الاستعمال الحسي إلى الاستعمال المعنـوي، فقد ذكر ابن منظور أن الإرسال يعني التوجيه والاسم الرسالة أو الرسـالة، ثـم تطور هذا المفهوم للفظ رسالة وانطلق من المجال اللغوي ليدل على كـل كـلام يراسل به من بعيد.[2]

وقد ارتبط لفظ رسالة في البداية بديوان الرسائل، إذ كانت ترسل منه الرسـائل إلى أماكن متعددة ووجهات مختلفة ويتولى كتابة الرسائل كاتب متخصص يعـين من قِبل الحاكم.[3]

وقد استقر في أذهان النقاد ومؤرخي الأدب أن الرسالة هي ما ينشئه الكاتـب في نسق فني جميل ويبعث به إلى طرف أخر[4]، ويؤكد ذلك قول أبي الوليد بـن عامر الحِميري [5]في حديثه عن رسالة خاطب بها أباه، حيث يقـول: " فخاطبـت أبي - وقاه الله بي – برسالة فيها بعض أصناف هذه الأوصاف أسأله إباحة الخروج لي فبلغني أملي " [6]، وقد جاءت الرسالة نثراً في نسق فنـي جميـل يـصف فيـه الحميري منظر الربيع.

([2]) القيسي، فايز : أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخـامس الهجـري، دار البـشير، عمان، ط 1، 1998 م، ص77 .

([3]) انظر: ابن الأبار , أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي،(ت658 هـ/ 1259م)، الحلة السيراء، 2ج، تحقيق حسين مؤنس، دار المعـارف، القـاهرة، ط2، 1958 م، ج2 ص373 .

([4]) القيسي، أدب الرسائل، ص 78 .

[5] هو أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن حبيب الحِميري، ولد بأشبيلية من أسـرة ذات جـاه، وأخذ عن علمائها، فتفتقت قريحته الأدبية في سن مبكرة، قتلـه المعتـضد عـام (440 هـ/1048 م) وهو ابن تسع وعشرين سنة . وله كتاب البديع في فصل الربيـع (ابـن سعيد، علي بن موسى، (ت 586هـ/1190م) المغرب في حلى المغرب، 2ج، تحقيـق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ج1، ط3، ج2، ط4، ج1، ص 250).

[6] الحميري، أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر (ت 440 هـ/1048 م)، البديع في فصل الربيع، حققه وقدم له : إبراهيم علي كردي، دار سعد الدين، دمشق، ط 1، 1997 م، ص (32 –33) .

وفي الأندلس لم يعد مصطلح الرسالة مقتصراً على الرسائل النثرية، بـل امتـد ليشمل الرسائل الشعرية، حتى أصبحت هذه الرسائل تجاري الرسائل النثريـة فـي الأهمية، فكان كبار القوم يستخدمون الرسائل الشعرية ويتهادون الرقـاع الـصغيرة تحمل عبارات الدعوات، والاعتذارات، والأهاجي، أو يرفقونها بهداياهم، أو يسجلون فيها لمحات من حياتهم كلها منظومة شعراً، يشبهون فيه أنفسهم بالنجوم والزهـور، حتى أصبحت حياتهم كلها شعراً صرفاً.(7)

و أشار أبو الحكم بن حزم الإشبيلي(8)إلى أن المراسلات كانت تجري بين الشعراء شعراً ونثراً، حيث يقول(9) :

وبيننا فِقَر يجري المزاحُ بـها كالغُنج في أعينٍ مرضى بها حـورُ

نثراً ونظماً من الآداب بينـهما سـحرُ البـلاغةِ منـظوم ومنتثرُ

وقد استخدم الشعراء عدداً من المصطلحات للدلالة على القصائد الشعرية التي يتم تبادلها بين الشعراء، منها لفظ رسالة، فقد كتب أبو بكر بن عمار(10)قصيدة شـعرية بعث بها إلى ابن زيدون وأطلق عليها اسم رسالة, حيث يقول:

يا برقَ أد رسالتي تفديك نفسي من رسول(11)

(7) أنظر :إميليو غرسيه غمس، الشعر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، ط3 ,، مكتبة النهـضة المصرية، القاهرة، 1969 م، ص 46 .

(8) هو أبو الحكم عمرو بن مذحج بن حزم الأشبيلي، أحد شعراء القرن الخامس الهجري، جرت بينه وبين ابن بسام مراسلات شعرية، وقد أثنى عليه ابن بسام . (ابن سعيد، المغرب 243 ؛ ابن بسام،أبو الحسن علي الشنتريني(ت 542 هـ/1147م) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة 4ق 8ج، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة – بيروت، 1997، ق2، م2،ص596.

(9) ابن بسام، الذخيرة،ق2،م2، ص596 .

(10) هو ذو الوزارتين محمد بن عمار، شاعر مشهور، أصله من قرية شلب، وقـد صـحب المعتمد بن عباد منذ صباه وقتل على يديه إثر خيانته ومحاولته الاستيلاء على مرسـية، (ت599هـ/1202م) (ابن الأبار :الحلة السيراء ج2 ص 131، ابن بسام، الـذخيرة ق2 م1 ص 368، الضبي : احمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت599هـ/1202م) بغيـة الملتمس، دار الكاتب العربي، 1967 م، ص 13، ابن خاقان : الفتح بن محمد بن عبيـد الله الشهير بابن خاقان،(ت 529هـ/1134م)، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، حققـه وعلق عليه : حسين يوسف خريوش، ط الأولى 1998 م، مكتبة المنار، ص 253)

وأطلق ابن زيدون على قصائده الكثيرة التي كان يرسلها إلى أبي الحزم بن جهور – حاكم قرطبة – رسائل حيث يقول: [12]

أفي العدل أن وافتك تترى رسائلي فَلَمْ تَتْرِكْ وضعاً لها في يدي عدْلِ

إن هذا البيت يتضمن إشارة صريحة من الشاعر إلى استخدام لفظة رسالة للدلالة على القصائد التي ترسل إلى طرف آخر.

وقد استخدم الشعراء الأندلسيون مرادفات أخرى للدلالة على الرسائل الشعرية، مثل لفظة "كتاب "، فهذا أبو عامر بن شهيد [13]يصف رسالة كان قد كتب بها إلى جماعة أثناء مرضه:

هذا كِتابِي وكفّ الموت تُزعجُني عن الحياةِ وفي قلبي لكم ذِكرُ[14]

كما ذكر ابن زيدون بأنه سئم المراسلة بالكتب، ويتمنى التحدث إلى محبوبته مشافهة، يقول مناجياً محبوبته ولادة [15]:

---

(11) ابن بسام : الذخيرة ق1 م1 ص 426 .

(12) ابن زيدون، أبو الوليد أحمد بن عبد الله (ت 463 هـ/1070م)، ديوان ابن زيدون ورسائله، شرح وتحقيق علي عبد العظيم، دار النهضة المصرية للطبع والنشر، القاهرة، 1957 م، ص267 .

(13) هو الوزير أبو عمر أحمد بن عبد الملك بن شهيد (ت 426 هـ/1034م)، وهو أول من سمي بذي الوزارتين، وكان من أهل الأدب البارع، وله قوة بديهة، له ديوان مطبوع . (الحميدي, أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الأزدي ,(ت 488هـ/1095م) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس , الدار المصرية للتأليف والترجمة , 1966 م، ص131 ؛ الوائلي، عبد الحكيم الوائلي، موسوعة شعراء الأندلس، دار أسامة للنشر والتوزيع – عمان، ط1، 2001 م، ص179) .

(14) ابن شهيد الأندلسي، أبو عامر أحمد بن عبد الملك (ت 426 هـ/1034م)، ديوان ابن شهيد الأندلسي، جمعه وحققه : يعقوب زكي، راجعه محمود علي مكي، دار الكاتب العربي، القاهرة، ص 107 .

(15)ابن زيدون، الديوان،ص149 .

متى ينوب لساني   في شرحه عن كتابي

كما أشار الشعراء إلى تسمية الرسائل الشعرية بالرقاع، وأكدوا على أنها تـأتي نظماً، فهذا أبو الحكم الإشبيلي يقول مراجعاً عن شعر ورد إليه: [16]

أتى النظمُ كالنظم الذي تزدهي به   عروس من الجوزاء إكليلُها البدرُ

تحـلاتْ لنا منه بخطك رقـعةٌ   هي الروضةُ الغناء كللها الزهـرُ

تحير ذهني في مجاري صـفاته   فلم أدر شعر ما به فهتَ أم سحرُ

وهذا ابن خفاجة يشير إلى كثرة توالي الرقاع الشعرية عليه بقوله فـي رسـالة شعرية: [17]

توالتْ رِقاعُك تترى بِهِ   وشكري لها موكباً موكبا

كما أطلق الشعراء على الرسائل الشعرية لفظ" مهْرق " وهي تعني " الـصحيفة البيضاء يكتب فيها "[18]، وقد أشار إلى هذه التسمية الشاعر أبو بكر محمـد بـن أحمد بن رحيْم [19]بقوله مراجعاً عن رسالة شعرية بعث بهاأحد إخوانه: [20]

زارني من سماءِ فِكْرك روْض   مِثْلَ ما واصلَ الحبيبُ الزيارهْ

مُهْرقٌ جاء في ثيابِ عرُوسٍ   أصبح المجْدُ تاجهُ وسِوارهْ

([16]) ابن بسام، الذخيرة، ق2،م2،ص 590 .

([17]) ابن خفاجة، أبو إسحاق إبراهيم الأندلسي (ت 533 هـ/1235م)، ديوان ابن خفاجـة، تحقيق الدكتور سيد غازي، منشأة المعارف، ط2، 1979 م، ص 118 .

[18] اللسان، مادة "هرق "

[19] أديب بليغ شاعر وناثر، من أهل بيت وزارة، عمل في خدمة المرابطين وكـان مقـدماً مطاعاً في دولتهم . (ابن خاقان، القلائد،ص 337 ؛ الضبي، البغية،ص 52 ؛ ابن سعيد، المغرب،ج2،ص417) .

[20] ابن خاقان، القلائد، ص365 .

كما اصطلح الشعراء على تسمية المراسلة الشعرية بالمخاطبة, كمـا أوردوا لفظ "خطاب " في بعـض رسـائلهم الـشعرية، يقـول الأعمـى التطيلـي [(21)]، مخاطباً[(22)]:

إليك أبياتاً من الشعر قلتها بودي لو أني لـهـنّ كـتـابُ

فإن تتقبلها وتلك مطيـتي فيا من رأى خطباً ثناه خطـابُ

لقد ورد في هذه الرسالة مصطلحان يدلان على الرسالة وهمـا " خطـاب " و"كتاب".

ومن المرادفات أيضاً للفظة رسالة كلمة(الطرس) وقد استخدمها الشعراء كثيراً في رسائلهم الشعرية، ومن ذلك أبيات لابن خفاجة واصفاً لكتاب أتاه[(23)] :

أطرسُك أم ثغر تبسم واضحُ ولفظك أم روض تنفس نافح

كما أشار أبو الحسن بن الجد[(24)]إلى استخدام كلمة (الطـرس) للدلالـة علـى الرسالة بقوله[(25)] :

وراجعْ ولو في صفحة الماء راقماً وطالعْ فيكفينـي مـن الطـرس عنوانُ

---

(21) هو أحمد بن عبد الله بن هريرة القيسي، أبو العباس شاعر أندلسي نشأ في أشبيلية له قصيدة على نسق مرثية ابن عبدون في بني الأفطـس، ت(525 هـ ـ/1130م)، (ابـن بـسام : الذخيرة،ق2، م2،ص728 ؛ ابن سعيد : المغرب، ج2،ص451).

(22) الأعمى التطيلي، أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن أبي هريـرة، ت (525 هـ ـ/1130م)، ديوان الأعمى التطيلي، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة،بيروت 1989 م، ص11 .

(23) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص 79.

(24) هو أبو الحسن بن محمد بن الجد، ترجم له ابن بسام ودعاه أبا الحسين يوسف بن محمد وقال : لولا معاقرة العقار لملأ ذكره البلاد وطبق نظمه ونثره الهضاب والوهاد، (ابـن بـسام : الذخيرة،ق2،م2،ص556، ابن سعيد :المغرب،ج1،ص340) .

(25) ابن سعيد : المغرب،ج1،ص340 .

ومن المصطلحات التي أطلقها الشعراء على رسائلهم الشعرية، لفظة (الـصحيفة) فقد بعث أبو مروان بن شماخ [26]رسالة إلى أحد أصدقائه ضمنها لفظ صحيفة، حيث يقول :

لما وضعتُ صحيفتي في بطن كف رسولها
قبلتـهـا لتمسَـها يمناك عند وصولهـا[27]

كما وردت لفظة صحيفة في رسالة شعرية لأبي حاتم الحجاري[28] مطلقـاً هـذه التسمية على رسالة شعرية وردته من أحد أصدقائه[29]:

وقد أتتني وبعد البطء ما وردت صحيفةٌ لم أنم منها على غرر

ومما تجب الإشارة إليه أن المصطلحات التي أطلقت على الرسائل الشعرية هي نفسها التي استخدمت للدلالة على الرسائل النثرية، ومن ذلك ما ورد في رسـالة لأبي بكر بن عبد العزيز[30]يقول فيها: "أما الود -أعزك الله- فمقيم، والعهد كريم، والإخاء مخيم لا يريم، لكني أخبرك عن حال مختلة، ونفس معتلة،......بما وقفت عليه من كتابك، واستطلعته من خطابك. "[31]

---

[26] هو أبو مروان عبد الملك بن شماخ، من مدينة أشبيلية، إلا أنه تركهـا بعـد أن أخملتـه فأجبرته للبحث عن المجد في غيرها من المدن . (الوائلي، موسوعة شـعراء الأنـدلس، ص 178) .

[27] ابن بسام: الذخيرة، ق1،م2،ص827.

[28] فرد من أفراد العصر وشاعر متصرف في النظم والنثر ... لجـأ إلـى قرطبـة حـين انقرضت أيام ملوك الطوائف واتخذ الطب مهنة. (ابن بـسام، الـذخيرة، ق3، م2، ص 652 – 666؛ ابن سعيد، المغرب ج2، ص 36).

[29] ابن بسام : الذخيرة،ق3،م2،ص770 .

[30] هو أبو بكر بن عبد العزيز،محمد بن عبد الملك اللخمي الإشبيلي المعروف بابن المرخي، اشتهر بالكتابة، وكان محـدثاً، سـكن قرطبـة واخـتص بأميرهـا المـرابط (ت 536 هــ ـ/1141م)، (ابــن بــسام :الــذخيرة، ق2، م2، ص 533 ؛ ابــن ســعيد : المغرب،ج1،ص307 ؛) .

[31] ابن بسام : الذخيرة ق2،م2،ص542 .

كما جاء أيضاً لفظ صحيفة للتعبير عن الرسالة النثرية، فقد ورد في رسالة لأبي الوليد الحميري على لسان الأزهار قوله:"....... وصلتْ إلينا بيعة أشترى بها من سعى فيها وفغر عن فيها (خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبـين)، ولـو استحق الورد إمامة، أو استوجب خلافة، لبادر بها آباؤنا،..... وأما من عقد تلـك البيعة،وكتب تلك الصحيفة، فلم ير له قط صورة ولا تلا من ذمة سورة.... "[32] .

ونخرج مما تقدم إلى القول إن الأندلسيين نقلوا المـصطلحات التـي تـدل علـى الرسائل النثرية مثل: رسالة، وكتاب، وخطاب، و طرس، وصـحيفة، إلـى ميـدان الشعر واستخدموها للدلالة على القصائد والمقطوعـات الـشعرية التـي ينظمونهـا ويرسلونها إلى الآخرين.

فالرسائل الشعرية هي نصوص شعرية، يتبادلها الشعراء فيما بينهم متفاوتة في الطول متعددة في الأغراض، وتشتمل على الخطاب والجواب معاً.

أما الرد على هذه الرسائل فيأتي إجابة أو مراجعة والمراجعة بمعنى المراسـلة الشعرية[33]، وتعني أيضا نظم القصائد والمقطوعات بطريقة مماثلة لقصيدة أخرى في الغرض والوزن والقافية بأوجز عبارة وأرشق سبك وأسهل ألفاظ[34]، إما فـي بيت واحد أو عدة أبيات أو قصائد طويلة، وتشير هدى بهنام إلى أن الأجوبة تشبه المراجعة عند الرد على القصائد بأن ينقد المعنى الوارد في قصيدة السائل لأنه لا يناسب الحالة الموصوفة، أو يجيب عن الرسالة بأبيات تلائم الحالة الموصوفة[35].

ومما هو جدير بالذكر في هذا المجال أن بعض هذه المراجعات تـأتي شـبيهة بالمعارضة الشعرية إذ يراجع الشاعر بجواب واصفاً فيه الرسالة التي وردت إليه، عارضاً لمضمونها، ذاكراً لعدد أبياتها، مبرزاً لمهارته في النظم، مازماً نفسه اتباع

---

(32) الحميري : البديع في فصل الربيع،ص 65 .

(33) مطلوب: أحمد، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان، بيروت, ط 1, 2001 م, م2، ص366.

(34) مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، ص 366 .

(35) بهنام : هدى شوكة، النقد الأدبي في كتاب نفح الطيب، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1984 م، ص 166 .

الوزن والقافية وعدد الأبيات. ومن ذلك أن ابن الدباغ[36] كتب إلى المعتمد بـن عباد[37] –عندما أهين في مجلسه – برقعة في العتاب هي :

يُهانُ بحمصٍ عزيزُ الرجال   ويُعزى إليهم قبيحُ الفعـال

ويغرى ذوو النقص من أهلها   بتلطيخ أعراض أهل الكمال

فوقع المعتمد على ظهر رقعته بهذين البيتين:

شعرت فجئت بـعين المـحال   وما زلت ذا خطلٍ في المقال

متى عز في حمص غير العزيز   أو ذل غير الذمـيم الفعـال[38]

فقد جاءت هذه الرسالة الشعرية التي اتخذت شكل توقيع في مضمون رسالة ابن الدباغ مع التزام الشاعر المجاوب بعدد الأبيات والوزن والقافية، وأحياناً لا يكتفي الشعراء بذلك بل يشيرون في أجوبتهم إلى عدد أبيات الرسالة الواردة إليهم؛ فهـذا الفتح بن خاقان يبعث إلى القاسم ابن السقاط[39] برقعة هي: [40]

([36]) هو أبو المطرف عبد الرحمن بن الدباغ، نشأ في سرقسطة، وتنقل كثيرا، وقد اشتهر بالبلاغة والفصاحة، عمل كاتباً في سرقسطة ثم في أشبيلية لدى المعتمد بن عبـاد.(ابـن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص251؛ ابن خاقان، القلائد، ص314 – 372؛ ابن سـعيد، المغرب، ج2، ص144) .

([37]) هو محمد بن عباد يكنى أبو القاسم , ملك أشبيلية , بويع له بالإمارة بعد أبيه المعتـضد سنة إحدى وستين وأربعمائة , وكان شاعراً مشهوراً ولم يك , في ملوك الأنـدلس قبلـه أشعر منه وقد توفي سنة (488هـ/1095م),(ابن بسام الذخيرة،ق2،م1،ص41؛ ابـن الأبار، الحلـة،ج2، ص 52 ؛ المراكـشي، أبـو محمـد عبـد الواحـد بـن التجيبـي (ت647هـ/1249م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب , تقديم وتحقيق وتعليق محمـد زينهم محمد عزب , دار الفرجاني , القاهرة 1994م، ص93) .

([38]) ابن بسام الذخيرة، ق3،م1،ص253.

([39]) هو أبو القاسم بن السقاط المالقي، نسبة إلى مالقة وهو من ولاة مالقة، (ابـن سـعيد، المغرب،ج1،ص428 ؛ ابن خاقان، القلائد،ص505 ؛ عماد الدين الأصفهاني،أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد بن عبد الله، المعروف بالعماد الكاتب، (ت 597 هـ/1191م)، خريدة القصر وجريدة العصر،4ق، تحقيق عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم، دار نهـضة مصر للطبع والنشر، الفجالة – مصر،ق4،ج2،ص449) .

([40]) ابن خاقان، القلائد،ص513 .

عسى روضةٌ تهدى إلي أنيقـةٌ   تُدبجُ أسطاراً على ظهر مُهْرق

أُحلي بها نحري علاء وسُؤدداً   وأجعلها تـ ـاجاً بهياً بمفرقي

وقد كانت رسالة الفتح بن خاقان دافعاً قوياً من أجل المراجعة، فهو قد بدأها بالتمني والطلب على ابن السقاط بأن يهدي له صحيفة، وأي صحيفة تلك إنها صحيفة مدبجة شعراً، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على شدة تعلق الشعراء بهذه الرسائل.

وقد كان جواب ابن السقاط على هذه الرسالة بيتين من الشعر، يشير فيهما إلى عدد أبيات هذه الرسالة، وما تحمله من مشاعر وأحاسيس، وما تتضمنه من عبارات الشوق واللهفة :

أتتني من شخص العلاءِ تـ ـحيةٌ   كرأدِ الضحى في رونقٍ وتألق

سُطيران في مغزاهما أمنُ خائفٍ   وسلوةُ مشغوفٍ وأنسُ مشـوق

ومما يلفت النظر في رسائل الأهاجي التي كان الشعراء يتبادلونها أنها تتضمن مقطوعات متعددة، ومن ذلك ما بعث به أبو محمد بن حزم إلى أبي المغيرة بن عبد الوهاب[41] إثر مهاجاة بينهما :

تبغ سواي امرءاً يبتغي   سبابك، إن هواك السباب

فإني أبيت طلاب السفاه   وصنت محلي عما يعاب

وأقول:

كفاني ذكر الناس لي ومـآثري   وما لك فيهم يا ابن عمي ذاكـرُ

عدوي وأشياعي كثير كذاك من   غدا وهو نفّاع المساعي وضائرُ

فوقع له أبو المغيرة على ظهر رقعته: "قرأت هذه الرقعة العاقة فحين استوعبتها أنشدتني:

نحنح زيد وسْعل   لما رأى وقع الأسل

فأردت قطعها وترك المراجعة عنها، فقالت لي نفس قد عرْفتَ ذكاءها تـالله لا قطعتها إلا يده، فأثبتُ على ظهرها ما يكون سبباً لصونها وقلت :

نعقت ولم تدر كيف الجواب   وأخطأت حتى أتاك الصواب

وأجريت وحدك في حلبـةٍ   لغـير قرى فأتتك الذئـاب

---

(41) هو أبو المغيرة عبد الوهاب بن حزم، كتب عن عدة من الملوك، ونال حظاً عريـضاً من دنياهم، وشجر الأمر بينه وبين ابن عمه أبو محمد بن حزم، وجرت بينهمـا هنـات ظهر فيها أبو المغيرة وبكته حتى أسكته .(الوائلي، موسوعة شعراء الأندلس،ص 313 – 314) .

وأقول :

وغاصبِ حقٍ أوبقتهُ المقـادر " يذكرني حاميم والرمحُ شاجــرُ "
ألـم تتعلمْ يا أخا الظلمِ أننـي برغمك ناوٍ منذ عشــرٍ وآمـرُ
تذال لي الأملاكُ حُر نفوسـها وأرْكبُ ظهر النسرِ والنسرُ طائرُ
وأبعثُ في أهلِ الزمان شوارداً تألفهم وهي الصعابُ النـوافـرُ[42]

من الملحوظ أن كل رسالة من الرسالتين السابقتين قد جاء في شكل مقطوعتين شعريتين، فقد جاءت الرسالة الأولى على البحر المتقارب، أما الرسالة الثانيـة فجاءت على البحر الطويل، وقد التزم أبو المغيرة بن حزم النهج نفسه الذي أتبعه أبو محمد في الوزن والقافية .

كما أن أبا المغيرة قد التزم مضمون ما جاء به أبـو محمـد بـن حـزم فـي المقطوعتين، فمضمون الرسالة في المقطوعة الأولى هو الهجاء أمـا المقطوعـة الثانية فمضمونها الفخر ومديح الذات، وقد اتبع أبو المغيرة النهج نفسه في جوابـه على الرسالة .

كما أجاب ابن خفاجة على شعر ورد إليه بقوله[43] :

ومعرض لي بالهجاء وهُجرهِ جاوبته عن شعره في ظهرهِ

وبجوابه هذا أشار إلى أنه أجاب عن الهجاء على ظهر الرقعة .

ويمكننا القول إن الرقاع التي يأتي الجواب فيها موقعاً على ظهر الرقعة نفسها، يكون ذلك في مواضع الإهانة والتحقير، ومضمونها على الأغلب الهجاء، وهنـاك العديد من الأمثلة تدعم هذا الرأي وتعززه[44] .

---

[42]) المقري، أحمد بن محمد التلمساني(ت1041 هـ/1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 8ج، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيـروت، 1968 م، م1،ص80 ؛ ابـن بسام، الذخيرة،ق1،م1،ص165 .

([43]) ابن خفاجة، الديوان،ص352 .

([44]) انظر على سـبيل المثـال (ابـن بـسام ؛ الـذخيرة،ق3،م1،ص253 ؛ابـن سـعيد، المغرب،ج2،ص371) .

ومما تجب الإشارة إليه أن تقاليد تبادل الرسائل الشعرية تقتضي وجوب الـرد على الرسائل الشعرية المرسلة حتى إننا نجد في بعض الرسائل أن الطلب بـالرد على الرسالة يأتي ضمن الأبيات المرسلة، وأحياناً نرى أن بعض الشعراء قـد لا يتسنى له الإجابة على الرسالة لانشغاله بأمر آخر فيبعث له المرسل برسالة أخرى تذكره بوجوب الرد، وتطلب منه الجواب على الرسالة السابقة، ويمكن التمثيل على ذلك برسالة بعث بها أبو محمد بن عبدون[45] لأبي العلاء[46]، فتخلف أبو العـلاء لشغلٍ عرض له فخاطبه ابن عبدون برسالة أخرى منها هذه الأبيات [47]:

نصيبي من الدنيا مودة ماجـدٍ أهـيمُ بـه سـراً وأخـدمه جـهـرا

له الخير إن يأذن أقل غير عاذلٍ وإن يأب أسكت عنـه لا طالبـاً عذرا

خطبـتُ إليهِ من هواهُ عـقيلـةً وأعطيت من شكري واغل بـه مهرا

فأطرق لم ينبس بحرف ولم يعـد إلي جـوابا منـه نظـماً ولا نثـرا

وما الصمتُ في هذا المكان بسنـةٍ فإنـي لـم أخطـب مودتـه بكـرا

([45]) أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري , أديب وشاعر ,مـن أهـل مدينـة يـابرة , استوزره بني الأفطس إلى انتهاء دولـتهم (ت527هـ ـ/1132م) . (ابـن خاقـان : القلائد، ص417, ابن بسام , الذخيرة، ق 2،م2، ص(668- 727) .

([46]) هو العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر الأيادي , فيلسوف عصره وحكيمه توفي عـام (525هـ-1130م) .(ابن دحية , أبو الخطاب عمر بن حـسن(ت 633هـ ـ/1235م) المطرب من أشعار أهل المغرب تحقيق إبراهيم الابياري وحامد عبد المجيـد , وأحمـد بدوي , راجعه طه حسين، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ,1997, ص203 .

([47]) ابن عبدون، ديوان عبد المجيد بن عبدون اليابري (الشعر والنثر) مع دراسة لأدبـه، إعداد وتحقيق سليم التنير، دار الكتاب العربي، دمشق، ط1، 1988 م . ص132 –133 .

ومما يدل أيضاً على وجوب إحضار الرد حتى مع حضور الشخص نفسه استجابة للدعوة أن الحسن بن الغليظ[48] كتب إلى ابن السراج المالقي [49] يقول:

يا من أُقلبُ طرفي في محاسنه فلا أرى مثلهُ في الناس إنسانا

لو كنت تعلم مالاقيت بعدك ما شربتَ كأساً ولا استحسنتَ ريحانا

فجاء من حينه وقال : " أردت مجاوبتك فخفت أن أبطئ فصنعت الجواب في الطريق". [50]

ومن ذلك أيضاً ما ورد في أخبار ابن عمار عندما كتب إليه الوزير أبو مروان عبد الملك بن رزين[51]، يدعوه إلى حضور مجلس أُنس , فعندما وصلته الرقعة تأخر عن الحضور واعتذر بعذرٍ مختل المعاني والفصول , فعلل أحد الحاضرين تأخره بتأخر الجواب ؛ "لأن الوصول بلا جواب إخجالٌ لأدبه , وإخلالٌ لمنازله في الشعر ورتبه ".[52]

ونتوصل مما سبق إلى حتمية الإجابة على الرسائل الشعرية ؛ إذ لا يمكن أن يبعث المرسل برسالة إلا وهو في انتظار الجواب .

3.1 نشأة فن الرسائل الشعرية وتطوره :

---

(48) هو صاحب ابن السراج ومنادمه, جرت بينه وبين ابن السراج مراسلات ومكاتبات , وهو من شعراء المائة الخامسة . (ابن سعيد، المغرب،ج2،ص425) .

(49) هو عبد الله بن السراج من أهل مالقة , قال ابن بسام عنه أنه شاعر بني حمود . (ابن سعيد , المغرب،ج2،ص434 ؛ الحميدي، الجذوة، ص61) .

(50) ابن بسام , الذخيرة،ق1،م2،ص877 ؛ المقري، نفح الطيب،م3،ص399.

(51) هو أبو مروان عبد الملك بن رزين بن هذيل بن رزين، صاحب مملكة السهلة، وقد أخذ ولايتها عن والده، ولما توفي عام(496 هـ/1102م) ولي بعده أبنه .(ابن سعيد، المغرب ج2، ص428 ؛ ابن خاقان، القلائد،ص157 ؛ ابن دحية، المطرب 39 ؛ ابن بسام , الذخيرة،ق3،م1ص109 ؛ العماد الأصفهاني، الخريدة ق4،ج2،ص308-312).

(52) ابن خاقان , القلائد، ص159, المقري , ؛ ابن دحية، المطرب،ص39 ؛ نفح الطيب، م1، ص668 .

لقد ظهر فن الرسائل الشعرية في الأندلس في بدايات العصر الأمـوي علـى شكل توقيعات شعرية من الملوك وقد انتشرت هذه التوقيعات فيما بعد على شـكل رسائل شعرية، فقد روي أن بعض الوفود من قريش كتب إلى الإمام عبد الرحمن الداخل يستعظم حظه منه، ويطلب إليه زيادة نصيبه من المال، فوقع على ظهـر رقعته أبياتاً منها : (53)

شتان من قـام ذا امتعـاض ... مُنْتَضي الشفرتين نَصـْلا
فجاب قفـراً وشـق بـحـراً ... مُساميـاً لجـةً ومَـحـلا
فشـاد مجداً وبز مُلـكـاً ... ومنبراً للخطـاب فصـلا
ثـم دعا أهله جمـيـعـاً ... حيـث انتأوْا: أن هلم أهلا
فجاء هـذا طـريـد جـوع ... شريـد سيفٍ أبـاد قتـلا
فـنال أمنـاً , ونـال شِبـعاً ... وحاز مالاً, وضـم شمـلا
ألـم يكـن حـقّ ذا على ذا ... أعظم من منـعمٍ ومولـى

وعلى الرغم من أن هذا الفن كان في القرون الأولـى مـن الوجـود العربـي الإسلامي قليل الشيوع والانتشار فقد سجلت لنا كتـب الأدب بعـض الرسـائل المتبادلة بين الشعراء , ومنها رسالة بعث بها محمد بن أبي عبده (54) إلى صديقه ابن عبد ربه يقول فيها:

أعدها في تصابيها جزاعـاً ... فقد فضت خواتمها نزاعـاً
قلوب يستخف بها التصابي ... إذا سكبت لها طارت شعاعاً

فأجاب ابن عبد ربه بأبيات منها :

حقيقٌ أن يصاخ لك استماعا ... وأن يُعصى العذول وأن تطاعا

---

(53) ابن الأبار , الحلة،ج2،ص 39- 40 .

(54) هو محمد بن عبيد الله بن أبي عبده , أديب شاعر من أهل بيت أدبٍ ورياسة . (الحميدي, جذوة المقتبس،ص66) .

متى تكشف قناعك للتصابي   فقد ناديت من كشف القناع[55]

وقد جاءت الأبيات على بحر الوافر كما التزم ابن عبد ربه البحر الذي جاءت عليه الرسالة الأولى وقافيتها, غير أنه لم يلتزم بعدد الأبيات .

وكتب القاضي منذر بن سعيد البلوطي [56]إلى أبي علي القالي البغدادي بهذين البيتين يستعير منه كتاباً: [57]

بحق ريم مهفهف   وصدغه المتعطفْ

ابعث إلي بجزء   من الغريب المصنفْ

فأجاب أبو علي بعد أن قضى حاجته بثلاثة أبيات هي :

وحق در تألقْ   بفيك أي تألُقْ

لأبعثن بما قد   حوى الغريب المصنفْ

ولو بعثت بنفسي   إليك ما كنتُ أُسرفْ

ويبدو لنا أن الشاعرين في هاتين الرسالتين الشعريتين كأنما يتحدثان حديثاً نثرياً, لولا التزام الوزن والقافية, كما أننا نرى أن هذا الفن التوجه بالطلب من خلال رسالة شعرية قد ظهر في هذه الفترة .

ومن هنا نقول إن هذه الرسائل ورسائل شعرية أخرى قيلت في مواقف شتى, مثل الدعابة والفكاهة, ورسائل الدعوة إلى مجالس اللهو وغيرها, كانت نواة لفن المراسلات الشعرية فيما بعد، الذي كُتب لها بعد ذلك الذيوع والانتشار.

4.1 طريقة إرسال الرسائل الشعرية:

([55]) الحميدي، جذوة المقتبس، ص66.

([56]) هو أبو الحكم منذر بن سعيد , يعرف بالبلوطي , نسبة إلى موضع قريب من قرطبة يقال له فحص البلوط، وقد كان عالماً فقيهاً وأديباً بليغاً وخطيباً على المنابر أيام الحكم المستنصر .(الحميدي , جذوة المقتبس، ص348) .

([57]) المقري، نفح الطيب، م2، ص20 .

لقد كان الشعراء يحملون رسائلهم الشعرية رسلاً من الشعراء والكتاب والخدم والجواري وغيرهم ممن يتميزون بالذكاء والفطنة والمعرفة ، وكانت مهمتهم نقل نقل تلك الرسائل وإحضار الإجابات عليها ، يقول ابن حزم الأندلسي :

رسولُك سيفٌ في يمينك فاستجد حُساماً ولا تضربْ به قبل صقله [58]

وقد رأينا الحسن بن الغليظ وابن السراج قد استخدما بينهما رسولاً شاعراً يحمل رسائلهما، وقد ذكر أبو علي أنه أرسل إلى ابن السراج رسالة شعرية مع رسوله، فألفاه سكران فكتب الرسول إليه رسالة أولها [59]:

يا صديقي شُغلتُ عنك بخطبٍ لمْ يكنْ لي بتركِه مِن سبيل

وقد أشار إلى هؤلاء الرسل بعض الشعراء منهم المعتضد بن عباد [60] في رسالة كتب بها إلى أبيه محمد بن إسماعيل بن عباد [61]، حيث يقول [62]:

وما هزني إلا رسولك داعياً فقلت: أمير المؤمنين مُجابُ

كما أشار إلى هؤلاء الرسل ابن زيدون عندما قال[63]:

---

(58) ابن حزم الأندلسي , أبو علي بن أحمد بن سعيد , طوق الحمامة في الألفة والآلاف،ضبط نصه وحرر هوامشه , الطاهر أحمد مكي , دار المعارف -القاهرة , 1985،ص11 .

(59) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2،ص871 .

(60) هو أبو عمرو عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي, ثاني أمراء الدولة العبادية بإشبيلية .ولي بعد وفاة أبيه سنة (439هـ/1047م), وقد اتسم حكمه بالعدل وحسن التدبير , (انظر: المراكشي , المعجب، ص89 ؛ ابن دحية, المطرب, ص12؛ ابن بسام , الذخيرة،ق2،م1،ص23) .

(61) هو محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي القاضي، أبو القاسم " وكان القاسم بن حمود قد اصطنعه بعد مهلك أبيه إسماعيل ورد عليه ميراثه من قضاء بلده، فخانه تخون الأيام، وصده عن إشبيلية بلده لما قصده من قرطبة مفلولاً . (ت 433هـ/1041م) (انظر : ابن الأبار، الحلة،ص 34 – 39) .

(62) ابن الأبار , الحلة، ج2،ص46 .

(63) ابن زيدون , الديوان،ص191.

فهلا عُدتَني _ إذ لـم تعـود بشخـصك_ بالكتـاب أو الرسول

كما أشار الراضي بن المعتمد(64)إلى الرسول في رسالة شعرية بعث بها إلـى أبيه معتذراً: (65)

بعثتُ برُقعتي هذي رسولاً صغير السن ليس لهُ حويلُ

وكان قد بعث برقعته هذه مع ابنه الصغير.

على أنه لم يكن الرسل وحدهم الطريقة المستخدمة لتبادل الرسائل, فقـد عمـل الأندلسيون على تدريب الحمام الزاجل، واستخدامه لنقل الرسائل وتبليغهـا, وقـد أشار ابن حزم إلى ذلك بقوله " وإنني لأعرف من كانت الرسول بينهمـا حمامـة مؤدبة" (66) كما ورد عن المعتصم بن صمادح أنه بعث إلى إحدى زوجاته برقعـة طيرها إليها في جناح حمامة وكتب فيها (67):

وحملتُ ذاتَ الطوق مني تحيةً تكون على أُفْق المرية مِجْمرا
تُبلغ من وُدي إليكم رسائـلاً بأعبقَ من نَشْر العبير وأعطرا

5.1 أسباب انتشار فن المراسلات الشعرية :

تعد **روابط الصداقة القوية** التي كانت تربط بين الشعراء وأقرانهم مـن أكثـر الدواعي لنظم الرسائل الشعرية، فنرى ابن زيدون يتذكر أيامه الجميلة ببلنسية مع

---

(64) الراضي بالله يزيد ملك رندة، ابن الملك الشاعر المعتمد بـن عبـاد، وكـان أبـوه ولاه الجزيرة الخضراء وضم إليه رندة الغراء، وقد حاصره فيها المرابطـون وقتلـوه حـين اغتصبوا الملك من أبيه. (الوائلي، موسوعة شعراء الأندلس،ص 131 – 132) .

(65) ابن الأبار , الحلة , ج2،ص72 .

(66) ابن حزم , طوق الحمامة، ص11.

(67)ابن الأبار , الحلة،ج2،ص84 , ابن خاقان : القلائد،ص156.

صديقه الوفي أبي عبد الله بن عبد العزيز[68]، فيكتب إليه رسالة شعرية منها هـذه الأبيات: [69]

أفضيضُ مسكٍ أم بلنســيةٌ لرياها نميمْ

بلد حبـيب أفقُهُ لفتـى يـحُلُ بـه كريم

إن عيلَ صبْري من فِراقِك فالعذابُ بهِ أليمْ

كما وصفت لنا المصادر الأندلسية كثيراً من مظاهر الصداقة والإخاء والمودة بين الشعراء، وقد ذكر ابن بسام في معرض حديثه عن أبي علي الحسن بن الغليظ و ابن السراج المالقي واصفاً صداقتهما، حيث يقول: " فقد كان صـاحبه الكثيـر الاتصال به والمنادمة له "[70]، ومن يعود إلى المصادر الأندلسية يجد أنه قد دارت بينهما كثيراً من المراسلات الشعرية في مضامين شتى، منها الدعوة إلى مجـالس الأنس، ومن ذلك الرسالة التي بعث بها الحسن بن الغليظ إلى صديقه الوفي ابـن السراج[71] :

يـــا خليلاً صفا وكدر يومي	**هل إلى الطّيب في غدٍ من سبيل ؟**
لو تراني أُسارقُ اللحظ خلي	**وأُسـَقّى من ريـقه المعـسُـول**
يا خليلاً مِثالُه نُصْـب عيني	**لو خــانونا إذن شَـفيتُ غليـلي**

كما كتب ابن السراج إلى صديق لهما عندما كانا في ذلـك المجلـس برسـالة شعرية منها هذان البيتان[72] :

هل لك في الشربِ يا أبا الحسن	**في منزلٍ طيبِ الثرى حسن**
أرجاؤه لا تــزالُ دائرةً	**بواكفٍ من مياهه هتـن**

([68]) هو الوزير الكاتب محمد بن مروان بن عبد العزيز، وزر لبني عبـد العزيـز أمـراء بلنسية، وبعد أن ملك ابن ذي النون بلنسية، استخلف عليها أبا عبد الله هذا، ثم انتقل أمرها بعد وفاته إلى ابنه أبي بكر . (انظر : ابن الأبار، الحلة،ج2،ص 129) .

([69]) ابن زيدون، الديوان، ص 201 – 202

[70] ابن بسام، الذخيرة،ق1،م2،ص870.

[71] ابن بسام، المصدر نفسه،ق1،م2،ص871 .

[72] ابن بسام, المصدر نفسه،ق1،م2، ص874.

ولم تقف المراسلات الشعرية بين الأصدقاء عند حد الدعوة إلى مجالس الأنس، فقد استخدمها الشعراء في الطلب والاستهداء، والتهنئة بقدوم المولود أو بـ الزواج، كما استخدمها الشعراء أيضاً في التهنئة بالقدوم من السفر، فقد كتب رفيع الدولـة بن صمادح[73] إلى الفتح بن خاقان يهنئه بقدومه من السفر[74]:

قدمت أبا نصرٍ على حال وحشةٍ فجاءت بك الآمالُ واتصلَ الأنسُ

وقرت بك العينان واتصل المنى وفازت على يأسٍ لبغيتها النفـسُ

فأهلاً وسهلاً بالوزارات كلـها ومن رأيه في كل مظلمة شمـس

فمن خلال تلك الرسائل الشعرية الإخوانية يتم تبادل معاني المودة والصداقة التي تسهم في توثيق العلاقات بين المتخاطبين.

أما السبب الثاني من أسباب ازدهار فن المراسلات الشعرية فهو شيوع ظاهرة التشرد والترحال وعدم الاستقرار التي عانى منها كثيـر مـن أبنـاء المجتمـع الأندلسي؛ فقد تعرض المجتمع في الأندلس لاهتزازات عنيفة في القرن الخـامس الهجري أهمها فتنة قرطبة التي أدت إلى سقوط الخلافة، وتنازع ملوك الطوائـف على البلاد، إضافة إلى دخول المرابطين في أواخر هذا القرن، وما أحدثه ذلـك من أثر كبير على المجتمع بشكلٍ عام، ومن ذلك ما حدث في بلنسية من استيلاء مظفر ومبارك[75] عليها بعد فتنة قرطبة، فقد خلا لهم الجو فسودا نفـسيهما علـى الرعية وانغمسا في أنواع من الترف والبذخ وعظمت الجباية على الرعية حتـى

---

[73] هو أبو يحيى رفيع الدولة ابن المعتصم بن صمادح كان كاتباً متقدماً وشاعراً مجيداً ولـم يكن ببني صمادح أشعر منه . (انظر: ابن الأبار، الحلة ج2ص92، ابن بسام, الذخيرة ق1 م2 ص737؛ ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن خاقان(ت529 هـ ـ/1134م)، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1983 م، ص222- 223).

[74] ابن بسام , الذخيرة،ق،1م2،ص838 .

[75] مبارك ومظفر هما عبدان وليا أولاً وكالة الساقية ببلاد بلنسية عام (401هـ/1010م)؛ ثم أُمرا على بلنسية بعد هروب وزيرها عبد الرحمن بن يسار . (انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص 13).

بلغت مائة وعشرين ألف دينار في الشهر، وقد أدى ذلك إلى تساقط الرعية وجلائها أولاً بأول، كما قربوا العبيد من شتى أقطار الأندلس وزهدوا في الأحرار وأبنائهم ممن طرأ منهم عليهم.[76]

إن هذا الاضطراب السياسي والاجتماعي أدى إلى الترحل طلباً للرزق، فهذا عبد الله بن صارة الشنتريني[77] تضيق به الحال، وجوب بلاد الأندلس باحثاً عن عملٍ، ثم يستقر في أشبيلية، ويعمل في الوراقة على كساد سوقها، وفيها يقول[78]:

أما الوراقة فهي أنكد حرفةٍ ... أوراقها وثمارها الحرمان
شَبَهْتُ صاحبها بصاحب إبرة ... تكسو العراة وجسمها عريان

كما اتخذ الشعراء من رسائلهم الشعرية وسيلة لبلوغ غاياتهم و والوفود على أحد أمراء الطوائف ، أو عرض خدمتهم عليهم ، وقد نجد منهم من يرفض خدمة هؤلاء الملوك كما فعل ابن شرف مع المعتضد بن عباد ، إذ أرسل المعتضد بن عباد في طلبه فرفض ابن شرف خدمته ، وقد جاء ذلك في رسالة شعرية ، منها قوله [79]:

أأن تصيدت غيري صيد طائرةٍ ... أوسعتها الحب حتى ضمنها القفص
لك الموائد للقصاد مترعة ... تروي وتشبع لكن بعدها غصص

---

(76) ابن بسام، الذخيرة،ق3،م1،ص13 –21، و أحداث الفتنة في المصدر نفسه،ق1،م1 ص 35 وما بعدها .

(77) هو عبد الله بن محمد بن صارة الشنتريني، نزل أشبيلية وسكنها وتعيش فيها بالوراقة، وأكثر من التطوف في بلاد الأندلس، وعرف بجودة شعره(ت517 هـ/1123م)، (انظر : ابن بسام، الذخيرة،ق2،م2،ص834، ابن خاقان : القلائد،ص 809 . ابن دحية : المطرب،ص79، الضبي، بغية الملتمس،ص338، ترجمة رقم 896) .

(78) ابن بسام : الذخيرة, ق2 ,م2, 835 .

(79) ابن بسام ، الذخيرة ، ق4 ، م1 ، ص 182 .

وقد يكون الترحل خوفاً من الحاكم وهروباً من بطشه، إذ قـد تحـدث بعـض الأمور التي تثير غضب الحاكم على الشاعر أو الأديب بشكل عام فيهـرب إثـر ذلك؛ كما حدث مع ابن الحداد[80] فقد استوطن المرية وأكثـر مـن مـديح بنـي صمادح، ومع ذلك طواب عندهم وقبض على أخيه ففر هاربـاً إلـى مرسـية[81] ومنها كتب عدة رسائل، ومنها رسالة شعرية يعتذر فيها عن خروجه من المريـة، ويفتتحها بالشكوى من الزمن، حيث يقول[82]:

الدهرُ لا ينفكُ عن حدثانه   والمـــرء منقاد لحكم زمانهِ

فدع الزمان فإنه لم يعتمدْ   بجلاله أحداً ولا بـــــهوانهِ

كما يمكن أن يكون سبب الترحل طلب العلم وهذا ما حدث لابن الفرضي[83] , فقد ارتحل إلى بلاد المشرق طلباً للعلم، ومن تلك البلاد كتب إلى أهلـه برسـالة شعرية تفيض شوقاً إليهم وحزناً لفراقهم، يقول في مطلعها:

مضت لي شهور منذ غبتم ثلاثةٌ   وما خلتني أبقى إذا غبتم شهرا

---

(80) هو محمد بن أحمد القيسي أبو عبد الله، المعروف بابن الحداد، أصـله مـن وادي آش، سكن المرية وهرب منها بسبب مطالبـة المعتـصم بـن صـمادح تـوفي سـنة (480 هـ/1087م)، (ابن بسام، الذخيرة، ق1،م2،ص691 ؛ ابن خاقان، المطمح، ص336 ؛ ابن سعيد : المغرب،ج2،ص143) .

(81) مدينة بالأندلس، وهي قاعدة تدمير، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم، وتقع على ضفة نهر، (الحميري،أبو عبدالله محمد بن عبـد المـنعم،(ت 723 هـــ/1323م)، الـروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984 م، ص 539) .

(82) ابن الحداد، أبو عبد الله بن الحداد الأندلسي(ت480 هـ1087م)، شـعر ابـن الحـداد، تحقيق منال منيزل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985م، ص 93 .

(83) هو أبو الوليد عبد الله بن محمد المعروف بابن الفرضي صاحب تاريخ العلماء والـرواة للعلم بالأندلس الذي ذيل عليه ابن بشكوال بكتاب الصلة ولـه أيـضاً كتـاب المؤتلـف والمختلف، قتل في الفتنة البربرية (400هـ/1009م) .(الضبي، بغية الملتمس،ص334 ؛ ابن دحية، المطرب،ص 132 ؛ المقـري، نفـح الطيـب،م2،ص129 ؛ ابـن بـسام، الذخيرة،ق1،م2،ص614)

ومنها:

أعللُ نفسي بالمنى في لقـائكمْ واستـسهلُ البــــر الـذي جُبـتُ والبـحرا

ويؤنسني طي المراحل عـنكمُ أروح علـى أرض وأغـدو علـى أخـرى[84]

كما يعد **اهتمام ملوك الطوائف بالشعر** وتقديرهم له سبباً من أسباب ازدهـار فن المراسلات الشعرية وانتشاره, فقد كان لهم الفضل الأكبر في تطور هذا الفـن حيث اهتموا بالشعراء ومنحوهم الهبات والصلات، وأغـدقوا علـيهم الأمـوال، وأجروا لهم الرواتب , كما خصصوا لهم يوماً من أيام الأسبوع لا يدخل فيه عليهم سواهم[85], ينشدون عليه أشعارهم وينالون الجوائز والهدايا , التـي لا يمكـن أن يحضى بها إلا الشاعر المتميز، فهذا ابن جاخ البطليوسي،[86]وهو مـن الـشعراء الجوالين يصل إلى إشبيلية وينشد المعتمد قصيدته التي أولها :

قطعت يا يوم الندى أكبادي وحرمت عن عيني لذيذ رقادي

فيوليه المعتمد بفضلها رئاسة الشعراء[87] .

كما "كان المعتصم بن صمادح يعقد المجالس بقصره للمذاكرة، ويجلس يومـاً في كل جمعة للفقهاء والخواص، فيتناظرون بين يديه في كتب التفسير والحـديث، ولازم حضرته فحولٌ من الشعراء ". [88]

ولما كانت قرطبة تمثل المركز الثقافي الوحيد [89]، زمن الخلافة الأموية فقـد أدى سقوطها إلى تعدد العواصم السياسية والمراكز الثقافية، إذ انقـسمت الدولـة

---

(84) المقري، نفح الطيب م2، ص132؛ ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص615.

(85) انظر : المقري، نفح الطيب م4،ص244 .

(86) هو ابن جاخ البطليوسي الأمي شاعر مشهور، منتجـع يقـصد الملـوك بالمـدائح، (الحميدي، جذوة المقتبس،ص 405) .

(87) المقري، نفح الطيب، م4،ص244 .

(88) ابن الأبار، الحلة، ج2، ص 82 .

(89) ابن بسام، الذخيرة،ق1،م1،ص33 .

الواحدة إلى ممالك متعددة متفرقة متناحرة، كل مملكة تطلب التوسع على حساب جاراتها , وتنشد الشهرة والخلود لنفسها، فقد عمل ملوك الطوائف على جذب الشعراء وتعيين الوزراء ذوي القدرات العالية في الأدب , هذا بالإضافة إلى كون هؤلاء الملوك من الشعراء، يهتمون بالشعر ويقدرونه من أمثال المعتضد بن عباد، وابنه المعتمد بن عباد بالإضافة إلى المعتصم بن صمادح والمتوكل على الله بن الأفطس. ولما كان أثر الشعر قوياً على النفوس، فقد نظم الملوك في - بعض الأحيان- رسائلهم شعراً فهذا المعتمد بن عباد يكتب إلى يوسف بن تاشفين –أمير المرابطين في المغرب – ما نصه :[(90)]

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا	**شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا**
حالت لفقدكم أيامنا فغدت	**سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا**

وقد كان في تفرق ملوك الطوائف ازدهار للأدب بشكلٍ عام, إذ نفقوا سوق العلوم وتباروا في المثوبة على المنثور والمنظوم، فما كان أعظم مباهاتهم إلا قول " العالم الفلاني عند الملك الفلاني والشاعر الفلاني مختص بالملك الفلاني[(91)]ولم يكن اهتمام الملوك منصباً على شعراء البلاط فقط، إذ رأينا مجموعة من الشعراء يستغنون عن الارتحال وذلك بإرسال قصائدهم إلى الملوك مكتوبة منتظرين أن تأتيهم الصلات إلى منازلهم، فهذا ابن شرف[92] يبعث إلى المعتضد بن عباد بخمس قصائد من شعره مع رقعة خاطب بها الوزير أبا الوليد بن زيدون نقتبس منها قوله: "....وقد رفعت إلى حضرته الرفيعة خمس أبكار عرب، تخدمهن وليدةٌ ذات حسنٍ وأدب خصصت بالخمس القرائض خير الملوك، وبالوليدة بر الحر المملوك وهن وإن زدن على أربع الشرع واحدةً، فليست في دين الشعر بزائدةٍ، ولما جاز

---

(90) المقري، نفح الطيب، م3،ص191 .

(91) المقري، المصدر نفسه، م3،ص190 .

92) هو أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد بن شرف الجذامي، له مصنفات عديدة منها" أبكار الأفكار" و"أعلام الكلام " نشأ في القيروان ورحل إلى الأندلس بعد خرابها على يد بني هلال وتردد على ملوك الطوائف، توفي سنة (460هـ/1067م)، (ابن دحية، المطرب، ص66، ابن بسام, الذخيرة،ق4،م1،ص169-245، جذوة المقتبس،ص 405) .

أكثر من أربع لخير الأنام، اقتدينا بذلك في خير الكرام "[93]. وقد بعث له المعتضد مع الجواب ثلاثين مثقالاً وطلب منه الحضور عنده.

وانتشرت ظاهرة إرسال القصائد للملوك والوزراء فهذا عبادة القزاز[94]، يكتب قصيدة في مدح المعتمد بن عباد ثم يرفعها إلى أبي بكر الخولاني[95]طالبـاً منـه توصيلها إلى ممدوحه، فيقول مخاطباً أبا بكر " فلك الفضل في توصيل ذلك إليـه، وتقبيل الكريمتين - عني – يديه فأن نجح السعي وساعد السعد، فمن عنـدك أرى ذلك، فأنت المشارك المشكور على اهتبالك، ولولا حوائج جرت علـي، فقـصت جناحي، وسلبت ما لدي، لأمضيت عزمي وكنت مكان نظمي".[96]

وتكشف هاتان الرسالتان عن أن الشعراء يقدمون الاعتذار عن عدم قدرتهم على الوفود على الممدوح والمثول بين يديه لأسباب مختلفة، منهـا بعـد المـسافة أو الانشغال بأمر ما.

كما بعث ابن الحناط:(97)برسالة إلى المظفر بن الأفطس مستجدياً إياه مادحاً له،

---

(93) ابن بسام , الذخيرة،ق4،م1،ص173 .

(94) هو أبو عبد الله محمد بن عبادة المعروف بابن القزاز من مشاهير الـشعراء والأدبـاء الذين عرفوا في المرية في عصر المعتصم بن صمادح في القرن الخامس الهجري، أبدع في فن الموشحات، (ابن بـسام، الـذخيرة، ق1،م2،ص801،ابـن سـعيد، المغـرب، ج2،ص134).

(95) هو أبو بكر الخولاني الباجي، من أهل باجة، سكن إشبيلية وهو من الأدبـاء الـشعراء المشهورين في عصر ملوك الطوائف، (الضبي، بغية الملـتمس،ص517 ؛ الحميـدي، جذوة المقتبس، ص39 2).

(96) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص802.

97)هو محمد بن سليمان أبو عبد الله البصير، يعرف بابن الحناط كان متقـدماً فـي البلاغـة والأدب والشعر، مدح الملوك والرؤسـاء، كـان ينـاوئ ابـن شـهيد ويعارضـه (ت 430هـ/1038م) تقريباً (الضبي، بغيـة الملـتمس, ص77، ابـن سـعيد، المغـرب ج1,ص121 ؛ ابن بسام، الذخيرة ,ق1,م1,ص437؛ العماد الأصفهاني، الخريدة ,ق4,ج2 ,ص223) .

فجاءت الصلات أكثر مما كان يتوقع، فبعث برقعة أخرى شاكراً له على كرمه وحسن عطائه، حيث يقول[98]:

كتبتُ على البُعْدِ مُسْتَجْدِياً لــعلمي بأنك لا تَبْـخَلُ

فجاء الرسولُ كما اشتهي وقد ساق فوق الذي آمــلُ

وما كان وجْهُك ذاك الجميلُ ليفعل غـير الـذي يجْـمُلُ

ونخرج مما سبق إلى القول إن الشعراء كانوا يبعثون قصائدهم إلـى الملـوك لينالوا عليها الصلات، وكان إجزال العطاء لهم سبباً في ازدهار فـن الرسـائل الشعرية.

على أن بعد المسافة لم يكن وحده الدافع إلى كتابـة تلـك الرسـائل، فهنـاك مراسلات كثيرة جرت بين الشعراء على الرغم من وجودهم في مدينـة واحـدة، ولعل تلك العادة ناشئة من أن للشعر مفعولاً قوياً في نفوس الناس يفـوق مفعـول الكلمة التي تبث مشافهة، [99] فحبهم للشعر وتقديرهم للأثر الذي يتركه في النفس، هو ما دفع ولادة بنت المستكفي[100] إلى أن تكتب إلى ابن زيدون:

ترقـب إذا جن الظلام زيارتـي فأني رأيت الليـلَ أكتــم للسر

وبي منك ما لو كان بالبدر ما بدا وبالليل ما أدجى وبالنجم لم يسر[101]

---

[98] ابن سعيد، المغرب ,ج,1ص123.

[99] انظر: إحسان عباس وآخرون، دراسات في الأدب الأندلسي، الدار العربيـة للكتـاب، ليبيا، ط2، 1978م ,ص 165.

[100] هي ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن الناصري الملقب بالمستكفي، أميـرة، وشـاعرة وناقدة، بصيرة بالأساليب الشعرية، وقد كان شعرها يتسم بالسلاسة والرصـانة ومتانـة التركيب، و جعلت من منزلها ملتقى للأدبـاء والـشعراء، توفيـت قريبـاً مـن سـنة 484هـ/1091م . (المقري، نفح الطيب م4, ص 206) .

[101] المقري، نفح الطيب ,ج4, ص206 .

وتأثير الشعر على النفس هو ما دفع ببعض الشعراء إلى طلب الشعر على البديهة، فقد قال المعتمد بيتاً هو:[102]

وهويتُ سالبة النفوس عزيزةً تختال بين أسنة وبواتر

ثم تعذر عليه إتمام القصيدة، فبعث إلى أبي الوليد النحلي البطليوسي[103] برقعة مكتوب فيها هذا البيت وطلب من رسوله عدم مفارقته إلا ومعه الجواب، فكتب النحلي فور وقوع الرقعة بين يديه قصيدة منها :

راقت محاسنُها ورقّ أديُمها فتكادُ تُبصرُ باطناً من ظاهر

وتمايلتْ كالغصن بلّلهُ النّدى يختالُ في ورق الشباب الناضر

ومما سبق يظهر لنا أن اهتمام المعتمد بن عباد بالشعر وحنوه عليه قد دفع النحلي إلى إتمام القصيدة في نفس الوقت.

ومن الأسباب التي أدت إلى تطور هذا الفن ازدهاره انتشار ظاهرة عقد مجالس اللهو والأنس وسط المتنزهات والرياض، فقد كان الشعراء يبعثون برسائلهم الشعرية إلى أصدقائهم لحضور مجالسهم والتنزه بصحبتهم وقضاء أوقات الفراغ معهم، فقد كتب ذو الوزارتين عيسى بن لبون[104]

---

(102) انظر : القصة والأبيات : الأزدي، علي بن ظافر الأزدي، بدائع البدائه، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا – بيروت، 1992 م ,ص113 .

(103) هو أحد شعراء المعتمد بن عباد، قال فيه ابن بسام :" كان باقعة دهره، ونادرة عصره،...وكان يضحِك من حضر، ولا يكاد يبتسم هو إذا ندر " (ابن بسام، الذخيرة ق2، م2، ص 809) .

(104) هو لبون بن عبد العزيز بن لبون، من وزراء المأمون بن ذي النون، رأس بمربيطر من أعمال بلنسية، ثم تخلى عنها لعبد الملك بن رزين وقد كان موصوفاً بتجويد الشعر، (ابن خاقان، القلائد , ص289 ؛ ابن الأبار، الحلة ,ج2,ص169 ؛ ابن سعيد، المغرب ,ج2, ص376).

إلى ابن اليسع[105] عندما كان في مجلس أُنسٍ مع الوزراء والكتاب وابـن اليـسع غائب عنه :

لو كنتَ تشهد يـا هذا عشـيتنا والمزن يسكـُب أحـياناً وينحدرُ

والأرض مصفرة بالمزن كاسيةٌ أبـصرت تبـراً عليـــه الـدر ينتثر[106]

لقد جاءت هذه الرسالة في وصف منظر الأرض، الذي أثار إعجاب ابن لبون مما دفعه إلى الكتابة إلى صديقه واصفاً له جمال الطبيعة أجمل وصف، فـالأرض تبر يكسوها المزن كأنه الدر.

إن الطبيعة الأندلسية فاتنة وخلابة، قصدها الشعراء وأكثروا وصفها بما فيهـا من نواوير وزهور، وقد وصفها أبو عبيد البكري[107] بأنها " شامية فـي طيبهـا وهوائها، يمانية في اعتدالها واستوائها، هندية في عطرها وذكائها، أهوازيـة فـي عظم جبايتها، صينية في جواهر معادنها، عدنية في منافع سواحلها "[108]

ويعد ابن خفاجة من أكثر الشعراء وصفاً لطبيعة الأندلس وتغنياً بجمالها، وقـد شبهها بجنة الخلد لشدة إعجابه بها، حيث يقول[109] :

يـــا أهـلَ أنـدلسٍ للهِ درُكُمُ ماء وظِل وأنـهار وأشجارُ

ما جنةُ الخلدِ إلا في دِيـارِكُمُ وهذهِ كُنْتُ لو خُيرْتُ أختارُ

لا تتقوا بعْدها أن تَدْخُلُوا سقَراً فَليس تُدخَلُ بعْد الجنةِ النارُ

---

(105) هو أبو الحسن علي بن اليسع، صاحب جزيرة لورقة، ذكر الفتح أنه كان كلفاً بالخمر، أعان بني عباد على فتح مرسية بقيادة أبي بكر بن عمار، ثم تولى إدارتهـا نيابـة عـن المعتمد وبقي حتى ثار عليه أهلها وخلعوه، (ابن خاقان، القلائد, ص493 ؛ ابن الأبـار، الحلة ,ج2 ,ص 172-176 ؛ ابن سعيد، المغرب, ج2, ص87).

(106) ابن خاقان، القلائد , ص293 ؛ ابن الأبار، الحلة ,ج2 ,ص169 .

(107) هو أبو عبيد عبد الله بن أبي زيد عبد العزيز البكري، كان مـن أهـل اللغـة والأدب والمعرفة الواسعة بمعاني الأشعار والغريب والأنساب والأخبار، (ت487 هـ/1094م) (ابن بسام، الذخيرة ,ق2 ,م1 ,ص232).

(108) المقري، نفح الطيب, ج1, ص126.

(109) ابن خفاجة , ديوان ابن خفاجة , ص364 .

وقد تبادل الشعراء كثيراً من الرسائل في وصف منظر الربيع أو المطر أو غيرها من مناظر الطبيعة الأندلسية الخلابة، وكتاب " البديع في فصل الربيع " غاص بمثل تلك المراسلات، ومن الرسائل الشعرية التي تقدم وصفاً لمنظر الربيع رسالة أبي الوليد إسماعيل عندما كتب إلى أبيه [110]:

فالأرض في بردةٍ من يانع الزهر　　تزري إذا قستها بالوشي والحبر

قد أحكمتها أكفُ المزن واكفةً　　وطرزتها بما تهمي من الدرر

تبرجت فسبت منها العيون هوى　　وفتنة بعد طول الستر والخفر

إن هذه الرسالة الشعرية تكشف عن أن منظر الربيع كان دافعاً إلى المراسلة بين الشعراء.

ومن أسباب ازدهار هذا الفن أيضاً كثرة الشعراء الجوالين الذين يطوفون بلاد الأندلس طلباً للتكسب، ونيل الصلات، وقد أدت هذه الظاهرة إلى نشوء رسائل الشفاعات وازدهارها، فكان الشاعر بحاجة إلى توصية من أحد المشهورين حتى يبلغ مأمله[111]، ومن الأمثلة على ذلك الرسالة الشعرية التي بعث بها ابن زيدون إلى المظفر بن أبي الأفطس في الشفاعة لأحد أصدقائه، منها هذه الأبيات: [112]

ومُسْتَشفع بي بشرتُهُ　　-على ثقةٍ- بالنجاح الأتمْ

وقِدماً أقلت المسيء العِثار　　وأحسنْتَ بالصفح عما اجْترَمْ

وعندي لِشُكْرك نَظْمُ العُقُودِ　　تَنَاسقُ فيها اللآلى التؤَم

ومن الشعراء الجوابين أبو زكريا الجلماني[113] فقد جاب بلاد الأندلس مستجدياً بشعره ومن قصائده التي رفعها إلى المأمون بن ذي النون قوله من جملة أبيات: [114]

---

[110] الحميري، البديع في فصل الربيع ,ص33 ؛ المقري،نفح الطيب ,م3 ,ص427 .

[111] عباس , إحسان عباس , تاريخ الأدب الأندلسي(عصر الطوائف والمرابطين), دار الثقافة بيروت , ط2 , 1971 م .ص86 .

[112] ابن زيدون، الديوان, ص416 .

[113] هو أبو زكريا محمد بن زكي الجلماني كان سكناه بأشبونة وهو من جلمانية وكان متجولاً في الأقطار الأندلسية مستجدياً بالأشعار، (ابن سعيد، المغرب ,ج1 ,ص378

[114] ابن سعيد، المغرب, ج1,ص378 .

خَبرْتُ ملوكَ الأرض شرقاً ومغرباً   فلـم أر كالمـأمون فـي الـشرق والغرب

مقالة معضود اللسـان بـ ـقلبـهِ   ولا خيـر في قولٍ يكون بـ ـلا قلبِ

ومن الشعراء الجوالين أيضاً ابن شرف القيرواني فقد أكثر من التـردد علـى ملوك الطوائف، ومدحهم يقول فيه ابن بسام ".....لم يزل على ملـوك الطوائـف يومئذٍ يتطوف ويتنقل في الدول من منزلٍ إلى منزل، ومن بلدٍ إلى بلد، إلا حضرة المعتضد، فأنه كان يخاطبه وينشده:

أحبك في البتول وفي أبيها   ولكنني أحبك من بعيدِ "[115]

وهكذا فعل ابن شرف مع ممدوحيه في الأندلس، " فكان يزف إلـيهم القـصائد والمدائح، طمعاً في نيل أعطياتهم وهباتهم، فيجزلون له العطاء،حتى وهـو بعيـد عنهم وفي بلاط غيرهم ...".[116]

ومن الشعراء الجوابين أيضاً الأديب أبو محمد بن مالك القرطبي[117]، فقد تجول كثيراً طلباً للرزق ثم استقر في المرية تحت ضنك العيش مع عـدة مـدائح رفعها لأميرها ابن صمادح، فلما كان يوم عيدٍ أنشده شعراً منه هذه الأبيات[118]:

مضى الفطرُ والأضحى ولا نيلَ يُقتضى   فلم أخفقتْ وحدي إليك مطالبي

وكم عفت قـدماً من جزيـل مواهبٍ   وقـد خَطبتنـي مـن جميـع الجوانبِ

---

[115] ابن بسام، الذخيرة, ق4, م1 ,ص181 .

[116] الكيلاني، حلمي إبراهيم الكيلاني، ابن شرف القيرواني (حياته وأدبه)، مؤسسة البلـسم للنشر والتوزيع , عمان – الأردن , 1998 م.

[117] هو الوزير أبو محمد عبد الرحمن بن مالك القرطبي، كان شاعراً وأديباً، عمل لأميـر المسلمين يوسف بن تاشفين،ولابنه علي من بعده. انظر ترجمته في (ابن بسام ,ق1, م2, ص 739 ؛ ابن سعيد، المغرب ,ج2 ,ص117 ؛ ابن خاقان، القلائد،ص500) .

[118] ابن بسام، الذخيرة ,ق1, م2 ,ص739- 741 .

سـأرحـلُ عنـكم دون زادٍ لبـُلغة وتلـك لعمـري سبـةٌ فـي العواقبِ

كما نجد أن الظروف الخاصة التي كان يمر بها بعض الشعراء كانت تـدفعهم إلى استخدام الرسائل الشعرية، فهذا ابن زيدون حين هرب من السجن وأضـحى يتجول في متنزهات الزهراء، قد أعجب بمنظر الربيع فتذكر محبـو بتـه ولادة، واشتاق إليها فكتب إليها بقصيدته المشهورة التي مطلعها[119]:

إني ذكرتك بالزهراء مشتاقا والأفقُ طلقٌ ومرأى الأرضِ قد راقا

فالرسالة هي الوسيلة الوحيدة أمام ابن زيدون للتعبير عن حبـه وشـوقه إلـى محبوبته، ولعل تعلقه بعمله الديواني من أحد الأسباب التي دعته إلى نظم الرسالة الشعرية، هذا بالإضافة إلى انتمائه لعالم الملوك والأمراء وما للكتابة من أهميـة في حياتهم اليومية[120] .

6.1 السفارة وأثرها في ازدهار فن الرسائل الشعرية :

ومن الأسباب التي أدت إلى ازدهار فن الرسائل الشعرية أيضاً ظهور السفراء , فقد تفككت الدولة الواحدة إلى دويلات صغيرة وإمـارات مختلفـة , وظهـرت الحاجة إلى استخدام السفراء بين تلك الدول، وقد كان هؤلاء الوزراء إما شـعراء أو كُتّاباً أو يجمعون بين الفنين معاً، وهذه الظاهرة أدت إلى توطيد العلاقات بين السفراء في مختلف الممالك .

وقد أشار ابن عمار إلى منصب السفير في الدولة من خلال رسالة شعرية كتب بها إلى الحسن بن اليسع, وقد وصفه فيها بأنه مخاص في سفارته, أمين في عمله, حيث يقول[121] :

ولقدْ جريْتَ إلى التي قُلدْتَها جرْياً تَباعد عنـْك فيهِ ملامُ
فَوردْت لم تَلحقْ بِغيْبك ريبةٌ وصدرْتَ لم يعْلقْ بسعْيك ذَامُ
وعلى مُسفرك السلامُ تَحيةً ولقدْ تَقـِل تَحـِيةٌ وسـَلامُ!

---

(119) ابن زيدون، الديوان ,ص139 .

(120) إحسان عباس وآخرون، دراسات في الأدب الأندلسي، ص162 .

(121) ابن خاقان, القلائد، ص 281.

وقد كانت مدة إقامة السفراء في الدول المجاورة قصيرة جداً تتحكم بها إنهـاء المهمة التي جاءوا من أجلها؛ فهذا ابن عمار يشير إلى ذلك : [122]

أهلاً بِقُربك لو يطول مُقامُ وكفى بطيفك لوْ يزورُ منَامُ

أما إذا ما تأخر الوزير في سفارته، فإنه قد يتعرض للعزل، فهذا ابـن زيـدون وقد كان وزيراً لابن جهور، وذهب في سفارة وأطال المكوث، فاستحثه ابن جهور على العودة فمطله، فعزله وأعرض عنه عند عودته فكتب إليه الشاعر أبياتاً منهـا [123].

هبِ العزلَ أضْحى لِلولايةِ غَايةً كما غاية الُموفي مـن الظـل أن يُكْري

فَفِيم أرى رد السلامِ إشارةً تُسوغُ بـي إزراء مـنْ شـاء أنْ يُزْري؟

ومن عادة السفراء الإخبار بحلول حمى الملك المراد زيارتـه ولقـاؤه, ومـن الأمثلة على ذلك أن المعتصم بن صمادح قام بإرسال ثلاثة من الوزراء في سفارةٍ إلى المعتمد بن عباد, ملك أشبيلية, فلما دنوا من إشبيلية كتبوا إليه برسالةٍ شعريةٍ:

يا ملكاً عظمتهُ العُرْبُ والعجمُ وواحداً وهـو في أثـوابِهِ أُمـمُ

إنا وردناك والأقـطارُ مظلمةٌ والبدرُ يُرجى إذا ما التَخت الظلَمُ[124]

وعلق أحد الباحثين على هذين البيتين بقوله " فالشاعر – كما نلاحـظ – بنـى رسالته بناء فيه من الجلالة والتعظيم والتفخيم ما لا يخفى , فقد اختار حرف النداء "يا" للدلالة على بعد مكانة الأمير , وفي تنكير لفظ "ملك " دلالـة علـى العظمـة والشمولية في الملك وفي كل من لفظتي " وردنا , والبدر " ما يوحي بأن الأميـر

---

[122] ابن خاقان , القلائد، ص 280 .

[123] ابن زيدون، الديوان، ص 295 .

[124] ابن خاقان , القلائد، ص 62 .

مصدر السقي والري والحياة والنور , فهو كهف الغرباء وملاذ الأدبـاء وسـراج الأمراء "[125]، وقد كتب المعتمد إليهم مرحباً بقدومهم بقوله[126] :

أهلاً بكم صحبتكم نحوي الديمُ إن كان لم يتـبجح لي بكم حـلمُ

حثوا المطي ولو ليلاً بمجهلةٍ فان تضلوا, ومن يِشري لكمْ علمُ

ويرى بعض الباحثين أن هذه التحايا الشعرية كانت "مدخلاً موفقاً لمهمة السفير، فهي بحكم تأثيرها العاطفي، وإقناعها المنطقي أحياناً، أكثر جدوى من المـداولات السياسية المحضة، ولئن كانت لا تغني عن تلك المداولات دائماً، فإنها خير ممهـد لها". [127]

أما عند الرجوع إلى الوطن فيجب كذلك الاستئذان للمغادرة، وقد كـان يطلـق عليه الاستسراح، ومن ذلك أن ابن عمار قد زار المعتصم في إحدى سفراته، ثـم طال به المقام، فاشتاق بلاده، فكتب إلى المعتصم مستسرحاً[128]:

يا واضحاً فَضح السحاب يجُودُ في معنى السماح

ومطابقاً يأتـي وجـو ه الجد من طرق المـزاح

أسرفت في بِر الضيـافِ فجُـد قليـلاً بالسـراح

فراجعه المعتصم:

يا فاضلاً في شكره أصل المساء مع الصباحِ

هلا رفقت بمهجتي عند التكلم في الـسـراح ؟

---

(125) حسن حيدر , المجالس الشعرية في الأندلس في عـصر ملـوك الطوائـف , رسـالة ماجستير، جامعة مؤتة، ص 189.

(126) المعتمد بن عباد , أبو القاسم محمد بن عباد المعتمد على الله (ت 488هـ ـ/1095م), ديوان المعتمد بن عباد ملك أشبيلية جمعه وحققه حامد عبد المجيد وأحمد بدوي , راجعـه طه حسين , مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة , 1997،،ص 60 .

(127) الهرامة، عبد الحميد عبدالله، القصيدة الأندلسية (خلال القرن الثامن الهجري الظواهر، والقضايا والأبنية)، 2ج، دار الكاتب، طرابلس، ط2، 1999م، ج1،ص 178 .

(128) ابن خاقان، القلائد ,ص 155 ؛ ابن الأبار، الحلة ,ج2 ,ص85 ؛ ابـن بـسام،الذخيرة, ق2،م1، ص204 .

إن السماح ببعدكم والله ليس من السماح

وأحياناً نجد المراسلات تتم عند تنقل السفراء في البلاد، كما كتب أبو عبيد الله البكري إلى ابن السقاء[129] وزير ابن جهور وقد خرج رسولاً إلى باديس بن حبوس[130]

مادحاً له في بيتين من الشعر هما[131] :

كذا في بروجِ السعدِ ينتقلُ البدرُ ويحسنُ حيثُ احتلّ آثاره القطرُ

وتقتسمُ الأرضُ الخطوطَ فبقعةٌ لها وافر منها وأخرى لها نزرُ

هذه مجاملة لطيفة من الشاعر، تبين مكانة السفير ومنزلته بين القوم.

7.1 ألوان الرسائل الشعرية:

لقد تفنن الشعراء الأندلسيون في إخراج الرسائل الشعرية فظهرت في لونين هما:

1.7.1 المخاطبات والمراجعات :

ويقصد بها المراسلات الشعرية التي تتم بين الشعراء وذلك بأن ينظم أحد الشعراء قصيدة ويبعث بها إلى شاعر أخر، فيرد هذا الأخير عليه بقصيدة أخرى مراعياً فيها وزن رسالة المخاطب وقافيتها، مع حرصه على إظهار التفوق على مخاطِبه من الناحية الفنية، ويطلق على هذا النوع من المراسلات الشعرية المساجلات الشعرية[132].

---

(129) هو أبو الحسن إبراهيم بن محمد بن حيى المعروف بابن السقاء، كان وزر الدولة الجهورية، وقد قتل على يدي عبد الملك بن جهور ت (455هـ/1063م). (ابن بسام، الذخيرة, ق4, م1 ص238 وما بعدها).

(130) هو باديس بن حبوس بن ماكس بن زيري الصنهاجي، الملقب بالمظفر صاحب غرناطة،من ملوك الطوائف بالأندلس، وكان من أهل الحزم ت(465هـ/1072م) (ابن عذارى المراكشي، المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س. كولان و إ . ليفي بروفنسال، دار الثقافة – بيروت، ط3، 1983م، ص262) .

(131) ابن الأبار، الحلة ج2 ص186 ؛ ابن بسام، الذخيرة, ق,م1 ,ص 237 .

(132) مطلوب, أحمد مطلوب , معجم مصطلحات النقد العربي القديم ,م2,ص368.

ومن المخاطبات الشعرية ما كتب به ذو الوزارتين أبو عامر بن مسلمة[133] إلى صديقه ابن زيدون معاتباً إياه متودداً إليه:[134]

تُباعِدُنا على قُرْب الـــجِوار كأنا صدنـا شَحـَطُ المـزار
تَطلّع لي هِلالُ الهـَجْر بدْراً وصار هِلالُ وصْلِك في سرار
وشَاع شَنِيعُ وصْلِك لي وهجْري فَهلا كان ذَلـك في اسْتـِتَار
أَيجْمُلُ أَنْ تُرى عني صـبُوراً وأُصْبِـحُ مُولعاً دون اصْطِبار

فأجابه ابن زيدون:

هواي - وإن تناءتْ عنك داري- كمثل هواي في حـال الجـوار
مـقيم لا تغيـرهُ عوادٍ تُـباعِدُ بـين أحـيـان الـمزار
رأيتُك قلتَ" إن الهـجر بدر" متى خَلَتِ البُدُورُ مـن السـرار؟
ورابك أنّني جـــلد صبور وكم صبرٍ يكـونُ عن اصطـبار

نجد أن ابن زيدون قد التزم في رده وزن رسالة ابن مسلمة وقافيتها, فجـاءت المقطوعتان على بحر الوافر, كما أشار ابن زيدون إلـى المعنـى الـوارد فـي المقطوعة الأولى ووجه إليه عتاباً شديداً, فقد قال أبو عامر في المقطوعة الأولـى إن ابن زيدون يهجره هجراً كاملاً أما وصاله فهو ناقص, ويعترض ابن زيـدون على هذا المعنى بقوله إن البدور لابد أن تتعرض للنقصان في أواخر الشهر, وأنت تقول إن هلال الهجر صار بدراً مكتملاً.

وهناك بعض المخاطبات الشعرية التي تقود إلى تبادل عـدد أو سلـسلة مـن الرسائل الشعرية, وذلك بأن يرسل الشاعر رسالة ثم يأتي الرد عليها, ثـم يبعـث برسالة أخرى منتظراً الرد عليها, ومن ذلك ما حدث بين المعتمد بن عباد والشاعر

---

(133)هو محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة, أبو عامر وزير وأديب سكن أشبيلية وألف كتاب"حديقة الارتياح في وصف حقيقة الراح" (ابن خاقان, القلائد ص 203 ؛ الحميدي, جذوة المقتبس،ص65 ؛ الضبي, بغية الملتمس،ص90 ؛ابن بسام, الذخيرة،ق2،م1،ص105.

(134) ابن زيدون , الديوان،ص204 .

ابن اللبانة, فقد بعث المعتمد إلى ابن اللبانة بعشرين مثقالاً وقطعةٍ من قماش وكتب معها:[135]

إليك النزر من كفِ الأسيـر فإن تقبلَ تكُن عين الشكور

تقبل ما يـذوبُ لهُ حـياء وإن عذرتهُ حالاتُ الفقـير

فرد ابن اللبانة صلته وكتب معها أبيات منها:

أنا أدري بفضلك منكَ إني لبستُ الظلَ منه في الحرور

غني النفس أنت وأن ألحّـت على كفـيك حالات الفـقير

فراجعه المعتمد أيضاً برسالةٍ شعريةٍ منها:

رد بـري بغيـاً علـي, وبـراً وجفا فاستحقَ لومـاً وشكرا

عاف نزري إذ خاف تأكيد ضري فاستحق الجفاء إذ عاف نزرا

فراجعه ابن اللبانة برسالةٍ شعريةٍ منها:

أيها الماجدُ السميدعُ قدراً صرفي البِر إنما كان بِرا

حاش لله أن أُجيج كريماً يتشكى فقراً وكم سد فقرا

2.7.1 المطيرات" المعميات ":

وتتمثل بأن ينظم الشاعر قصيدة ويشير فيها إلى بيتٍ أو بيتين من الشعر رامزاً إلى كل حرف من حروفه باسم طائر, ويبعث بها إلى طرفٍ آخر لفـك رموزهـا والرد على ذلك في رسالة شعرية, وقد تتغير الرموز بتغير القصائد, ويعد هـذا النوع من الشعر رياضة ذهنية, يظهر فيه الشعراء بـراعتهم فـي نظـم الـشعر وقدرتهم على حل الأحاجي والألغاز, هذا بالإضافة إلى أن فيها نوعاً من التـسلية, وقد اقتصر خوض غمار هذا الفن في القرن الخامس الهجري على شاعرين همـا المعتمد بن عباد ووزيره ابن زيدون, باستثناء قصيدة واحدة لأبي طالب بن مكي(

---

(135) المعتمد بن عباد, الديوان، ص102-104.

بعث بها إلى ابن زيدون , ولم يردْ هذا اللون من الرسـائل الـشعرية عنـد[136] غيرهم من الشعراء وقد مات بموتهما (137) .

ومن تلك المطيرات رسالة بعث بها ابن زيدون إلى المعتمد بن عبـاد, وقـد مدحه

ببيت شعر معمى في هذه الرسالة, نقتبس من الرسالة الشعرية بعض الأبيـات التي

ورد فيها اللغز:

وافاك نَظْـم لي فـي طيـهِ   معنى مُعمى اللفظِ مسْتُورُ

مرامُهُ يصْعُبُ ما لمْ يُبحْ   بالسر قُـمْري وعُصْـفورُ

وبـُلبُـلٌ ثُـم يكر الا ــذا   تقدمـا, فاللفـظُ مكرُور

ومنها:

وثُـم فاعلمْ أن موْضُوعها   حرفٌ لِفَصْل اللفْظِ مقْدُورُ

وفي الذي عميت نُصح لمن   حُد من الأعداءِ مشْـكُورُ

وقد فك المعتمد اللغز بالبيت التالي:

أنتَ إنْ تَغْزُ ظافِرُ   فَلْيُطعْ من يُنافرُ(138)

كما كتب الوزير أبو طالب بن مكي قصيدة معماة بأسماء الطيور, فأجابه ابـن زيدون مضمناً حل اللغز في نهاية الرسالة الشعرية:(139)

أيـها المُـرْسِلُ أطيار المُعمى لامْتِحاني

---

(136) هو محمد بن مكي بن أبي طالب بن مختار القيسي, يكنى أبا طالب, ولي أحكام الشرطة و الأحباس وأمانة الجامع،وكان محموداً فيما تولاه من أحكامه، وله حظ وافر من الأدب، (ت 474 هـ/1081م). (ابن بشكوال, أبو القاسـم خلـف بـن عبـد الملـك (ت578 هـ/1182م), الصلة في تاريخ أئمة الأندلس, تحيـق إبـراهيم الإيبـاري, دار الكتـاب المصري (القاهرة), دار الكتاب اللبناني (بيروت), ج 3، ص808.

(137) أنظر: ابن زيدون , الديوان،ص616-618 .

(138) ابن زيدون، الديوان،616 – 618

(139) ابن زيدون , الديوان،ص595 .

هاك كي تَـزْداد في الآدابِ عِلْماً بِمكاني

قَدْ أتَتنَا الطيرُ تَشدُو بعْض أبْياتِ الأغَاني

"يا بعيد الـدارِ مـْوصُولاً بِقَلْبي ولِساني

رُبما باعدك الدهـرُ, فَأدْنَـتْك الأمـاني "

و يشير ابن زيدون في هذا الرد إلى تسمية هذا اللون من الرسـائل الـشعرية بالمعمى, كما يتضح أن الهدف منه التمرين العقلي بقوله " لامتحاني ", ففي هـذه الرسائل اختبار لقدرة الشاعر على فك الرموز والكشف عـن موهبتـه العقليـة, ومهارته الشعرية في النظم, فجاء رد ابن زيدون بأن هاك الجواب كـي تعـرف قدري ومكانتي في العلم.

فاللغز صعب لا يستطيع أن يجيب عليه إلا صاحب القدرة والـذكاء المتميـز, ولاشك أن تلك الرموز كانت معروفةً لدى هؤلاء الشعراء دون غيرهم.

الفصل الثاني

القضايا الخاصة في الرسائل الشعرية

تتمثل القضايا الخاصة في تلك الرسائل التي يستخدمها الشاعر في التعبير الفني عن ذاته وانفعالاته وعواطفه بشيء من الاستقلال الذاتي، كما تتمثل في تلك الرسائل التي يستخدمها الشاعر في ترجمة ذاته والكشف عن استجابة نفسه لكثير من المواقف المتعلقة بشخصيته وإخوانه وأصدقائه وغير ذلك؛ أي تلك الرسائل التي تدور حول موضوعات وقضايا يكون للذات الشاعرة دور كبير فيها، ومن أهم هذه الموضوعات:

1.2- الاستمناح والطلب:

الشعرية يعد الاستمناح والطلب من الأغراض المهمة التي تناولها الشعراء في رسائلهم الشعرية، ويمكن تقسيمه إلى عدة أنواع، منها:

أ-الاستجداء: يعد الاستجداء نوعاً من أنواع الطلب، ومنه الاستجداء الواضح الصريح و الاستجداء بالتلميح.

ومن الاستجداء الصريح رسالة بعث بها ابن دراج القسطلي[140]إلى أحد الحكام يطلب منه العون والمساعدة، حيث يقول: [141]

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ حُمر الحواصل لا ماء ولا شجر

ما أوضح العذر لي لو أنهم عذروا وأجملّ الصبر بي لو أنهمُ صبروا

لكنَّهم صغُروا عن أزمةٍ كبرتْ فما اعتذاري عمنْ عذره الصغرُ

فجعل الشاعر من أطفاله وسيله للاستجداء, فاستعان ببيت الحطيئة لايصال الصورة إلى الممدوح.

---

(1) هو أحمد بن محمد بن دراج أبو عمر الكاتب المعروف بالقسطلي , شاعر مشهور وعالماً بأمور النقد توفي حوالي (421هـ/1030م).(الضبي, البغية، ص158؛ الحميدي؛ الجذوة، ص110؛ الديوان، ص8).

(141) ابن دراج القسطلي،أحمد بن محمد،(ت 421هـ/1030م)،ديوان ابن دراج القسطلي , حققه وقدم له وعلق عليه محمود علي مكي , منشورات المكتب الإسلامي،دمشق , ط1، 1961م، ص547.

ومن هذا النوع من الاستجداء رسالة شعرية كتب بها أبو بكر بن الدوس[142] -بعد ترفع عن الاستجداء بالشعر _ إلى المعتصم بن صمادح, حيث يقول: [143]

إليك أبا يحيى مددتُ يد المـُنى وقِدماً غَدت عن جُودِ غيرك تُقبضُ

فكانت كنور العين نام مع الدجى فلما دعـاهُ الصبـحُ لباهُ ينهـضُ

ونجد الاستجداء بالتلميح، في قول ابن عبدون مخاطباً الوزير أبا الحكم عمرو بن مذحج بن حزم بأبيات، منها قوله [144]:

أبا حكـمٍ أبلغ سلام فمـي يديْ أبي حسنٍ وارفقْ فكلتاهما بحرُ

ولا تنس يُمناك التي هي والندى رضيعا لبانٍ لا اللجينُ ولا التبرُ

ب- أما النوع الثاني وهو التقدم بطلب شئ مادي ملموس ولا يدخل هذا في باب الاستمناح والاستجداء دائماً، وهو طلب صريح مثل قـول أبي عامر بن الفرج[145]وقد كتب به إلى الفضل بـن حـسداي[146] يطلب منه دواء[147]

إن كان عندك شيء من الدياخيلون

---

[142] هو محمد بن أغلب بن أبي الدوس البياسي , من حسنات بياسة في علوم العربية وقد ولع بالتنقل والتغرب , وقد أقام في خدمة المعتصم بن صمادح بالمرية (ت 511 هـ/1117م). (ابن سعيد, المغرب، ج2، ص72؛ ابن خاقان، المطمح، ص 300)

[143] ابن خاقان، القلائد ص622؛ ابن خاقان، المطمح، ص301.

[144] ابن عبدون, الديوان, ص 136.

[145] هو ذو الوزارتين أبو عامر بن الفرج،كان من بيت رياسة، وهو وزير المأمون بـن ذي النون ملك طليطلة ثم وزير ابنه القادر. (ابن سـعيد، المغـرب، ج2، ص 303 –304؛ ابن بسام، الذخيرة، ق3،م1،ص103 – 104؛ ابن خاقان، المطمح،ص186 –187؛ ابـن الأبار، الحلة، ج2، ص171).

[146] كان أبوه يوسف من بيت أشرف اليهود أما ابنه أبو الفضل فقد أسلم وأحسن إسلامه بعد أن أحب جارية مسلمة , وبرع في البلاغة والشعر والأدب وأحكم علم اللسان.(ابن سعيد , المغرب،ج2،ص 441؛ ابن دحية , المطرب،ص 196؛ ابن بسام , الذخيرة، ق3، م1، ص 457)

[147] ابن بسام , الذخيرة ق 3م1 ص 486.

فابعث به تتعوض منه بشكرٍ ثمين

ومن رسائل الطلب أيضاً أن أبا بكر أبن القبطرونة[148] كتب إلى المنصور بن الأفطس[149] يستجدي بازياً، حيث يقول: [150]

يا أيها الـملـك الـذي آباؤه ... شُم الأنوف من الطراز الأول

حليتَ بالنعمِ الجـسام جسيمةً ... عنقي فحل يدي كذاك بأجـدل

وامنن به ضافي الجناح كأنما ... حُذيتْ قوائمـه بريـح شـمأل

ونجد أحياناً الطلب لشيء غير مادي كما اعتدناه, فهذه بثينة بنت المعتمـد بـن عباد[151]في أثناء وقوعها في الأسر بعد سقوط أشبيلية بيد المرابطين , تكتب إلـى أبيها رسالة شعرية تطلب منه الموافقة على زواجها من ابن التاجر الذي اشتراها , تقول فيها [152]:

اسمعْ كلامي واستمعْ لمقالتي ... فهي السلوكُ بدت من الأجيادِ

لاتنكروا أني سُبيتُ وأننـي ... بـنتٌ لملكٍ من بنـي عبـاد

ومنها تتحدث عما حدث لها بعد الأسر، في محاولة منها سرد حكايتهـا علـى شكل أقصوصة:

قام النـفاق على أبـي في مُلكِهِ ... فدنـا الفراق ولم يكن بمرادِ

فخرجتُ هاربةً فـحازني امـرؤ ... لـم يأتِ في إعـجاله بسدادِ

إذ باعني بيـع العبـيدِ فضـمني ... مـن صـانني إلا من الأنكادِ

---

[148] كتب للمتوكل بن الأفطس ولابن تاشفين وتوفي بعد سنة (520 هـ/1126م). (الوائلي، موسوعة شعراء الأندلس ص 44)

[149] هو المنصور عبدالله بن الأفطس بن سلمة، وهو أول ملوك بني الأفطس، وصارت بعده إلى ابنه المظفر بن الأفطس. (ابن سعيد، المغرب، ج1،ص 364).

[150] المقري، النفح، م4، ص313.

[151] هي بثينة بنت المعتمد بن عباد, وبنت اعتماد الرميكية , كانت من جملة من سبي وقت زوال ملك أبيها , عند دخول المرابطين , وكانت بثينة على نحو من الجمال والنادرة ونظم الشعر. (المقري , نفح الطيب،م4،ص284).

[152] المقري , نفح الطيب , م4،ص284.

وأرادنـي لنـكاح نجـلٍ طاهـرٍ حسن الخلائق من بني الأنجاد
ومضى إليك يسوم رأيك في الرضا ولأنت تنظر في طريق رشادي
فـعسـاك يا أبـتي تعـرفني بـهِ إن كان ممـن يرتـجى لوداد
وعسـى رميكـية المـلوك بفضلها تدعُو لنـا باليُمـن والإسعاد

فأجاب المعتمد على رسالتها قائلاً:

بنيتي كوني به برةً فقد قضى الدهر بإسعافه

لقد كانت رسالة بثينة بنت المعتمد تحكي ترجمة ذاتية قصيرة " وقد بلغت هـذه الشاعرة من البراعة في الشاعرية والصفاء في الأسلوب المهذب الرقيـق مبلغـاً استطاعت فيه أن تنقل قصة واقعية من أكثر القصص في التاريخ أسى"[153]

ويمكن أن نلمس في هذه الرسالة الشعرية حرية التراسل "المراسلة " سواء كان ذلك للفتيات الجواري أو السجناء، كما نلمس مدى عفة هذه الفتاة ومدى حرصـها على نسبها، فلم تقبل الزواج إلا بعد موافقة أبيها وبعد عقد النكاح، على الرغم من الظروف الصعبة التي كانت تمر بها.

جـ - طلب المودة والصداقة (اختطاب الود):

يعد لوناً من ألوان الطلب، لكنه طلب لتقريب القلوب, وتمتين روابط المودة بين الأصدقاء والإخوان.ومن هذا اللون من الطلب نجد رسالة شعرية كتب بهـا أبـو العلاء بن زهر إلى ابن عبدون يخطب فيها وده، حيث يقول[154]:

نصيبي من الدنيا مـَودةُ مـاجدٍ أهـيـمُ به سراً وأخـدمـُهُ جهرا
له الخيرُ إنْ يأذن أقُل غير عاذلٍ وإن يأب أسكتْ عنه لا طالباً عذرا
خطبتُ إليه مـن هواه عـقيلـةً وأعطيتُ من شكري وأغـل بـه مهرا
فإن زفها دوني إلى كـل خاطبٍ فـلم يـر مثلي لا وفـاء ولا برا

---

(153) علي، سلمى سلمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي "عصر الطوائف" رسالة جامعيـة، بغداد،1986، ص227.

(154) ابن بسام , الذخيرة، ق2، م1،ص 228- 229.

وتكشف لنا هذه الرسالة عن سلوك رفيع كان الأندلسيون يتبعونـه, وهـو طلـب الصداقة بالاستئذان.

ومن ذلك رسالة أخرى كتب بها ابن بسام إلى الوزير أبي بكر بن عبد العزيـز خاطباً وده, يقول منها (155):

فجئتك خاطب ودٍ فلا ترد أبا بكر من قد خطب

وإن لم يكن أفقنا واحداً فينظمنا شمـلُ هذا الأدب

وكتب ابن عبد العزيز إلى بعض من طلب وده بقوله (156):

أخاطب ودٍ من أخٍ لك عنده إنابـةُ مخلوع العـنان إذا لبى

تفيأ إذا ما شئت ظل ظلوعه ظليلاً وردْ من وده شبماً(157) عذبا

هـ - طلب الجواب على الرسائل الشعرية :

أشرنا في ما تقدم إلى أن كثيراً من الشعراء الذين كانوا يوجهون رسـائلهم الشعرية إلى الآخرين، كانوا يتطلعون إلى الإجابة على رسـائلهم شـعراً أيـضاً، ويبدو أن ذلك يعود إلى رغبتهم في امتحان مقدرة المخاطبين على إجابتهم، ومـن ذلك الرسالة الشعرية التي بعث بها المعتمد بن عباد إلى الحصري (158), وكان قد بعث له بثلاثين مثقالاً, وأدرج قطعة من شعر طيها, معتذراً من نزرها, راغباً في قبولها, فلم يجاوبه الحصري, فكتب إليه المعتمد معاتباً إياه على عدم إجابته علـى رسالته، ومعبراً عن رغبته في الجواب، حيث يقول:(159)

---

(155) ابن بسام , الذخيرة،ق 2،م2،ص 539.

(156) ابن بسام , المصدر نفسه،ق 2، م 2،ص 554.

(157) الشبم : العذب البارد (اللسان : مادة " شبم ").

(158) من الشعراء الطارئين على الأندلس مدة ملوك الطوائف. (ابن بسام, الذخيرة،ق2،م1 , ص 66).

(159) المعتمد بن عباد , الديوان، ص91.

قُل لمن قد جمع العلم وما أحصى صوابهُ

كان في الصـرة شـعر فَتنـظرنا جوابه

قد أثَبنَاك فهلا جاـب الـشـعـرُ ثـوابه

وكتب ابن زيدون إلى ولادة يؤكد عليها بضرورة الرد علـى رسـالته حيـث يقول(160):

وفي الجواب متَاع لو شفَعتِ به بيض الأيادي التي مازلْت تُولينا

عليكِ منـي سـلامُ الله ما بقِيتْ صبابةٌ بك نخفيـها فتَخـفـَيـنا

وتكشف هاتان الرسالتان عن مدى اهتمام الشعراء بالمراجعة علـى رسـائلهم الشعرية.

وقد نجد بعض الأدباء, يتوجه بالطلب إلى أحد مصنفي الكتب لإدراج أخباره ضمن الكتاب الذي يقوم بإعداده , ومن ذلك أن أبا العباس أحمد بن قاسم (161) لما بلغه جمع ابن بسام لكتاب الذخيرة , خاطبه بقوله(162) :

يا من تكلفَ جمع المجد في ورقٍ أنا أُناديك جهراً غير تعريض

ذهبتَ عصرك يا من شعرهُ ذَهب بالمذهباتِ فأتبعنا بتفضـيض

فشـبـهُ تبـرك مـتلواً بفضـتنا جُمان خودٍ على لباتها البيض

2.2- الاستدعاء:

لقد كان للمجالس الأدبية التي تعقد في الرياض والمتنزهـات، أوفـى قـصور الملوك والأمراء أكثر من هدف أهمها النقد الأدبي، ومطارحة الشعر وقرضه، أو السمر والمجون، والغزل بالغلمان، وما إلى ذلك من أمور تبعـث الـسرور فـي النفس، وتزيل عنها الهموم.

---

(160) ابن زيدون , ديوان ابن زيدون ورسائله، ص 148.

(161) هو أحمد بن قاسم بن عيسى أبو العباس المقْري, وهو المعروف بأبي العباس الأقليشي نسبة إلى أقليش من أعمال طليطلة , وهو كاتب وشاعر ,(ابن بسام , الذخيرة،ق1،م2،ص905؛ الحميدي , الجذوة،ص142؛ابن سعيد , المغرب،ج1،ص 109).

(162) ابن بسام، الذخيرة ق 1،م 2،ص905.

وقد وصف لنا الشعراء تلك المجالس، وما يدور فيها من طربٍ ولهو، فهذا ابن خفاجة يكتب إلى أبي إسحاق بن ميمون, مستدعياً إياه لحضور مجلس أنسٍ، وقـد أعد لذلك المجلس فراخَ حمام وعنباً، يقول في ذلك(163) :

بما حُزتهُ من شريفِ النظامِ وأرهفتَهُ من حواشي الكلامِ
تعالَ إلى الأنـسِ في مجلسٍ يهُز بهِ الشيخُ عطفَيْ غلامِ
رطيبِ النـسيـمِ كأن الصبا تُـجررُ فيه ذيول الغمامِ
يكـادُ سـروراً بأضـيافـهِ يهش فيـلقاهُمُ بالسـلام

هذه صفات المجلس الجديد الذي أعده ابن خفاجة لصديقه، فهو يمتـاز بلطافـة الجو، ورقة النسيم ورطوبته، حتى كأنما يهش مبتسماً لاستقبال أضيافه، أما مـن يشملهم ذلك المجلس فهم ثلةٌ من الشعراء والأدباء.

و ينتقل الشاعر بعد هذا الوصف إلى ذكر ما أُعِد لهذا المجلـس مـن طعـامٍ وشرابٍ:

وعندي لمثلك منْ خاطبٍ بناتُ الحـمامِ وأُم المُدامِ
وصفراءُ طلّقـتُ بنتاً لها وما للكرامِ ومأتى الحرامِ

ونجد أبا بكر بن القبطورنة يستدعي إلى مجلسٍ، ويصف لصديقه ما أُعِد لهـذا المجلس من طعام وشراب، ثم يعتذر عن عدم الزيادة في الاحتفال لهذا اليوم خوفاً من اللوم، حيث يقول(164):

دعاك خليلُك واليومُ طَل وعارضُ خد الثرى قدْ بقَل
لِقـدرين فاحا وشَمامةٍ وإبريق راحٍ، ونعـم المحلّ
ولـو شـاء زاد ولكنهُ يلامُ الصـديقُ إذا ما احتفلْ

ولعل من بين أسباب انتشار مجالس اللهو والمجون؛ شيوع القلق النفـسي بـين الناس، ذلك القلق الملازم دائماً للاضطرابات النفسية السياسية، فليس للناس قرار،

(163) ابن خفاجة، الديوان، ص 245.

(164) ابن خاقان، القلائد 437؛ ابن سـعيد، المغـرب ج1، ص368؛ العمـاد الأصـفهاني، الخريدة، ق4،ص417.

خاصة هؤلاء المسؤولين عن الإمارات سياسياً واجتماعياً فدعوا من أجل ذلك إلى مجالس الشراب، يقيمونها, ويدعون الناس إليها.[165]

وقد تعددت دوافع الرسائل الشعرية في الاستدعاء فنجد الدعوة إلى حضور مجالس الأنس واللهو والطرب وشرب الخمرة، ومن ذلك قول أبي الوليد محمد بن عبد العزيز المعلم[166] مخاطباً أبا عامر بن مسلمة: [167]

يا ابن الكرام السادة الخُلَص قولاً بلا إفك ولا خَرص

ماذا ترى في القصف متكئاً مع رنةِ الطنْبور والرقص

أهل العراق على مذاهبها لا تلقَ فيهم غير مرتخص

كما يمكن أن يرافق انعقاد مجالس اللهو والمجون، عقد ندوات أدبية في الرياض والمتنزهات، لمدارسة الشعر والأدب، ومناقشة بعض القضايا النقدية، ويتم الاستماع إلى بعض الأخبار والقصص، وتدار خلال ذلك أكؤس الراح، ويستمع لأغاني الطرب، فمجلس اللهو حافل بصنوف اللهو والترف والطرب، يقول ابن المعلم:

فلعلّني أشفي بريقتَها من عارضٍ في الصدر كالغصص

وألذ عند سماع مُبْهجها من طيب الأخبار و القصص

فأجابه أبو عامر بن مسلمة بأبيات منها:

يا جهبذاً قال بالرخَص القصفُ عندي غايةُ الفُرص

مع ماجدٍ حلو شمائلُهُ ذي حُنْكةٍ للهو والقنص

في مجلسٍ قد طاب مجلسُهُ خالٍ من التكدير والنغص

---

(165) أنظر: شلبي، سعد إسماعيل، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر (عصر ملوك الطوائف)، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ص 429.

(166) هو محمد بن عبد العزيز بن المعلم، أديب شاعر، يروي عنه ابنه عبد العزيز، وهو من شعراء المائة الخامسة. (الحميدي، الجذوة،ص 70؛ ابن بسام، الذخيرة،ق2،م1،ص112).

(167) ابن بسام، الذخيرة،ق2،م1،ص 124.

وتكشف لنا الأبيات السابقة عن أن الهروب من مشاكل الحياة اليومية، ومحاولة نسيان الهموم، والترويح عن النفس، كانت تدفع الشعراء للذهاب إلى مجالس اللهو والشراب.

ونجد الدعوة أحياناً لحضور مجلس في منزل أحد الشعراء يحضره كبار القوم، ومن الأمثلة على ذلك رسالة شعرية كتب بها أبو الحكم بن مذحج إلى أبي محمد بن عبدون، حيث يقول[168]

زرني فديتك يا زعيم الناس   لترى بدوراً من كبار أناس

أنت الهزبرُ وهم جآذر جاسمٍ   قد خيموا من منزلي بكناس

يا راضعاً در المكارم قف بنا   "ما في وقوفك ساعةً من باس"

وفي أغلب حالات الدعوة نجد المستدعي يركز على وسم المدعو بقول الشعر ونظمه.

وقد نجد الدعوة لحضور مجلس أحد الملوك، فهذا المعتمد يدعو مجموعة من الشعراء إلى مجلسه، برقعة مكتوب فيها: [169]

حسد القصرُ فيكم الزهراء   ولعمْري وعمركُمْ ما أساء

قدْ طلَعْتُمْ بها شُموساً صباحاً   فاطْلُعُوا عِنْدنَا بُدُوراً مساء

وهذا المتوكل يدعو ابن عبدون على إثر خمرة كان بعثها إليه، حيث يقول [170]:

قد وصلتْ تلك التي زففتَها   بكراً وقد شابتْ لها ذوائبُ

فهُب حتى نسترد ذاهباً   من أُنسِنا إن اُستُرد ذاهبُ

ينجلي التأكيد على الحضور في رسالة المتوكل هذه في أبهى صوره،حيث استخدم الشاعر لفظة " فهب " وما تحمل من كل معاني السرعة؛ للتأكيد على استرداد ما ضاع عليهم من وقت دون لهو ومجون، و يؤكد ذلك شدة تعلق الملوك

---

(168) ابن بسام، الذخيرة، ق2،م2،ص592.

(169) المقري، النفح، م1،ص624 – 625.

(170) ابن الأبار، الحلة،ج2،ص107.

وشعرائهم باللهو والمجون ربما يكون ذلك صورة واضحة لما وصل إليه العرب في الأندلس من الترف والبذخ والحضارة والتطور.

ونجد ظاهرة الاستدعاء منتشرة انتشاراً كبيراً بين الشعراء، فهذا ابن زيـدون يكتب إلى أبي عامر مستدعياً(171) :

أبا المعالي نحن في روضةٍ فانقلْ إلينا القدم العاليةْ

أنت الذي لو تُشترى ساعةٌ منه بدهرٍ لم تكُن غاليةْ

نستدل من هذه الرسالة على أن ابن زيدون كان مع جماعة مـن الأصـدقاء، لقوله "نحن "، كما أن مجلسهم كان في روضة لإشارته إلى ذلك، وقـد اسـتخدم الشاعر عبارات التبجيل والتفخيم، فصديقه لا يعلو عليه أحد، والأوقـات معـه لا تقدر بثمن.

3.2 العـتاب واللوم:

كان لا بد للعلاقات الاجتماعية القوية، والروابط الأخوية الوديـة، أن يتخللهـا تموجات عاطفية سواء كانت عتاباً أو لوماً أو اعتذاراً، وقد تفاوتت درجات العتاب من العتاب الرقيق إلى اللوم الشديد والعتاب الحاد، "والعتاب وإن كان حياة المودة، وشاهد الوفاء، فإنه باب من أبواب الخديعة، يشرع إلى الهجاء، وسبب من أسباب القطيعة والجفاء، وإذا قل كان داعية الألفـة، وإذا كثُـر خَـشُن جانبـه، وثقُـل صاحبه(172)، وقد عرف أن من استبقاء المودة عتاب الإخوان، فكما قال الشاعر (173) :

إذا ذهب العتابُ فليس ود ويبقى الود ما بقي العتابُ

---

(171) ابن زيدون، الديوان، ص229.

(172) ابن الأثير،، نصر الله بن محمد، ضياء الدين،(ت637 هـ/1239م)،كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب، تحقيق :نوري القيسي وحاتم الضامن وهلال نـاجي، جامعـة الموصل،(د،ط)(د،ت)، ص71.

(173) ابن عبد ربه، أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلـسي، العقـد الفريد،شـرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته،أحمد أمين،أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، مطبعـة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة، ط2، 1956 م، ج2 ص 310.

و قال الجزار السرقسطي[174] في عتاب بعض الإخوان : [175]

وإني لأستبقي صديقي وإن جفا وأرضى بما يأتي به وهو غاضب

ولست على ما قد جناهُ مـعاقباً وإن غاضني شر الرجال المعاقبُ

بلى،ربما أوليته عتب مشـفقٍ وليس بمستبقيك من لا يعـُاتبُ

ومن رسائل العتاب الشعرية رسالة كتب بها المعتصم بن صمادح إلى ابن عمار معاتباً له على جفائه، حيث يقول: [176]

وزهدني في الناس معرفتي بهم وطول اختباري صاحباً بعد صاحبِ

فلم تُرني الأيامُ خلاً تَسُـرني مباديه إلا ساءني في العـواقبِ

ولا قلت أرجوه لدفع ملمـةٍ من الدهر إلا كان إحدى المصائبِ

وقد كانت لهذه اللهجة العتابية الشديدة عظيم الأثر في نفس ابن عمـار حتـى وصفها بقوله:

ثلاثة أبيات وهيـهات إنمـا بعثتَ إلى حربي ثلاثَ كتـائب

وكيف يلذ العيش من عتب سيدٍ وما لذتي يوماً على عتْبِ صاحبِ

ويرسل ابن البني[177] رسالة عتاب إلى أصدقائه بعد أن ردتـه الـريح إلـى ميورقة، ويبدو أن أصحابه قد ابتعدوا عنه يقول:

---

(174) أبو بكر بن يحيى بن محمد الجزار السرقسطي، لُقب بـالجزار نـسبة إلـى مهنـة الجزارة، وهو من شعراء القرن الخامس الهجري،وقد تعلقت نفسه بقول الشعر فبرع فيه (أنظر : ابن سعيد، المغرب , ج2 , ص444؛ المقري,النفح , م4 ,ص 152؛ ابن بسام , الذخيرة, ق3 ,م2 ,ص 905).

(175) الجزار السرقسطي, أبو بكر يحيى بن محمد المعروف بالجزار السرقـسطي, روضـة المحاسن وعمدة المحاسن وفصول من كتابه بادرة العصر وفائدة المصر, صنعه أبي عبد الله بن مطروح السرقسطي, تحقيق منجد مصطفى بهجت, 1988، ص90.

(176) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1،ص403-404.

أحبتنا الألى عتبوا علينا   فأقصرنا وقد أزفَ الـــوداعُ
لقد كُنتمْ لنا جذلاً وأنسـاً   فهل في العيش بعدكم انتـفاعُ
أقول وقد صدرنا بعد يومٍ   أشوقٌ بالسفينة أم نـــزاعُ
إذا طارتْ بنا حامتْ عليكمُ   كأن قـلوبنا فيـــها شِـــراعُ (178)

هذه مشاعر إنسان مخاص أبقى على الصداقة، لكنه عتب على أصدقائه بـسبب ابتعادهم عنه، إذ كان ابتعادهم لأسباب سياسية.

أما إذا مرض الشاعر، ولم يعده صديقه القريب إلى قلبه، فإن العتاب سـيكون أكثر وقعاً في النفس، وأكثر إيلاماً، فهذا أبو بكر بن سعيد البطليوسي، وقد أصابه مرض ألزمه الفراش، لا يجد زيارة من أعز أصدقائه، فيكتب إليه معاتباً مـذكراً إياه بالحديث الشريف في شرف زيارة المريض، حيث يقول(179):

نكون بحمصٍ ثلاثين يوماً   وأصبحُ منك القصي الجنيبا
وهبك تناسيتَ حُر الـــوفاءِ   ولم تَر لي في ودادٍ نصيبا
فهلا رعيتَ جزيلَ الثوابِ   وعدتَ العليلَ وزرتَ الغريبا
وتدرى الحديثَ وماذا عليه   عائد ذي السـقم حتى يؤوبا
ولكنها شيمةُ للزمــــان   أن لا صديقا وأن لا طبيـبا

وكتب الراضي إلى أبيه يعاتبه عتاباً رقيقاً, وقد رفع أخوته وأقعده,حيث يقـول:
(180)

أعيذك أنْ يكونْ بنا خمولٌ   ويطلعُ غيرنا ولنـا أفــولُ
حنانَك إن يكنْ جُرمي قبيحاً   فإن الصفح عن جرمي جميلُ

---

(177) هو أبو جعفر أحمد بن عبد المولى البني، نسبة إلى قرية بنة من قرى بلنسية، قال فيـه ابن خاقان " هو شاعر مطبوع النظم نبيله.... أليف غلمان وحليف كفر لا إيمان، ما نطق متشرعاً، ولا رق متورعاً، ولا اعتقد حشراً ولا صدق بعثاً ولا نشراً ". (ابـن خاقـان، القلائد،ص 868؛ ابن سعيد، المغرب،ج2،ص 357).

(178)ابن بسام،الذخيرة،ق2،م2،ص612؛ ابن خاقان، المطمح،ص373)

(179) ابن بسام،الذخيرة، ق2،م2،ص768.

(180) المقري،النفح،م4،ص251

لستُ بفرعك الزاكي وماذا ... يُرجى الفرعُ خانتهُ الأصولُ

ومن العتاب ما يرقى إلى اللوم الشديد، فهذا ابن زيدون يكتب معاتباً ابن جهور وقد أطال في مدحه ثم عتب عليه لسجنه إياه، يقول[181]:

قل للوزير وقد قطعت بمـدحهِ ... عمري فكان السجنُ منه ثوابي

لم تعدُ في أمري الصواب موفقاً ... هذا جزاء الشـاعر الـكذّابِ

وقال ابن اللبانة معاتباً ناصر الدولة-مبشر بن سليمان العامري ملك ميورقة - حيث يقول[182] :

سلامٌ على المجْد يندى بليلا ... كنَشْر الربى بُكْرةً وأصـيلا

سلامٌ وكنتُ أقول الـوداعُ ... ولكن أدرجُ قلبـي قليـلا

أخاف عليهِ انصداع الصفاةِ ... كفى أن يكون زجاجاً عليلا

جُرِحْتُ لديك وكنت البريء ... كما يجرحُ اللحظُ خدّاً أسيلا

أتت زلةٌ مِـنك مـحبوبةٌ ... فلم أرض بالعز منها بليـلا

تلقيتُ منها سواد الخطـوبِ ... فأشبه عندي طَرفاً كحيـلاً

ولو لم أكنْ ماضي الشفرتين ... لما فَلني الدهرُ سيفاً صقيلاً.

ويعتذر عن رحيله بقوله :

ولولا مقامي بين العداة ... لما كنت أوثر عنك الرحيلا

سعوا لي عندك في عثرةٍ ... ولا علم لي فكنتُ المـقيلا

ونرى مدى لهفته للرحيل :

أفر بنفسي وإن أصبحت ... ميورقة مصراً وجدواك نيلا

4.2- الاعتذار:

يرى ابن الأثير أن اشتقاقه من المحو، كأنك محوت أثار الموجدة من القلب، من قولهم : اعتذرت المنازل، إذا درست [183]. و" يعد الاعتذار آية من آيات الوفـاء

---

(181) ابن دحية،المطرب، ص168.

(182) ابن اللبانة،شعر ابن اللبانة، ص79-80.

(183) ابن الأثير، كفاية الطالب، ص83.

والصداقة والمودة بين المتراسلين ".[184] ومن رسائل الاعتذار رسالة شعرية كتب بها الأعمى التطيلي إلى بعض إخوانه:[185]

عداني أن أزورك صرْفُ دهرٍ ... ألح فما أطيقُ له احتِيالا
ومعذرةً بسير نبـاتِ صـدري ... إليك بها اختصاراً واحتفالا
وهم مـن هـمومٍ لـو تَوخى ... طريقَ الريح كان لها عِقالا

فقد اعتذر الشاعر عن عدم قدرته على زيـارة أصـحابه, إذ تكالبـت عليـه صروف الدهر ونوائبه, ولم يعد باستطاعته مجاملة أصدقائه ومؤانستهم.

ونجد ابن أبي الخصال[186] يعتذر لأحد أصدقائه عن استبطاء المكاتبـة بقولـه:[187]

ألم تعلموا والقلبُ رهن لديكُـمُ ... يُخبركمْ عنّي بمضمرهِ بعدي
ولو قبلتني الحادثاتُ مكانكُـمْ ... لأنهبتُها فكري وأوطأتُها خدي
ألم تعلموا أني وأهلي وواحدي ... فِداء ولا أرضى بتفديةٍ وحدي

ومن رسائل الاعتذار الشعرية ما كتب به المعتمد بن عباد إلى يوسـف بـن تاشفين عند جوازه إلى الأندلس في المرة الثانية بعـد معركـة الزلاقـة، حيـث يقول[188]

---

[184] القيسي، أدب الرسائل, ص 102.

[185] الأعمى التطيلي , الديوان, ص245.

[186]هو محمد بن مسعود أبو عبد الله بن أبي الخصال، متقدم في اللغة والآداب والكتابة والخطابة والشعر، له مؤلفات منها " ظل الغمامة وطوق الحمامة " و"سراج الأدب " توفي مقتولاً عام 540 هـ/1145م، (ابن بسام، الذخيرة ,ق3 ,م2 ,ص786؛ المطرب, ص 187؛ الضبي، البغية ,ص 131؛ ابن خاقان، القلائد, ص 518)

[187]ابن بسام, الذخيرة, ق3, م2, ص785, ابن خاقان, القلائد, ص 527.

[188] ابن الأبار, الحلة, ج2, ص 80.

يا بعيـداً وإن دنـا كم تـمنيت قربكا
أنت حسبي من المُنى ليتني كنت حسبكا

لقد تأخر المعتمد عن أداء حق الضيافة لبطالةٍ كان منغمساً فيها , فكتب بالبيتين السابقين معتذراً عن تغيبه عن لقائه.

وكتب ابن عمار إلى أبي مروان بن رزين: (189)

لقـاؤك النجْحُ لو أعقبته سفري ووجهُك الصبحُ لو أقبلتهُ نظري
وقصرك البيتُ لو أني قصدتُ به حجي ويمناك منه موضعُ الحجر
لم تثن عنك عِناني سلوةٌ خَطَرتْ على فؤادي ولا سمعي ولا بصري
لكنْ عدتني عنكم خَجلةٌ عرضتْ كـفاني الـعذر فيـها بيت معتذر
" لو اختصرتم من الإحسان زرتكمُ والعذب يهجرُ للإفراطِ في الخصر"

وقد علق ابن بسام على تضمينه البيت الأخير وهو للمعري بقوله: وما قيل في العجز عن الشكر, بكثرة البر أحسن من بيت المعري هذا, وقد تضمنه بيت ابـن عمار أحسن تضمين"(190). ومن الاعتذار عن نزر الصلة ما كتب به رفيع الدولة إلى ابن اللبانة(191) :

المجد يخجل من لقياك في زمنٍ ثناهُ عن واجب البر الذي علما
فدونك النّزر من مصفٍ مودته حتـى توفّر أيام المنى السلما

ومهما يكن من أمرٍ , فقد كتب الشعراء الأندلسيون رسائل الاعتذار بمناسـبات كثيرة منها الاعتذار عن عدم اللقاء , أو الاعتذار عن زيارة مريض أو الاعتـذار عن نزر الصلة , و ينم الاعتذار عن سلوكٍ رفيع وخلق سـامٍ اتـسم بـه أبنـاء الأندلس.

5.2- التهنئة:

(189) ابن بسام, الذخيرة ق2, م1, ص400 –401.

(190) ابن بسام, المصدر نفسه ق2 , م1, ص401.

(191) ابن بسام, المصدر نفسه ,ق 1 , م2, ص 738.

تعد التهنئة من المناسبات العامة التي تكون سبباً لاتصال أبناء المجتمـع مـع بعضهم ببعض، وإقامة الروابط الودية، وكانت الرسائل الشعرية إحـدى وسـائل الاتصال وطرقه بين الأفراد، وخاصة عند بعد المسافة، وقد أكد النقاد على وجوب اعتماد المعاني السارة والأوصاف المستطابة فيها، وأن يستكثر فيها مـن التـيمن للمهنأ، ويتجنب ذكر ما في سمعه تنغص له، ويستحسن فيها أن تستفتح بقول يـدل على غرض التهنئة، فإن موقع ذلك حسن من النفوس[192].

وقد اقام المجتمع الأندلسي كثيراً من الاحتفالات في مناسبات شتى، مثل الزواج وقدوم المولود وختان الصبيان وما إلى ذلك من مناسبات، وكان للشعراء دورهـم البارز فيها، يقدمون قصائدهم للتهنئة والتبريك، فالمجتمع الأندلسي من المجتمعات المتكاتفة ذات العلاقات الودية والصداقات الأخوية، ومما يؤكد ذلك الرسائل التـي وجهت في تلك المناسبات وهي من العادات الحسنة، التي حثنا عليها ديننا الحنيف، وحافظ عليها المجتمع بجميع طوائفه.

ونستطيع أن نقف على بعض العادات الشائعة في بلاد الأنـدلس فـي القـرن الخامس الهجري من خلال قراءة بعض الرسائل الشعرية، ومنها على سبيل المثال الرسالة الشعرية التي بعث بها الجزار السرقسطي إلى زهير العـامري [193]عنـد احتفاله بزواجه، يقول الجزارالسرقسطي مهنئاً: [194]

---

(192) القرطاجني، أبو الحسن حازم القرطاجني (ت 684 هـ ـ/1285م) منهـاج البلغـاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابـن الخوجـة، دار الغـرب الإسـلامي – بيروت، ط2، 1981م، ص352 –353.

(193) هو أبو القاسم العامري، حكم المرية بعد وفـاة أخيـه خيـران العـامري سـنة(419 هـ/1028م)، وكانت علاقته طيبة مع جيرانه في مالقة وغرناطة، واشتبك مـع قـوات باديس وقتل عام(429 هـ/1037م) (ابـن بـسام، الـذخيرة ق1 م1 ص656؛ ابـن الخطيـب، لـسان الـدين لـسان الـدين أبـو عبـد الله محمـد بـن عبـد الله السلماني(ت776هـ/1374م) الإحاطة في أخبار غرناطة، 4م، تحقيق محمـد عبـد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1974م، م1، ص517؛ ابن عـذارى المراكـشي، البيان المغرب، م3، ص169).

(194) الجزار السرقسطي، روضة المحاسن، ص 81 –87.

اليوم حُلي عاطلُ العلياء   اليوم جر الدهرُ ذيلَ بهاء
اليوم توجت العُلا وتبرجت   عند المنى في حُلة السراء
أوفى الزمانُ بعهدهِ لزفافه   خيرُ النساء لسـيد الخلفاء

ونستطيع القول إن زواج الملوك والأمراء كانت مناسبة يشارك فيها جميع فئات الشعب وطوائفه، لتقديم التهاني، وقد يصعب على بعضهم الحضور إلـى مكـان الاحتفال، فيقدم التهنئة من خلال الرسائل النثرية أو الشعرية.

وقد أشاد الجزار السرقسطي في رسالته السابقة بـصفات الـزوج والزوجـة وتماثلهما في السيادة والرفعة وتطابقهما، حيث يقول:

زُفت إلى بدر العلا شمس الضحى   فتوسطا فلكي سناً وسنـاء
كفآ عُلا وسـيادة قـد ُألـفا   ومن الـسعود تآلف الأكفـاء
وتـطابقا روحـاهما فتمازجا   مثل امتزاج الماء بالصهباء

ثم يدعو لهما باليمن والسعادة :

باليمن والإقبال والـسراء   وسعادةٍ موصولة بنـماء
طلعتْ بأفلاك ا لسعود نجومها   فانجاب ليل الحزن والغماء
لله عرساً يـا خليـفة أنها   لمـسيرة بمآتم الأعـداء

ويشير إلى إقامته للولائم والأفراح، ودعوته للمجتمع الأندلسي كله:

صنعُ خلعتَ به على كل الورى   حُللاً من السراء والنعماء
لبستْ به الأيام بُرد جمالـها   وتبرجت في حلة الخيُلاء
لما رفعتَ مؤججاً نـار القرى   فيـه لدانٍ وافـد ولنـاء
لباك منثالين في عدد الدبـى   زمر يضيقَ بهن كل فضاء

كما أشار إلى الفرح والسرور الغامرين اللذين أحسَ بهما الشعب عامة، فقد أدى هذا الاحتفال البهيج إلى اجتماع الشعب لتناول الطعام، مع كثرة أعدادهم، وهذا تعبير عن اهتمام الأمير بهم :

حتى إذا حلوا الندي وأينـعت   لهمُ رياض البشر والإدناء
كرعوا لحوض المكرمات كأنما   فازوا بعدن قبل وقت جزاء
إن يكثروا عدداً فقد أوسـعتهم   صدراً تضيق له فلا البيداء

ونلمس عند قراءة هذه الرسالة الشعرية أن الشاعر يصف هذا الاحتفال وصفاً دقيقاً يشي بأنه قد شارك في حضوره، إلا أنه من المحتمل أن يكـون قـد سـمع الأحاديث عن ذلك اليوم فنسج قصيدته وبعث بها إلى الممدوح لينال عليها جائزته المنتظرة.

وقد عبر أبناء الأندلس عن صدق محبتهم لإخوانهم من خلال تقديم التهنئة فـي تلك المناسبات، فهذا أبو عامر بن الفرج يهنئ أحد إخوانه بقدوم العيد، ويتمنى من الله أن يجمعه به، حيث يقول [195]:

أُهنئ بالعيد من وجهُهُ　　　هو العيد لو لاح لي طالعا

وأدعو إلى الله سبحانه　　　بشـملٍ يكون لنا جامـعا

كما هنأ الشعراء إخوانهم بالشفاء من المرض، فتبادلوا مـشاعر المـودة والإخلاص، ومنها رسالة شعرية بعث بها أبـو الخطـاب التجيبـي [196] يهنـئ المتوكل بن الأفطس بالشفاء من المرض وتتضمن الرسالة بيتين هما[197]:

نهنيكم بل نحن فيكم نهنأ　　　فباسمك يرعانا الإله ويكلأ

وأنت الذي أحللتنا جنة المنى　　　فنحن بما شئـنا بها نتـبوأ

كما قدم الشعراء أيضاً التهاني بالخروج من الأسر، فهذا ابن الحناط يعبر عن فرحته الغامرة بخروج المظفر بن الأفطس من الأسر، حيث يقول : [198]

ولما أقال الله عثرتك التي　　　قضى الله فيها بالنجاة وقدرا

تهللت الدنيا وأشرق نورُها　　　وأقبل سعد كان بالأمس أدبرا

---

[195] المقري، نفح الطيب ,م3 ,ص409.

[196] أبو الخطاب هو : عمر بن أحمد بن عبد الله بن عطيون التجيبي الطليطلي كان جيد صناعة، أبي النفس، غير متكسب بالشعر، وكان في جلة الفضلاء الذين وفدوا على المتوكل بن الأفطس = صاحب بطليوس، وجال على ملوك الطوائف (أنظر : ابن بسام، الذخيرة ,ق3, م2, ص 773؛ ابن سعيد، المغرب ,ج2, ص16).

[197] ابن بسام، الذخيرة, ق3, م2, ص777.

[198] ابن بسام،المصدر نفسه, ق1,م1 ,ص445.

وقد استخدم الشاعر ألفاظاً تدل على معاني السرور والسعادة " تهللت، أشرق، أقبل، نورها، سعد "

ومن رسائل التهنئة الشعرية الرسالة التي بعث بها جهور بن محمد بن جهور إلى المنصور ابن أبي عامر يهنئه بتوليه الإمارة، حيث يقول : (199)

متع الله سيدي بالسرور … وتولاه من جميع الأمور

وهنيئاً له بعزة دهرٍ … تتوالى بظل تلك القصور

كما كان النصر والظفر في المعركة دافعاً لنظم رسائل التهنئة،فقد كتـب ابـن زيدون إلى المعتمد بن عباد بعد أن عاد منتصراً من بعض حروبه،حيث يقـول : (200)

أيها الظافرُ أبشِرْ بالظفر … واجْتَل التأييد في أبهى الصورْ

وتَفيأ ظِل سعدٍ تَجْـتَنِى … فيهِ مِنْ غَرْسِ الُمنَى أحْلَى الثمرْ

وردِ الصبْح فَكَمْ مُسْتَوحِشٍ … عَرضٍ مِنْكَ إلى أنسِ الصدرْ

كان من قُرْبِك في عَيْشٍ نَدٍ … عطِرِ الآصال وضاحِ البُكَرُ

وقد استخدم الشاعر أداة النداء"أيها" وهي لنداء القريب، تعبيراً لقرب الممـدوح إلى قلبه، وهي تشير إلى القرب المعنوي لا القرب المادي. كما عبر الشاعر عن السعادة بذلك النصر، فلا حاجة لهم إلى السكر أو الاسـتماع لأغـاني الطـرب، فحسبهم ذكر المعتمد، وسماع أخباره:

قُلْ لِساقِينا"يُحِرْ أكؤسهُ" … ولشادينا "يصِلْ قَطْع الوتَرْ"

حسبُنا سكر جنتهُ ذِكْر … دونه السكر الذي يجني السكرْ

ويصور انتصار الممدوح في المعركة بقوله:

---

(199) ابن الأبار، الحلة, ج2, ص33.

(200)ابن زيدون، الديوان ,ص514 – 518.

حين صممتَ إلى أعدائهِ فانتحتَهُم منك صماءُ الغَبَرْ
فاض غمر للندى من فَوقِهمْ كان يُروي شُربهُمْ مِنهُ الغُمرْ
سبقَ الناس فصلى منك من إن رأى آثاره الزهْر اقْتَفرْ

تكشف لنا الرسائل السابقة عن أن الشعراء لم يتركوا مناسبة سعيدة، إلا شاركوا فيها بقصيدة شعرية، تؤكد عمق مشاعرهم نحو الطرف الآخر ويلاحـظ الـدارس أيضا أن أغلب هذه الرسائل كانت موجهة إلى الأمراء والملوك، مما يجعلنا نؤكـد أن وراء تلك التهاني مآرب لا تخفى.

6.2 الرثاء والتعازي

عبر الأندلسيون عن مؤاسـاتهم لإخـوانهم، بتقـديم التعـازي فـي رسـائل شعرية"وهي" تنم عن إحساس صادق بالمصاب، وتصور لواعج النفس المتصدعة بوقع الفجيعة تصويراً دقيقاً"[201]، وهذه العاطفة الصادقة، لا تكون إلا في الرسائل الشعرية الموجهة إلى الإخوان، ولا نجد ذلك في الرسائل الشعرية الموجهة إلـى الملوك والأمراء، وقد اتخذت رسائل التعازي والرثاء طابعاً خاصاً؛ إذ طغت عليها نبرة الحزن، كما حفلت بتقديم العبرة والعزاء من خلال مصائب الغير.

ومن الأمثلة على الرسائل الشعرية في التعزية، بيتان من الشعر كتب بهما أبـو القاسم بن الجد[202] إلى الوزير الفقيه أبي القاسم الهوزني [203]يعزيه عنـد وفـاة أخيه،

حيث يقول: [204]

---

(201) القيسي، أدب الرسائل في الأندلس، ص294.

(202) هو محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرج بن الجد الفهري، أخو الحافظ أبي بكر بن الجـد، كان من أهل التفنن في المعارف والآداب والبلاغة، تسلم مقاليد الفتوى في لبله، توفي سـنة 515 هـ/1121م. (ابن دحية، المطرب، ص190؛ ابن بسام، الذخيرة, ق2, م1, ص285؛ المراكشي، المعجب، ص 237؛ ابن سعيد، المغرب ج1 ص 341) .

(203) هو أبو الحفص عمر بن الحسن الهوزني، يكنى أبو القاسم، وتشير المـصادر إلـى أنـه سعى في فساد دولة بني عباد عند أمير المسلمين يوسف بن تاشفين أخذاً بثأر أبيه الذي قتلـه المعتمد بن عباد، توفي (512 هـ/1118م) (ابن سعيد، المغرب ج1، ص 240).

(204) ابن بسام، الذخيرة ,ق2 ,م1 ,ص314.

لا بد من فقدٍ ومن فـاقد   هيهات ما في الناس من خالدٍ

كن المعزى لا المعزى به   إن كان لا بد من الواحـدِ

يؤكد الشاعر أن الموت سنة الحياة، وأن الخلود مستحيل، وفي الرسالة محاولة لتخفيف ألم المصيبة ووقعها في النفس، وتقترب هذه الرسالة من رسالة شعرية أخرى، تحمل المضمون نفسه بعث بها ابن أبي الخصال معزياً أحد أصدقائه، حيث يقول: [205]

إني أعزيك لا إني على ثقةٍ   من البقاء ولكن سنة الدين

فما المعزى بباقٍ بعد صاحبه   ولا المعزي وإن عاشا إلى حين

كما قدم التعزية أبو جعفر اللمائي [206]إلى صديقه أبي جعفر بن عباس[207] بوفاة أبيه،حيث يقول: [208]

ستسفح عيني عليه دماً   إذا ما العيون سفَحن الدموعا

فقد كان غصني به ناعماً   وروضي أنيقاً ودهري ربيعا

ويرى ابن رشيق أنه ليس بين الرثاء والمديح فرق، إلا أن يخلط بالرثاء شـيء يدل على أن المقصود به ميت، مثل "كان، أو "عدمنا به كيت وكيت ".[209]

ويمتزج الرثاء بالتهنئة أحياناً، ونجد ذلك في تهنئة الحاكم الجديد وتقديم التعزية والرثاء للحاكم الراحل،ومن الرسائل الشعرية في هذا المجال، الرقعة الشعرية التي

---

(205) ابن بسام، المصدر نفسه، ق3،م2، ص798.

(206) هو أحمد بن أيوب، عمل كاتباً لدى علي بـن حمـود، تـولى تـدبير ملكـه،(ت 465 هـ/1072م) بمالقـة. (ابـن بـسام، الـذخيرة, ق1 ,م2 ,ص617؛ لـسان الـدين بـن الخطيب،الإحاطة ,م1، ص240 –243؛ الضبي، البغية،ص520؛ ابن سعيد، المغـرب ,ج1 ,ص446).

(207) هو أبو جعفر أحمد بن عباس الوزير الكاتب، عرف بالمال والبخل والعجب والكتابـة، وقد كان السبب في المعركة التي حدثت بين باديس وزهير العامري، وفيها أُسِر وقُتِل (ابن بسام، الذخيرة،ق1،م2،ص643)

(208) ابن بسام، الذخيرة ق1،م2،ص619.

(209) ابن رشيق، العمدة، ج2، ص805.

بعث بها ابن زيدون إلى أبي الوليد بن حزم يعزيه بوفاة والـده، ويهنئـه بولايـة الحكم، في أبيات منها: (210)

إساءة دهرٍ أحسن الفعل بعدها وذنبُ زمانٍ جاء يتبعهُ العُذرُ

فلا يتهن الكاشحون ؟فما دجا لنا الليلُ إلا ريثما طلع الفجرُ

وإن يكُ ولى جهور فمحمد خليفتهُ العدلُ الرضى وابنه البر

لعمري لنعم العلق أتلفهُ الردى فبان، ونعم العلق أخلفه الدهر

ومن رسائل الرثاء رسالة بعث بها أبو عامر بن شهيد _عندما تزايـد سـقمه، وغلب عليه الفالج، مع شدة ضغط الأنفاس وعدم الصبر_ إلى أبي محمد بن حزم يرثي فيها نفسه (211)، ويشكو ما ألم به، يقول: (212)

ولما رأيتُ العيشَ ولى برأسهِ وأيقنتُ أن الموتَ لا شك لاحقي

تمنيتُ أني ساكن في غيابةٍ بأعلى مهب الريح في رأس شاهق

أذر سقيطَ الحبِ في فضل عيشةٍ وحيداً وحسي الماءِ ثني المـفالق

ويختم رسالته الشعرية بكتابة وصيته إلى ابن حزم بأن يؤبنه ويذكر صفاته الحميدة، إذ إن في ذلك مما يبعث الراحة في نفسه :

فلا تنس تأبيني إذا ما فقدتـني وتذكار أيامي وفضل خلائقي

فلي في ادكاري بعد موتي راحةٌ فلا تمنعونيها عُلالة زاهق

وأني لأرجُو الله فيما تقدمتْ ذنوبي به مما درى من حقائقي

نلمس في أبيات ابن شهيد السابقة صدق العاطفة وحرارتها وقد عبر عن حزنه الشديد أصدق تعبير، وهذا يوافق رأي حازم القرطاجني في الرثاء، إذ إنه يرى أنه يجب أن يكون شاجي الأقاويل مبكي المعاني مثيراً للتباريح، وأن يكـون بألفـاظ سهلة مألوفة، وأن يستفتح بالدلالة على المقصد (213).

---

(210) ابن زيدون، الديوان، ص 523 – 530.

(211) ابن بسام، الذخيرة ,ق1 ,م1 ,ص328.

(212) ابن شهيد، الديوان، ص133-134

(213) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ص351.

في ضوء مما تقدم يمكننا القول إن الرسائل الشعرية التي كـانوا يبعثونهـا لتعزيه الإخوان والأصدقاء الأعزاء، الذين تربطهم علاقات ودية، تحمل مـشاعر صادقه، وتعبر عن إحساس صاحبها و فجاعته بالمصاب فقدمت -نيابـة عنـه- العزاء ممزوجاً بنغمة من الحزن على عكس الرسائل الشعرية في التهنئـة؛ إذ لا نرى فيها صدق العاطفة، ويمكن أن يكون السبب في ذلك أن أغلب رسائل التهنئة الشعرية كانت موجهة إلى الحكام والوزراء وهدفها الرئيس كسب ود الحاكم.

7.2 الاستعطاف والشفاعة :

يتمثل شعر الاستعطاف بما "يبثه الشاعر إلـى شـخص مـا لاسـتمالة قلبـه، واستدرار عطفه، أملاً بعفوه عنه، وتخليصه من ضروب الإعنات والحرمان الذي يعانيه "[214].

وقد عده عبد العزيز عتيق بنفس معنى الاعتذار، إذ يقول: الاستعطاف" فـن قديم من فنون الشعر، ويقال له الاعتذار" [215]إلا أنه يختلف عن الاعتـذار؛ فقـد يستعطف الشاعر، أو يطلب الرحمة، دون أن يعتذر عما بدر منه من أخطـاء،أو نُسب إليه من ذنوب،كل ذلك رغبة في عدم الاعتراف بالخطأ،أو أملاً في نـسيان الجرم الذي رمى به زوراً. ويحذر ابن رشيق الشاعر من قول شـيء يحتـاج أن يعتذر منه، فإن اضطره المقدار إلى ذلك، وأوقعه فيه القـضاء، فليـذهب مـذهباً لطيفاً، وليقصد مقصداً عجيباً، وليعرف كيف يأخذ بقلب المعتَذر إليه، وكيف يمسح أعطافه ويستجاب رضاه؛ فإن إتيان المعتذر من باب الاحتجاج وإقامة الدليل خطأ، لا سيما مع الملوك وذوي السلطان.[216]

---

(214) أسعد، محمد جاسر جبالي، الاستعطاف في الشعر الأندلسي"عصر ملوك الطوائف"، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، نابلس، ص8.

(215) عتيق،عبد العزيز عتيق،الأدب العربي في الأندلس،دار النهضة العربية،بيروت، 1976م، ص230.

(216) ابن رشيق، العمدة، ج2،ص 854.

وقد جاءت قصائد الاستعطاف على شكل رسائل شعرية، والمستعطَف قد يكون حاكماً أو صديقاً أو محبوبة، على أن أغلب رسائل الاستعطاف الشعرية جاءت في استعطاف الحكام.

ومن رسائل الاستعطاف رسالة بعث بها ابن عمار إلى المعتمد عندما قام هذا الأخير بسجنه، حيث يقول [217]:

سجاياك إن عافيت أندى واسمح وعذرك إن عاقبت أجلى وأوضح

وإن كان بين الخطتين مزيةُ فأنت إلى الأدنى من الله أجنحُ

يثنى الشاعر في هذه الرسالة على المعتمد ويمدح سجاياه، ليرقق قلبه ويستدر رحمته، ثم يحمل على الوشاة والحاسدين الذين كانوا السبب في سجنه راجياً منه عدم الاستماع لكلامهم:

حنانيك في أخذي برأيك لا تُطع عداتي ولو أثنوا علي وأفصحوا

فإن رجائي أن عندك غير ما يخوض عدوي اليوم فيه ويمرحُ

ويذكّر المعتمد بولائه السابق، وخدماته الكثيرة:

ولم لا وقد أسلفت وداً وخدمة يكران في ليل الخطايا فيصبحُ

ويلجأ إلى التقليل من ذنبه، عسى أن يكون سبباً في تخفيف العقوبة، أو خلاصاً مما هو فيه:

وهبني وقد أعقبتُ أعمال مفسدٍ أما تفسدُ الأعمال ثُمت تصلحُ

أقلني بما بيني وبينك من رضى له نحو روح الله بابُ مفتحُ

فهو لا ينكر وقوعه في الذنب،بل يرجو المعتمد الصفح.

وعف على آثار جرمٍ سلكتُها بهبةِ رُحمى منك تمحو وتُمْصِحُ

ويؤكد الشاعر على دور الوشاة في تضخيم الأمور، في محاولة من الشاعر لتبرئة نفسه مما نُسب إليه من وشايات لم يقترفها :

ولا تستمع زور الوشاة وإفكِهِمْ فكل إناء بالذي فيه يرشحُ

سيأتيك في أمري حديثُ وقد أتى بزور بني عبد العزيز مُوشحُ

---

[217] المراكشي، المعجب،ص113.

ويرجو منه أن لا يجعله مصدراً لشماتة الأعداء :

كأني بهم لا در لله درهم　　　　أشاروا تجاهي بالشمات وصرحوا

ويجعل الشاعر أمله معقوداً بالنجاة، مهما كان جرمه، وطريقته في الاستـشفاع محببة إلى النفس، إذ يؤكد على حبه وإخلاصه وولائه لحاكمه :

ويهنيه إن مت السلو فإنني　　　　أموتُ وبي شوقٌ إليه مبرحُ

يقول ابن الأبار"وكل ما صدر عن ابن عمار في نكبتة فمن حر كلامه، وكفـى بهذه القصيدة حسن براعة، ولطف ضراعة".[218]

ومن رسائله الشعرية في طلب الشفاعة، قصيدته التي بعث بها إلـى الراضـي يطلب شفاعته عند أبيه، حيث يقول[219] :

يا أيها الراضي وإن لم تلقني　　　　من صفحة الراضي بما أدريه

هَبْكَ احتجبتَ لوجهِ عذر بينٍ　　　　بذلُ الشفاعةِ أي عـذرٍ فيه

سهلْ على يدك الكريمة أحرفاً　　　　في من أسرتَ فتنثني تفـديه

وابن عمار في قصائد الاستعطاف يبين مكانته العظيمة فـي الدولـة وموقعـه الرفيع، ويشير إلى عدم القدرة على الاستغناء عن خدماته، مذكراً بأيـام الـسعادة التي قضاها إلى جانب المعتمد، متشوقاً إليها، عاقداً الأمل بالرجوع إلـى سـابق حاله، منكراً لأسباب القطعية، راجياً الصفح والعفو، و نجده ذلـك واضـحاً فـي رسالته الشعرية التي بعث بها إلى المعتمد عندما نفاه المعتضد إلى سرقـسطة، و مطلعها [220]:

علي، وإلا ما بكاء الغمائم　　　　وفي وإلا ما نياحُ الحمائم

أما ابن زيدون فقد زج به أبو حزم في السجن بسبب وشايات الحاسـدين كمـا أشار في عدد من رسائله التي استعطف بها الأمير، إلا أن أبا الحزم لم يستمع إليه وصم أذنيه عن سماع شكواه، وإلى ذلك يشير ابن زيدون بقوله[221]:

---

(218) ابن الآبار،الحلة ,ج2 ,ص154.

(219) ابن الأبار، المصدر نفسه ,ج2 ,ص151.

(220) المراكشي المعجب, ص103.

(2) ابن زيدون،الديوان, ص267.

أفي العدل أن وافتك تترى رسائلي فلم تترك وضعاً لها في يدي عْدل

وقد افتتح قصيدته هذه بطلب الرحمة، فهو صاحب حق مهضوم وقد سجن ظلماً وافتراء، دون وجه حق، وقد ضاق بـه الـصبر، وطفـح الميـزان، وآن لكـل المخلوقات أن تبكيه، حيث يقول(222):

ألمْ يأن أنْ يبكي الغَمامُ على مثلي؟

ويطلُب ثأري البرقُ منصلِت النصل

وهلا أقامتْ أنجـمُ الليـل مأتماً

لتنْدُب في الآفاق ما ضاع من تتلي

وقد سار الشاعران"ابن زيدون، وابن عمار"على منوالٍ واحد من حيـث التـذكير بفعل الحاسدين والوشاة، يقول ابن زيدون (223):

كان الوشاة وقد مُنِيتُ بإفكهْم أسباطَ يعقوبٍ وكنتُ الذيبا

فالشاعر لم يقترف إثماً عظيماً، ولم يرتكب فاحشة لا تغتفر، وإنما هي نزوة مـن نزوات الشباب، وكان حرياً بأبي الحزم أن يغفرها ويعفو عنه، يقول(225):

ولو أنني واقعتُ عمداً خطـيئةً لما كان بدعاً من سجاياك أن تُملي

فلم أستثر حرب الفجار ولم أطع مسيلمة إذ قال : إني من الرسـل

ومثلي قد تهفو به نشـوة الصبا ومثلك من يعفو ومالك من مِـثل

ويعقد الشاعر الأمل على زوال تلك الغمة،في رسالة شعرية بعث بها إلى ابن برد الأصغر،حيث يقول (226):

إن قسا الدهرُ فللماءِ من الصخر انبجاسُ

ولئن أمسيتُ محبوسـاً فللغيثِ احتـباسُ

---

(222) ابن زيدون , المصدر نفسه , ص 261.

(223) ابن زيدون،الديوان,ص 330 .

(225) ابن زيدون،المصدر نفسه،ص269.

(226) ابن زيدون , المصدر نفسه , ص 276.

يلبدُ الوردُ السبنـتي وله بعدُ امـتراسُ

فتأملْ كيفَ يغشى مقلةَ المجدِ النـعاسُ

ويفت المسِكُ في التـربِ فيوطأ ويُداسُ

يمكن للدارس أن يلمس في هذه الرسالة إحساساً بالعظمة، يرافقها أمـلاً فـي الخلاص مغلفاً بشيء من الاعتداد بالنفس والأنفة والكبرياء.

ومهما يكن من أمر فقد فاضت قصائد الاستعطاف بعواطف اليأس والرجـاء، والألم والأمل، كما حشد الشعراء فيها مواهبهم الشعرية، وانفعالاتهم العاطفية، وقد تميز شعرهم بالصدق العاطفي لحرصهم الأكيد على التأثير في المستعطَف.

ومن رسائل الشفاعة رسالة شعرية كتب بها أبو بكر الخولاني المنجم خاطـب بها بعض الحكام يشفع للقلمندر[227]،وقد أُخذ سكران، يقول أبو بكر[228]:

إن درء الحدودِ بالشبهات لحديثُ رواه كل الثقاتِ

ما أراهُ إلا تناولَ تفاحاً فَنَمتْ عليه في الطرقاتِ

ومنها يطلب له العفو :

اعفُ عنه وأعفْه من ثمانين تدمي أعطافه المائسات

وأقل ذنبهُ وعثرتَهُ فهو بمرآةٍ من ذوي الهيئـاتِ

وتتفق قصائد الشفاعة والاستعطاف في محاولة كسب ود المـستعطَف وطلـب المغفرة والعفو، إلا أن قصائد الشفاعة لا تكون لصاحب الذنب وإنما لصديق له يشفع له عند المستعطَف.

8.2 الفخر:

هو المدح نفسه،إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه [229]، ولا يـأتي الفخـر منفرداً في الرسائل الشعرية , بل نراه ممزوجاً بالمضامين الأخرى , فقد يرسل

---

(227) هو أبو الأصبغ،عبد العزيز البطليوسي،وكان طبيباً مستهتراً بالخمر،وكان يقول :أنا أولى الناس بأن لا يترك الخمر على علم بمقدار منفعتها. أمر المظفر بن الأفطس بقطع لسانه لكثرة أذيته،(ابن سعيد، المغرب، ج1 ,ص369)

(228) ابن بسام , الذخيرة ,ق4 ,م1 ,ص 357.

(229) ابن الأثير، كفاية الطالب، ص67؛ابن رشيق،العمدة، ج2،ص798.

الشاعر برسالة شعرية يهجو فيها شخصاً ما وفي أثناء ذلك نجده يمزج الهجـاء بالفخر والاعتداد بالنفس , وقد نجده -الفخر - في رسائل العتاب ورسائل المديح.

ومن الرسائل الشعرية في الفخر الرسالة التي كتب بها المتوكـل إلـى أخيـه المنصور بن الأفطس وقد علم أنه قُدح فيه بمجلسه , حيث يقول[230]:

ولي خُلقٌ في السخْط كالشري طعْمهُ

وعند الرضا أحلى جنى من جنَى النحل

وإني وإن كنـت الأخير زمانُـهُ

لآتٍ بما أعيى الصناديد من قبلـي

ومـا أنـا إلا البـدرُ تنبحُ نورهُ

كلابُ عداً تأوي اضطراراً إلى ظلـي

فقد كتب المتوكل رسالته في عتاب أخيه لكنه مزجها بالحـديث عـن نفـسه, والاعتداد، بها فخلقه كالعلقم في حالة الغضب أما عند الرضا فهو أحلى جنى مـن جنى النحل, كما أنه قادر على القيام بما أعجز الرجال الصناديد, وهذه كانـت ردة فعل الشاعر عند بلوغه خبر الإساءة إليه؛ لذلك برزت فـي الأبيـات نبـرة مـن الغضب والسخط.

ومن الفخر قول أبي محمد بن حزم يخاطب قاضي الجماعـة بقرطبـة ابـن بشر,[231] يقول منها[232] :

أنا الشمسُ في جو العلومِ منيرةً ولكن عيبـي أن مطلعـي الغربُ

ولو أنني من جانبِ الشرق طالع لجد على ما ضـاع مـن ذكـري النهبُ

---

[230] ابن الأبار , الحلة , ج2 ,ص 105.

[231] هو أبو المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد بن بشر , كان عالماً بارعاً متفنناً في العلوم , ولاه علي بن محمود قضاء الجماعة سنة 407هـ/1016م , وتوفي عام 422هـ/1030م. (الضبي , البغية،ص 359؛ الحميدي ,الجذوة ,ص 270).

[232] ابن بسام الذخيرة ,ق 1 ,م1 ,ص 173؛ المقري , نفح الطيب ,م2 ,ص 81.

ونجده يتشوق إلى أرض العراق لاهتمامها بالعلماء والأدباء ويذكر أهل بلاده أنه لو نزل بتلك البقاع فأنهم سيتأسفون عليه , ويتمنون قربه , حيث يقول :

هنالك يـَدري أن للبعـدِ قـصةً وأن كساد العلـم آفتهُ القرب

فوا عجبا من غاب عنهم تَشَوقوا ودنو المرءِ من دارهمْ ذنبُ

وإن مكـاناً ضـاق عـنّى لضيقٌ على أنه فيح مـذاهبهُ سُهبُ

وإن رجـالاً ضـَيعوني لضُـيـّع وإن زماناً لم أنل خصْبهُ سغْبُ

وقد كشفت لنا هذه الرسالة عن كساد الأدب في الأندلس فـي بدايـة القـرن الخامس الهجري , كما أشارت إلى اهتمام أهل الأندلس بالعلماء المشارقة وعـدم اكتراثهم لمن في بلادهم من علماء وأدباء.

ونجد بعض الشعراء يفخر ببذل الكرم والجود وتقديم العون , والـصفح عـن الجاني , فهذا المعتمد بن عباد يكتب إلى ابن بسام صاحب الذخيرة، بقوله(233):

لكفي أهدى في نداها من القطا إلى موردٍ عذبٍ علـى ظمأ برح

إذا أبطأتِ الأملاك غيري للثنا فإني وضاحُ الجبين إلى المدح

وكل امرئٍ يجني علي جريمةً فإني أُجازيه على الذنبِ بالصفح

ويفخر الشعراء بالذكاء والفطنة وإصابة الرأي, كقول ابن عمار فـي رسـالة شعرية بعث بها إلى المعتمد بن عباد, حيث يقول(234):

ستذكرني إن بان حبلي وأصبحت تئن بكفيك الـحبالُ الرثائـثُ

وتطلبني إن غاب للـرأي حاضر وقد غاب مني للخواطر باعثُ

أعوذ بـعهدٍ نـطتُهُ بك أن تـَرى تحُل عراه العاقداتُ النوافـثُ

9.2 الغزل بالغلمان: ازدهر فن الغزل بالغلمان ازدهاراً واضحاً فـي القـرن الخامس الهجري , وكانت الرسائل الشعرية وسيلة مجديـة يـستخدمها الـشعراء للتعبير عن مشاعرهم تجاه هؤلاء الغلمان.

---

(233) ابن بسام , الذخيرة , ق2 ,م1 ,ص 341.

(234) ابن بسام , المصدر نفسه , ق 2 ,م1 ,ص 406.

وقد انتشرت هذه الظاهرة في طبقة الخاصة, و دارت معـانيهم فـي تلـك الرسائل حول وصف محاسن الغلمان المادية, ووصف العذار الذي ينبـت علـى خدودهم، أو التغزل بهم ومراسلتهم وطلب وصالهم.

ومن اللافت للنظر في هذا الموضوع, أن التعلق بالغلمان والتغزل بهم لـم يكن منتشراً فحسب, بل إنه لا يبدو أمراً معيباً أو غير مرغوب فيه لاسـيما فـي وسط الخاصة لذا فهو يرد لدى كثير من شعراء هذا العصر.[235]

فقد كان بسرقسطه غلام اسمه يحيى, نشأ عند المقتـدر بـن هـود وتخلـق بالركوب والأدب, وكان في غاية الجمال والحلاوة والظرف, فعلق بقلب ابن هود, وكتم حبه زماناً فلم ينكتم, فكتب إليه [236]:

يا ظبيُ باللهِ قلْ لي متى تُرى في حـِبالـي

يمر عمري وحالي في خيبتي منك خالي

فكتب له الغلام على ظهر الرقعة :

إن كنت ظبياً فأنت الهزبرُ تبغي اغتيالي

وليسْ يخطرُ يوماً حـاول غيـل بـبالي

ثم كتب بعدهما: هذا ما اقتضاه حكم الجواب في النظم, وأنا بعد قد جعلـت رسني بيد سيدي , فعسى أن يقودني إلى ما أحب , لاما أكره , والـذي أحبـه أن يكون بيننا من المحبة ما يقضي بدوام الإخلاص , ونأمن في مغبتّـه مـن العـار والقصاص. فتركه ثم كتب إليه:

ماذا ترى في يوم أمنٍ طَرزتْ حُلل السحاب به البروق المُذهْبهْ

وأنا وكأسي لا جليـس غيرهُ ملآن لا يخلو إلى أن تـشـربه

والأنسُ إن يسرّتهُ مـتـيسـر ومتى تُصعبه فيا ما أصـعـَبهْ

فأجابه الغلام برسالة شعرية منها:

يا مالكاً بذ الملوك بـعلمـهِ وخلاله وعلوهِ في الـمرتبهْ

---

(235) خالص , صلاح , إشبيلية في القرن الخامس عشر الهجري , دار الثقافة , بيروت , 1981, ص 102.

(236) المقري , النفح ,م 3, ص 561- 562.

وافى نداك فحرت عند جوابه إذ ما تضمن ريبةً مستغربه

إنا إذا نخلو تقَـولَ حـاسـد وغدا بهذا الأمر ينصرُ مذهبه

هبني إلى يومٍ تطيشُ به النهى والبيضُ تُنضى والقنا متأشـبه

وهناك فانظرني بعيـن بصيرةٍ فالشبل يعرف أصله من جربه

وبعد وصول رقعته رفعه إلى درجة الوزارة والقيادة , إلى أن قتل في جـيش كان قدمه عليه , وقد رثاه بقصيدة أبدى فيها حزنه عليه , وألمه لفراقه.

ويمكن للدارس أن يلحظ بعض الأمور, من خلال دراسته للقصة السابقة منها ما امتاز به الغلام من الأدب والعقلانية والتقوى والذكاء, فقد استطاع أن يرد على المقتدر بما يقنعه دون أن يخدش ما في قلبه نحوه, وقد استمر تعلق المقتدر بهـذا الغلام حتى بعد وفاته.

وممن هام بالغلمان وتغزل بهم أبو الأصبغ بن عبد العزيز[237]، فقد خاطب أبا عامر بن مسلمة وابن الأبار[238] وقد رأى معهما غلاماً , بأبيات أولها [239] :

أمُفتَرِسيْ ظبيٍ أغر غـريـر ومقـتنصيْ بدرٍ أنار منير

لئن نلتما بالسحر من كل غرة ففي مُقل الغزلان كل غرور

فأجابه ابن الأبار :

لعمرك إن الظبي غيرُ غـرير وإن محيا البدر غير منير

بدت لحيةٌ في وجهه وهي لَحنَةٌ أتاحت له موتاً بغير نشور

ولأبي الأصبغ في وصف غلام وكتب به إلى ابن الأبار[240] :

(237) هو أبو الأصبغ بن عبد العزيز وزير وأديب وشاعر , (البغية ترجمة رقم 1514؛ الحميدي , الجذوة رقم 367؛ ابن بسام؛ الذخيرة, ق2 ,م1 ,ص 206).

(238) هو أحمد بن محمد الخولاني، المعروف بابن الأبار، من شعراء أشبيلية، كثير الشعر، توفي سنة 433 هـ/1041م. (الضبي، الجذوة،ص 115).

(239) ابن بسام , الذخيرة،ق2،م1،ص 207- 209.

(240) ابن بسام، الذخيرة، ق2،م1، ص (208 –209)

أمـا وخد لـه مُعذرْ   ومـبسمِ الخاتم المجوهرْ
وخَصرهِ المتعبِ المعنى   بثقل ما ضاق عنه مئزر

ومنها:

وورد خديه بعد سُكرٍ   والغنج من لحظة المحير
إن لـعينيهِ في فؤادي   أشد من وقع كل خنجر

وهذا يدل على تغزل الشعراء بالغلمان ووصـفهم لهـم كمـا يـصفون فتـاةً يعشقونها، فخصره جميل كخصر الفتاة، وخده مورد، وسهام عينيـه كـالخنجر، ويمكن أن يكون سوء أخلاق هؤلاء الغلمان سبباً في انتـشار هـذه الظـاهرة المنحرفة.وقد أجاب ابن الأبارعلى أبيات أبي الأصبغ السابقة بأبيات منها:

لست بصابٍ إلى معـذّر   بل أنا في حبه معذّر
لا أعشق الظبي ذا لجامٍ   لأنه في الظباء منكر
أهـواهُ والخد منه صُبْح   حتى إذا ما دجا تغير
أحْسنُ ما فيـه أن تـراه   بين مهاةٍ وبين جؤذر

أما إذا صد الغلام الشاعر الذي يهواه, فإن أصدقاءه المقـربين يقـدمون إليـه التعزية بذلك, فهذا أبو عامر بن مسلمة, وقد بلغه أن ابن الأبار صد عنه من يهواه, وواصل سواه, فكتب إليه [241]:

قد هجر الأنسُ والسرورُ   إذ هجر الشّادنُ النفُورُ
وأقفر الربْعُ بعد أنس   فعمر لهو الفتى قصيرُ

فراجعه ابن الأبار بأبيات منها:

قد عوُتب الشادِنُ الغـرير   فعاد من وصلِهِ اليسيرُ
ومن لي بالـجواب تيهاً   وهـو بـما قلته خَبير
فافتر عن واضحٍ شنيبٍ   فيه لميت الهوى نُشور
ثم تَلاقتْ لـنا عـيُون   تخالفَت تحتها الصدور
ترجم بالثّغر عن معانٍ   ضن بإعلانها الضميرُ

---

[241] ابن بسام الذخيرة ق2،م1، ص109- 110.

ونجد بعض الشعراء يصرح بحبه لغلام معين, فقد سجن غلام كان يهواه ابـن عمار, فكتب إلى المؤتمن يطلب منه إطلاق سراح الغلام, حيث يقول [242]:

أنا المطبق المسجون لا من سجنته وأطبقتهُ فانظر لعـبـدك أودع

حرام حرام أن تـرانـي عين منْ تراه ُفإن شئت ارتجاعي فارجع

ويا حُسن حال الود إن سمـحت يـد ولقـبتُ فيهـا بالـشفيع المشفـع

فضحك المؤتمن وأخرج الغلام من السجن.

يمكن لنا القول إن هذه هي أهم المعاني التي ترددت في الرسائل الشعرية، التي وجِهت إلى هؤلاء الغلمان، أو كان مضمونها وصف الغلام والتغزل به وإظهـار المشاعر نحوه، من حبٍ ووجدٍ وغرام.

10.2 الإهداء والاستهداء:

انتشرت عادة الإهداء والاستهداء في الأندلس بين الشعراء في القرن الخـامس الهجري، وكانت هداياهم مقرونة برسائل شعرية، في وصـف الهديـة وإبـراز محاسنها، وأحياناً تأتي رسائل الاستهداء بطلب الهدية.

وقد تعددت أنواع الهدايا المرسلة وكان من أكثرها الخمـرة، ومـن ذلـك أن المعتمد بعث إلى ابن اللبانة بقطيع مترع من الخمر، وكأس من بلاّر ومعه أربعـة أبيات هي[243] :

جاءتك ليلاً في ثيابِ نـَهـار من نُورها؛ و غِلالة البُلار

كالمُشتري قد لف من مريخهِ إذ لفه في الماء جـذوةَ نار

لطفَ الجمـود لذا وذا فتآلفا لم يلق ضـد ضده بـنـفـار

يتحير الـراءُون في نعتيـهما أصفاءُ ماءٍ أم صفاءُ دراري

كما بعث ابن زيدون إلى جده الوزير صاحب الأحكام أبي بكر محمد بن محمد بن إبراهيم[244]صنفاً من العنب اسمه" أطراف العذارى " ,وكتب معه :

---

(242) ابن بسام , الذخيرة،ق 2، م 1، ص 388.

(243) المعتمد بن عباد، الديوان ,ص18.

أتـاك مُحيياً عني اعتـبارا　　عذارى دُونَهُ ريقُ الـعذارى

يـَرُوقُ العين منهُ جِسمُ ماءٍ　　غدا ثوبُ الهواءِ لهُ شِعـارا

ولولا أنني قد نلـتُ مـنـهُ　　ـ ولم أسكرْ ـ لِخلتُ بهِ عـقارا

بعثتُ بهِ، ولو أهديتُ نَفسي　　إليك لكان من بري اقتِصارا[245]

ومن الهدايا التي كان يتبادلها الشعراء في الأعياد الثياب، فقد بعث ابن عمـار إلى المعتمد بن عباد في يوم عيدٍ ثوب صوفٍ بحري، وكتب معه[246] :

لما رأيتُ الناس يحتفـلون في　　إهـداءِ يومـك جِـئتهُ من بابِهِ

فبعثتُ نحو الشمس شبه آياتِها　　وكسوتُ متن البحر بعض ثيابهِ

واستهدى أبو بكر بن بقي[247] من بعض إخوانه أقلاماً فبعث إليه بـثلاثٍ مـن القصب، وكتب معها[248] :

خذها إليك أبا بكر العلا قـصـبـاً　　كأنمـا صاغها الصواغُ من ورقهْ

يُزهى بها الطرسُ حسناً ما نثرتَ بها　　مسك المدادِ من الكافور من ورقهْ

فأجابه أبو بكر بأبيات منها :

---

(244) هو جد الشاعر لأمه، ورث حب العلوم والآداب عن أبيه، ولي القضاء بمدينة سالم , ثم أحكام الشرطة و القضاء بقرطبة، وكان من أهل الصرامة في أحكامه وكان مولده سنة (355 هـ/965م) ووفاته سنة 432 هـ/1040م. (ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك الخزرجي،(ت494 هـ/1100م)، الصلة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري (القاهرة) و دار الكتاب اللبناني(بيرت)،ط1،1989 م، ج2،ص763).

(245) ابن زيدون، الديوان ,ص219- 220

(246)؛ ابن خاقان، القلائد , ص257؛ ابن دحية، المطرب ,ص172

(247) هو أبو بكر يحيى بن بقي، أشاد به العماد في الخريدة وقال أنه له ما يزيد على ثلاثـة آلاف موشحة ومثلها قصائد ومقطوعات منقحة توفي سنة 540 هـ ـ/1145م، (ابـن بسام، الذخيرة، ق2،م2 ص615).

(248) ابن بسام، الذخيرة , ق2, م2 ,ص616.

أرسلتَ نحوي ثلاثاً من قناً سُلُبٍ   منآدةٍ تطعنُ القرطاس في درقهْ
فالحظّ ينكـرها والخطّ يـعرفها   والرقُ يخدمها بالرق في عنقـهْ

وبعث أبو الأصبغ بن عبد العزيز إلى أبي عامر بن مسلمة باكور بهارٍ وكتـب معها: [249]

و بـهـارٍ ألـم قـبـلَ الأوان   فـي بهاءٍ يروقُ رأي العيان
أمكن القطفَ في مدى شهر تشريـ   ـن على غير عادةِ الإمكان
سبق الزهر في الفضـائـل طـراً   وكسا بالجمال فضلَ الزمان

فأجابه أبو عامر بن مسلمة بأبياتٍ منها :

وصلَ النرجسُ المبكّر يحكي   سبقَ عبادٍ المليكِ اليماني

ومن الهدايا المتبادلة أيضاً المقص، فقد استُهدي ابن فتوح[250] مقصاً فبعث بها وكتب معها : [251]

خُذها إليك فـإنها مخلوقةٌ   من فطنةٍ مشـبوبةٍ وذكاءِ
تحكيك في دفْع الملم لأنها   ولعت بشق حناجر الأعداءِ

يقول ابن بسام " وتشبيه ابن فتوحٍ صديقه بالمقص من الوصف القبيح فهو ممـا مال فيه إلى العقوق، وعدا به سواء الطريق ". [252]

وكتب ابن السراج المالقي ـ وكان بصحبة أبي علي الحسن بن الغليظ ـ إلـى صديقٍ لهما يستهديه كأساً، حيث يقول[253]:

بقينا بلا كأس سوى شَقْف شربةٍ   يميتُ سرور الشاربِ المـُترنمِ

---

(249) ابن بسام، المصدر نفسه ,ق2 ,م2 ,ص107 – 108

(250) هو أبو المطرف عبد الرحمن بن فتوح، من مشاهير الأدباء، وله شـعر كثيـر إلا أن إحسانه نزر يسير، له مصنفات منها :" الإغراب في رقائق الآداب " ورفعه إلى المـأمون يحيى بن ذي النون، وكتاب " بستان الملوك "رفعه إلى ابن جهور.(ابن بـسام، الـذخيرة ,ق1،م2،ص770).

(251) ابن بسام، الذخيرة ق1، م2، ص784.

(252) ابن بسام، الذخيرة ق1،م2، ص785.

(253) ابن بسام، المصدر نفسه، ق1،م2،ص 874

فمُن بكأس يا فتى الفتـكِ والذي   مضى لي زمان وهو فيه معلّمي

11.2 الشكوى :

تعددت أغراض الشكوى وألوانها , فمن شكوى الزمان وغدره , إلى شـكوى القدر, وشكوى الناس وتحول الخلان وتمردهم , وما إلى ذلك من أمور تخص بني الإنسان.

ومن الشكوى ما كتب به أبو مروان بن غصن الحجاري[254], إلى أخيه مـن السجن حيث يقول[255] :

أأروى وبين ضلوعي حريقُ   وأشجى وإنسان عيني غريقُ

وفـي كل يومٍ وفي كل حينٍ   يحملني الـدهر مـالا أُطيق

فقد تكالبت عليه المصائب , حتى لاتجد طريقاً إلى سواه، فهو إنـسان يقاسـي هموم الدهر ومكائده.

تهيم الخطوب بوصلي فما   لهن إلى غير قلبي طريقْ

ولشدة ملازمة المصائب له , أصبحت بمثابة الصديق والأخ الملازم.

أخوك أخو نكباتٍ لها   يرقُ العدو فكيف الصديق

ثم يشكو سوء تقدير أهل عصره لأدبه من نظم ونثر :

كسدتُ ونظمي در نفيس   وضعتُ ونثري مسك فتيق

وقد جاءت شكواه من الزمن والناس مغلفة بنبرة من الحزن الذي يثيـر فـي النفس الأسى , والرأفة لحاله , والتألم لمصابه.

ويشكو بعض الشعراء أهل زمانه وسوء تقديرهم له , وضياع منزلتـه لـديهم فهذا أبو محمد بن سفيان[256] يشكو إلى عيسى بن لبون , عداوة أهل زمانه لـه , حيث يقول[257]:

---

(254) هو عبد الملك بن غصن الحجاري، كان أحد أعـلام طليطلـة فـي الأدب والتـاريخ والتأليفات الرائقة التي تبهر الألباب، وكان ملوك الطوائف يتهادونه من كل جانب. (ابن سعيد، المغرب، ج2، ص 33)

(255) ابن بسام , الذخيرة, ق3 , م1 ,ص332.

ألاموا وقالوا مذنب ومليم وعرضي عن تلك الهناتِ سليم

ويصرح الشاعر أن سبب عداوة الناس له هو منزلته الرفيعة ومكانته المرموقة , فكل صاحب ملك لابد أن يحسد بذلك :

وما في ما يُنْعى ولكن سؤدداً هوتْ لذوي الرجحان فيه نجوم

ويحاول الشاعر أن يواسي نفسه , عن طريق بث أحزانه إلى صديقه المخلص أبي عيسى :

فقلتُ وجفني قد تداعتْ شئونُـهُ وحر ضلوعي مُقْعِد ومقيمُ

لئن دهمتْ دهمُ الخطوب وآلمتْ فإن أبـا عيسى أغر كريمُ

يجلي دجى عميائها فجرُ رأيـهِ وينقض منها والزمانُ بهيمُ

ونجد ابن عبدون يشكو سوء حظه , وهوانه على أهل عصره، يقول مخاطبـاً بعض الأعيان [258]:

سأطلب لا بألسنةِ اليـراع سوى ذا الحظّ من أيدي الزماع

وأخبط بالسرى ورق الدياجي ووجه الموتِ محدور القنـاع

ومن شكوى الناس إلى شكوى القـدر ومعاندتـه للـشعراء , فهـذا الجـزار السرقسطي يشكو إلى صاحب الأحباس وقد اجتمع عليه خراج الأرض – جريـان الزمن عكس هواه , حيث يقول[259]:

يا أبا جعفرٍ لعـاً من عـثـار وغياثـاً فما يقر قراري

سيدي اسمعْ لعبدك القن يحيى خبراً مضحكاً من الأخبار

وقد خاطب الشاعر صاحب الأحباس ب " يا " التي تستخدم لنداء البعيـد لبعـد المكانة ثم أن في لفظتي " عبدك , القن " ما يؤكد ذلك , تواضعاً من الشاعر للتأثير

---

(256) هو وزير الأمير ابن قاسم صاحب حصن البونت , أديب وشـاعر , وقـد وردت لـه مجموعة رسائل شعرية في القلائد، (ابن خاقان , القلائد , ص 391-399؛ ابن بـسام , الذخيرة ,ق3 ,م2 ,ص 903.

(257) ابن بسام , الذخيرة, ق3 ,م3 ,ص 903.

(258) ابن عبدون، الديوان, ص 161.

(259) الجزار السرقسطي , روضة المحاسن ,ص 195.

في صاحب الأحباس وكسب عطفه , ثم نجده يبث شكواه , فـي قالـب حـزين , ومبالغة لطيفة :

لو وردت البحـار أطلبُ ماء   جف قبل الورود ماءُ البـحار

أو لمست العود النضير بكفي   لذوى بعد نضرةٍ واخضـرار

أو رمى بأسي النجوم الدراري   لانزوى ضوءُها عن الأبصار

ولو أني بعثُ القناديل يـومـاً   أُدغـِم الليلُ في ضياء النهار

فقد جعل رسالته حديثاً عن حظه العاثر , وزمانه الغادر , الذي يسير عكس ما يحب ويرغب , وقد جعل من المقابلة بين الأبيات وسيلة لبث حزنه وشكواه , علها تلاقي أذناً صاغية لدى المشتكى إليه.

ومهما يكن من أمر , فقد اختلفت نظرة الشعراء للزمن , فقد وجدناه عنـد السرقسطي متجهماً حاقداً , بينما نجده عند ابن عمار حزيناً باكياً لبكاء الـشاعر , وقد سخرت كل مخلوقات الكون لمشاركة الشاعر فـي حزنـه ومأسـاته, حيـث يقول[260] :

علي وإلا مـا بكـاء الغمائـم   وفي وإلا ما نـياح الحـمائـم

وعني أثار الرعدُ صرخةَ طالبٍ   لثأرٍ وهز البرق صفحة صـارم

وما لبست زهر النجوم حدادها   لغيري ولا قامت له في مـآتـم

وهل شقفت هوج الرياح جنوبها   لغيري أو حنت حنين الروائم

فالشاعر يحن لبلاده, ومرابع صباه وبعد أن عثر به الحظ, وطال به البعاد جعل الطبيعة تبتسم لابتسامته, وتسخط لسخطه, وتعبس لعبوسه مما يدل على مدى تعلقه بالطبيعة في حالاته المختلفة[261], وشتان ما بين نظرته للطبيعة ونظرة السرقسطي لها.

12.2 الشكر والثناء:

---

(260) المراكشي، المعجب, ص103.

(261) الصمادي , ساري على , ظاهرة الحزن في الشعر الأندلسي فـي القـرن الخـامس للهجرة , الجامعة الأردنية، رسالة ماجستير, 1990, ص 205.

أحس كثير من الشعراء بواجب شكر أقرانهم والثناء عليم لما كـانوا يقدمونـه إليهم في ظروف ومناسبات مختلفة.

ومن هذه الرسائل ما بعث به ابن السيد البطليموسي إلى أحد الشعراء مراجعاً عن قصيدة مديح وردته من أحد شعراء قرطبة, يقول فيها(262) :

أمـا الجزاءُ فشيء لسْتُ مُدْركهُ ولوْ بدرتٌ إلى الـتـوجيهِ بالبِـدر

لكن جزائي صفاءُ الوُد أُضْمِرُهُ إذا القُلوبُ أنْطَوتْ مِنْهُ علـى كَـدر

جاراكَ ذِهْني في مِضْمارها فكبا ذِهْني , وفُزْتَ بخَصْل السبق والظفَر

وهل بطليوسُ في نظمٍ مناظرةً يومـاً لقرطبـةٍ فـي حـكــمِ ذي نَـظَـر؟!

لقد حاول الشاعر شكر صديقه بشيء من المجاملة اللطيفة، وقد أظهر له عدم قدرته على مجاراته. وأجاب الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد على رسالة لأبي بكر بن عبد العزيز وقد خاطبه مسلياً عن نكبته , حيث يقول(263) :

ولو لم أقُل شبـاه الخطوب بحد كحد ظُبـا الصـارمِ

ولم ألقَ من جُنْدها ما لقيتُ بصبرٍ لأبطـالـها هـازمِ

إذ صور الشاعر نفسه يخوض معركة حامية الوطيس مع أعدائه المصائب، وقد قاتل عن نفسه بصبر شجاعة، وانتصر عليهن بفعل خبرته الطويلـة فـي أمـور حربهن:

ولم أعتبر حادثـات الزمان بخَبْر خبيرٍ بهـا عـالِـم

لكان خطابُك لـي ذكـرةً تنبه من سنـة الـنـائـم

ورداً يرد صعاب الأمـور على عقِب الصاغر الراغم

لولا كل تلك الأمور التي ذكرها الشاعر لكان خطاب أخيه تـذكرة وعبـرة , ونلمس في رسالته شيئاً من الاعتداد بالنفس , فقد صور لنا نفـسه بطـلاً مقـاتلاً يخوض أعنف المعارك وأشدها , ويهزم أشجع الأبطال وأقواهم , وقد جعلت تلك الأمور منه إنساناً صابراً عالماً بتصاريف الزمان عارفاً بحكمته.

(262) ابن خاقان , القلائد ,ص 719.

(263) ابن سعيد , المغرب ,ج2 ,ص 397.

ولابن عمار جواب على رسالة لابن رزين يشكره فيها على حسن ضيافته لـه، حيث يقول(264):

هصرتَ لي الأيام طيبةَ الجنـى وسوغتني الأحوالَ مُقبِلةَ المنى

وألبستني النعما أغض من الندى وأجملَ من وشي الربيع وأحسنا

وكم ليلةٍ أحظيتني بحظـورهـا فبت سميراً للنساءِ وللـسنـا

أُعلّلُ نفسي بالـمكارم والعُـلا وأُذني وكفّي بالغناءِ وبـالـغنى

سأقرن بالتمويل ذِكرك كلـّمـا تعاورت الأسماءُ غيرك والكنى

لأوسعتَني قَولاً وطولاً كـلاهما يطوقُ أعناقاً ويُخرِسُ ألـسنـا

13.2 مديح الإخوان :

لقد حافظ أبناء الأندلس على معاني المودة والصداقة بـين بعـضهم الـبعض، فتبادلوا على إثر ذلك بطاقات المديح،التي تنم عن إخلاصهم وصـدق مـودتهم، والمديح إنما يستحسن لاشتماله على المحاسن والأوصاف التي يتسم بها الممدوح، "ويتفطن لها الشاعر دون غيره، ويبالغ فيها أكثر مما يستحق الممدوح ويظن به "، (265) وقد امتدح الشعراء في أقرانهم وإخوانهم عدة أمور منها :

أ. المهارة في قول الشعر :

يعد قول الشعر من الأمور التي أحبها العرب في أبنائهم، فقد كانت العرب في الجاهلية تحتفل إذا نبغ فيها شاعر، ونجد أبناء الأندلس يمدحون شـعراءهم بهـذه الصفة، فهذا أبو جعفر بن أحمد الداني يرسل إلى قريبه أبي بكر الـداني رسـالة شعرية، يثني عليه فيها ويمدحه بقول الشعر، وينعتـه بالفطنـة والـذكاء، حيـث يقول(266):

هيِ السحر يُمْـلي والمعالي تَدفـقُ هل الكل إلا من صفاتـك يـُشْرِقُ

وهبنا شـدونـا كـالبـلابـل إنـه جميع الملاهي من قريضك ينطـق

---

(264) ابن بسام , الذخيرة , ق 3 ,م 1 ,ص 121-122.

(265) الحسن اليوسي، نور الدين، زهر الأكم في الأمثال والحكم، 3ج، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1981 م، ج2، ص 153.

(266) ابن بسام، الذخيرة ,ق3 ,م2 ,ص 771.

جمعتَ معاني الحسن في طي مهرق ولم أحتسبْ أن يجمع الحسن مهرقُ

ومنها:

أرى شعراء الوقتِ دونكَ قصرتْ إلى عفوك الأدنى تخبُ وتُعنِقُ

وجدتك شمسُ الفهم أشـرقَ نورُها فلسـتُ أراعـي كوكباً يتألقُ

كما خاطب أبو بكر عبادة بن عبدالله بن عبادة ابن بسام بقوله[267] :

قد خَبرتُ الورى فلم أُلفهم إلاّ ثِقـالَ الأفهامِ والإفـهامِ

وتأملتُ منك نكـتةَ بـغـداد لباب العراق معنى الشآمِ

ولمنزلة شعراء المشرق عند شعراء الأندلس فهو يشبهه بأعظم شعرائهم :

إن تحُكْ مِدْحةً فأنـتَ زُهـير أو نَسيباً فعروةُ بنُ حـِزام

أو تُباكِرْ صيد المها فابن حجرٍ أو تُبكّي الديار فابنُ خِـذام

أو تَـذُم الزمان وهو حقـيـقٌ فأبو الطّيب البعيدُ المرامي

ب. المدح في البلاغة والبيان وجمع المصنفات :

أهتم أبناء الأندلس بالحفاظ على تراثهم، وصيانته مـن الـضياع، وقـد أثنـى الشعراء على هؤلاء المؤلفين، ومن ذلك أبيات لأبي العباس بن أحمد خاطب بهـا ابن بسام، يقول فيها[268] :

قد كان نام زمانُنا عن كشف آثار العلوم

حتى أتيتَ مُنبهاً جفنَيهِ تَنبيه النسيم

فرددته يقظان يمحوالمـ ـحو عن تلك الرسوم

وقد أحب الشعراء في أقرانهم اهتمامهم بالبيان والبديع , وبالغوا في مدحهم به , فهذا أبو عامر بن الأصيلي يخاطب الحصري برسالة طويلة منها [269] :

لقد أولى الزمانُ يداً سأشكرها مدى عُمري

أطالَ يدي وفضلني بلقيا الفاضل الحُصري

أقولُ لمن ينافِسـُهُ رويدك لست ذا بصر

---

[267] ابن بسام،المصدر نفسه , ق1,م2 ,ص908.

[268] ابن بسام , الذخيرة , ق1 ,م 2 ,ص 906.

[269] ابن بسام , المصدر نفسه ,ق3 ,م2 ,ص 862.

تخل عن البديع لـه　　وسـامْ فيه للقـدر
شهدتُ له على علمي　　بسبق البدو و الحضر

ج.مدح الأخلاق النبيلة وحسن الصنيع:

لاشيء يملك القلوب أكثر من التحلي بالأخلاق الحسنة النبيلة ومجاملة الآخرين وحسن معاملتهم , وهذه النظرة نفسها نظر الشعراء من خلالها إلى ممـدوحيهم , فهذا ابن صارة الشنتريني يمدح ابن السراج في رسالة شعرية بعث بها إليه يقـول من جملة أبيات(270) :

متى تلتقي عيناي بدر مكـارمٍ　　تـود الثريا أنـها من مواطِئهْ
عرفنا بحسن الذكر حسن صنيعهِ　　كما عُرِفَ الوادي بخضرةِ شاطِئهْ

د.مدح الحلم وجمال الهيئة :

لقد امتدح الشعراء في أقرانهم الحلم و جمال الهيئة, فهذا ابن الدباغ يمتدح أبـا محمد عبد البر بتلك الصفات, حيث يقول [271]:

طلق الجبين وفيه فضل مهابة　　يغضي لها ذو الغلبة الشرساء
حلم لو أن الدهر حمل بعضه　　لشكـت عواتـقه من الإعياء

هـ.مدح جمال الخط :

أشار الشعراء إلى جمال خطوط ممدوحيهم، فابن الدباغ يصف ممدوحـه فـي رسالة شعرية بحسن الخط , يقول [272]:

وإذا تناولـتِ الرقـاع بـنانُهُ　　أنْستْك طرز الوشي في صنعاء

وهذا أبو عيسى بن لبون يخاطب أبي محمد بن سفيان بقوله [273]:

وإن خط قرطاساً بدا فوق صحنه　　نثيـرُ لآلٍ تـارةً ونـظيم
يعطّلُ سحر السحر سحرُ بيانـه　　ويقعدُ حد السيف حين يقوم

و. مدح الكرم :

---

(270) ابن خاقان ,القلائد ,ص 810.

(271) ابن بسام , الذخيرة, ق3 ,م1 ,ص 317.

(272) ابن بسام، المصدر نفسه ,ق3 ,م1 ,ص317.

(273) ابن بسام، المصدر نفسه ,ق3 ,م2 ,ص 904.

كانت صفة الكرم من الصفات العربية الأصيلة التي أحبها العربي، وقد أكثر الشعراء من الحديث عنها عند وصفهم لممدوحيهم، فنجد أبا عيسى بن لبون يمدح ابن عمار، ويقرن كرمه بكرم حاتم الطائي، يقول :

وصدرن قد حُمِلن عنك عوارفاً　　أصبحن كالأطواق في الأجيادِ

فضلٌ أرانا جود حاتم طيءٍ　　وفخار كعبٍ في قبيل إياد[274]

14.2 التحذير:

يعد التحذير أحد الأمور التي استخدم الشعراء الرسائل الشعرية من أجلها، ويمكن القول إن الرسالة التحذيرية أكثر جدوى بكثير من التحذير مشافهة , ومفعولها بلا شك أقوى، هذا بالإضافة إلى الأثر الكبير الذي يتركه الشعر في النفس الإنسانية، فما بالك إذا كانت الرسالة الشعرية تفيض بعبارات الحزم والقوة والشدة، وبلا شك سيكون مفعولها أقوى وأشد؛ ولعل ذلك يعود إلى أنه يتعذر على المخاطب معرفة جدية الرسالة من عدمها.

فهذا المعتمد بن عباد يبعث برسالة شعرية تحذيرية إلى المعتصم بن صمادح أولها[275]:

يا من تمرس بي يريد مساءتي　　لا تعرضن فقد نصحتُ لمندمِ

يبدأ المعتمد رسالته بنداء البعيد؛ ليلمح إلى الفارق بينهما في محاولة منه تنبيه المعتصم بما يرتكبه الآن في حقه من محاولة الإساءة إليه، ثم نجده يحمل عليه بشدة، ويحذره من الانخداع لسهولة أخلاقه :

من غرهُ منّي خلائقُ سهلةٌ　　فالسم تحت ليان مس الأرقمِ

و هناك رسالة شعرية بعث بها ابن زيدون إلى ابن عبدوس[276] لتحذيره وتخويفه وتهديده، حيث يقول[277] :

([274]) ابن خاقان، القلائد، ص 275.

[275] المعتمد بن عباد، الديوان، ص 61.

[276] ولي الوزارة بقرطبة، ونافس ابن زيدون في حب ولادة، وكان يدعي حفظ الشعر وقرضه، توفي سنة 472هـ/1079م.(ابن زيدون،الديوان،هامش رقم 2، ص790)

حذار حذار!! فأن الكريم إذا سيم خسفاً أبى فامتعضْ

فإن سُكون الشجاع النهوس ليس بمانعهِ أنْ يعضْ

يلاحظ في هذين البيتين مبالغة ابن زيدون في التحذير , فالكريم كالقمر لا يمكن أن يستسلم للخسف , فإذا ما أصابه مكروه , عاد للظهور سريعاً , وكـذاك ابـن زيدون يرفض الذل ويأباه. ويأتي البيت الثاني لتأكيد المعنى وبيان أن سكوته ليس ضعفاً , وهذا بدوره يعيدنا إلى بيت المعتمد السابق فكلاهما يشير إلى أن صـمت الشجاع ليس ضعفاً.

كما يؤكد ابن زيدون في رسالته الشعرية هذه على علو همته , ويحـذر ابـن عبدوس من اعتراضه؛ لأن المقادير لا تعترض :

وإن الكواكب لاتستذَل وإن المقادير لا تعترضْ

ثم يستمر ابن زيدون في التحقير من شأن ابن عبدوس , ويرفع من منزلة ذاته , فهو كالشمس إذا قابله ابن عبدوس لابد أن يغض طرفة محافظة على بصره , وفي هذا تصوير له بأنه مريض الفكر :

إذا الشمسُ قابلتها أرمداً فحظ جفونِك في أن تُغَضْ

ثم يعود لتحذيره مرة أخرى من منافسته، أو اعتراض سهامه القاتلة :

أرى كل بحْرٍ " أبا عامرٍ " يُسر إذَا في خَلاءٍ ركَضْ

أعيذُك مِن أن تَرى مِنزعِي إذا وترِي بالمنَايا انقبضْ

ونجده يذكر أن كثيراً من الرجال الذين راودتهم أنفسهم بمعارضته قد تـركهم صرعى :

وكَم حرك العُجبُ من حائِنٍ فغادرتهُ ما به من حبضْ

ويلجأ ابن زيدون إلى العتاب , مذكراً ابن عبدوس بأيام الصداقة , فقـد كـان مخلصاً وفياً , فقابل ابن عبدوس هذا الوفاء بالغدر :

تشوبُ وأمحضُ مُستبقياً وهيهاتَ من شَاب مِمن محضْ !

ولا نجده متردداً في استئناف الصداقة مرة أخرى :

---

(277) ابن زيدون، الديوان، ص582.

" أبا عامرٍ " عثرةً !! فاستقِلْ   لِتبرم من ودنا ما انتَقَضْ

وهناك رسالة شعرية أخرى لابن زيدون أرسل بها إلى عبد الله بن القـلاس البطليوسي[278] معاتباً ومحذراً , وقد بدا الشاعر في رسالته غاضـباً , وجـاءت القصيدة على قافية العين , وحرف العين من حروف الحلق والتي تدل على معنى أساسي هو الزجر , ثم أن الشاعر بدأ الرسالة بفعل الأمر أصخ واتبعه بأفعال أمر أخرى : أصخ , دع , خذ , أقصد , زد , طر , قع , يقول ابن زيدون [279]:

أصِخْ لِمقالتي واسمعْ   وخَذْ فيما ترى أو دعْ

وأَقْصِرْ بعدها أو زد   وطِر في إثرها أو قَعْ

ثم نجد الشاعر يلقي ببعض النصائح :

ألم تعلمْ بأن الدهْر   يُعطي بعد ما يمنَعْ ؟

وأن السعي قدْ يُكدِى   وأن الظن قدْ يخدع ؟

وكم ضر امرءا أمر   توهم أنهُ ينـ ـفَعْ

ثم يتوجه إلى الفخر بنفسه فيقول :

وكائنْ رامتِ الأيامُ ترويعِي , فلم أرتَعْ

إذا صابتْنِي الجُلى تَجلتْ عن فتى أروعْ

على ما فاتَ لا يأسى ومما ناب لا يجزعْ

ومن الملاحظ أن الشعراء في الرسائل الشعرية التحذيرية يميلون إلـى الفخـر والاعتداد بأنفسهم , وهذا ما لاحظناه في الرسائل التحذيرية السابقة جميعاً.

15.2 التعريض :

التعريض يعني السخرية والاستهزاء، وهو بديل للتـصريح عنـد بعـض الشعراء، كأن يسخر أحد الشعراء من صفة خَلقية أو لقب لأحد الأشخاص، ممـا فأنه يقال من شأنه؛ ولعل ذلك يعود إلى الحقد والبغض الذي يكنه بعضهم لبعضهم الآخر، كما يمكن أن يعود ذلك في بعض الأحيان إلى حب المداعبة والتسلية، أو

---

(278) لم أجد له ترجمة في المصادر التي عدت إليها، وقد حذره ابن زيدون من منافسته في حب ولادة برسالة شعرية،انظر (ابن زيدون، الديوان، ص 578).

(279) ابن زيدون , الديوان، ص578.

ربما يكون ذلك تعبراً عن عادة متمكنة من الشخص، إذ قد يكثر بعض الـشعراء في لون من الشعر دون غيره، فمنهم من يسهل عليه المديح، ويعسر عليه الهجـاء ومنهم من تتيسر له المراثي ويتعذر عليه الغزل. (280)

وخير مثال على ذلك أن عبد الملك بن جهور كانت تربطه بـابن شُـهيد علاقة بحكم العمل في الوزارة، وكان ابن شـهيد قـد زاره، فتـأخر الإذن إليـه بالدخول، فولى غاضباً وكتب إليه بيتين من الشعر هما : (281)

أتيناك لا عن حاجةٍ عرضتْ لنا إليك ولا قَلْبٍ إليك مشوق

ولكنّنا زُرْنا بفَـضْلِ حُلُومِنَا حماراً تولّى بِرنا بعُقـوق

وهنا جاء التعريض للقب الشاعر،فقد كان ابن جهور يلقب بالحمار وتولى ابن شهيد نعته بذلك اللقب.ولكن ابن جهور لم يصمت بل راجعه ببيتين مـن الـشعر وعرض فيهما بأجداده؛ إذ كان أحد أجداده يعمل بيطاراً بالشام، حيث يقول :

حجبناك لما زُرْتنا غير تائق بقلبٍ عدو في ثيابِ صديق

وما كان بيطارُ الشآم بموضعٍ يُباشِرُ فيه بِرنا بخليـق

فابن شهيد في نظره غير خليق بتلك الصداقة؛ لأنه يحمل قلب عدو، كما أن في لفظة غير تائق"إشارة إلى أن زيارته كانت عابرة ولم يكن دافعها الشوق، ونلمس من الرسالة الشعرية السابقة و الرد عليها أن الوزراء كانوا يتبادلون الزيارات حتى مع وجود علاقات غير ودية بينهم.

ومن هجاء النسب أن أبا جعفر أحمد الداني(282) كتب إلى أبي حاتم الحجاري يعرِّض فيه بنسبه ويسخر من نسبته إلى وادي الحجارة، حيث يقول :

قالوا الحجاري وظني أنه حجرُ والدر ليس بمنحوتٍ من الحجر

عني إليك من أشعار لها غُررُ غيري يُباحث بالتحجيل والغرر

بيتُ ببيتٍ ومصراعٌ بمشبههِ حتى يصدق خبري ذائعُ الخبر (283)

---

(280) أنظر: الدينوري، ابن قتيبة، (ت276 هـ/889م)، الشعر والشعراء، 2ج، تحقيق أحمد محمود شاكر،دار المعارف، القاهرة ، 1958م،ج1، ص 93.

(281) ابن خاقان، المطمح, ص 168 –169.

(282) هو أبو جعفر أحمد الداني، نسبة إلى دانية، كان أبوه شرطياً من شرطة إقبال الدولة، وقد تميز بالشعر والنثر، وهجا أخاه كما هجا نفسه، يقول من أبيات :

كان شرطياً أبونا وأخي اليوم وزير

أنا مأبون صغير وهو مأبون كبير

(ابن بسام، الذخيرة ,ق3 ,م2 ,ص757 –773؛ ابن سعيد، المغرب,ج2 ,ص404)

فابن أحمد يسخر من أبي حاتم الحجاري، ويبين أنه ظن في بادئ الأمر أن من قال الحجاري أنه يقصد الحجر، ويؤكد ابن أحمد أن الدُّرر لا تؤخذ من الحجارة بل تستخرج من البحار.

فيجيب الحجاري مدافعاً عن نفسه، معطياً الدلائل والحجج التي تبين شرف نسبه، إذ يقول:

قف يا ابن أحمد لا تجمحْ على غَرر ... كوقفة العير بين الورْدِ والصدر

ولا تعرض فعندي كل شـــــاردةٍ ... كالنار تلقي إلى الأشرار بالشرر

لا إن شئت سلماً فسلماً أو محاربةً ... عندي أناةٌ وعندي بطشةُ القدر

أنا سـواد وآيـاتي مبـيـنّة ... فما يخصك من خُبري ومن خبري

فكتب ابن أحمد إليه ثانية :

أمرتَ مني جفاء غير مؤتمر ... كالذئب نهنه عدو الضيغم الهصر

والعيرُ مستوقفُ الأفراس سابقةٍ ... كوقفة العير بين الورد والصدر

إن كنتَ مستأخِراً يوماً فلا عجب ... فوائدُ الكُتبِ قد أُثبتن في الطرر

قال أبو حاتم فراجعته بأبيات منها :

أنا الحجاري والياقوتُ من حجرٍ ... والماءُ ينبع سلسالاً من الحجر

وركن مكة فيه ما سمعتَ به ... تراك تجحدُ أو تَعمى عن النظر

لا تحسب الشعر إلا دوح باسقةٍ ... أصبحتُ أقطفُ منها يانع الثمر

لي المحاسنُ وانظرْ قلما خفيتْ ... إلا على جاهلٍ بالشمس والقمر

ومنها يحذره من معارضته:

وقد نصحتُك والأيامُ واعظةٌ ... وأنت تجنحُ أحياناً إلى السفر

فلم يراجعه، فكتب إليه مرةً أخرى، يقول الحجاري :

ما لابن أحمد لم تُبصرْ بصيرتُهُ ... هيهات تضعفُ أحياناً عن النظر

يظن بي قِصراً والطولُ يعجُبني ... إني لأعجبُ من طولٍ ومن قصر

إذا استراب بمثلي في بديهتهِ ... وقال ما يملأُ الأسماع من هذر

فخلهِ يخبطِ العشواء في رجل ... يسري فيمرحُ بين الشمس والقمر

---

(283) ابن بسام، الذخيرة , ق3 , م2 ,ص769 – 771.

وقد تكون الصفات الخَلقية مجالاً للتعريض، فتُذم الهيئة والشكل، ومن ذلك مـا كتب به ابن رزين إلى ابن عمار معرضاً فيها بعينيه، "وهو مما أبدع فيه تعريضاً وتصريحاً، وسقاه التنديد منه صريحاً"،حيث يقول: [284]

تحقق أبا بكرٍ ودادي وحقق وصدق ظنوني في وفائِك واصُدق

ومنها:

ثنائي على مر الزمان محاقٌ عليك وإن أبديتَ بعض التَخاق

وما كنتُ ممن يدخلَ العشق قلبهُ ولكن من يبصر جفونك يعشق

ونلمس في التعريض اعتداداً بالنفس يقابلها استحقار الآخرين واسـتهجانهم، أو تشبيههم بالكائنات الضعيفة، ونجد ذلك في رسالة شعرية بعث بها أبو بكـر بـن بقي[285] إلى صديقٍ له يعرض بها بأحد الرجال في مجلس أدب، حيـث يقـول : [286]

وجاهلٍ نسب الدعوى إلى كلمي لما رماه بنبل النبل في حدقَهِ

فقلت من حنقٍ لما تعرض لي من ذا الذي أخرج اليربوع مـن نفقه

ما ذم شعري وأيم الله لي قسم إلا امرؤ ليست الأشـعار مـن طرقه

وكان ذلك الرجل قد اتهمه بانتحال شعر الآخرين، ونسبته إلى نفسه، فأثار ذلك غضب ابن بقي، فرماه بتلك المقطوعة.

وقد تكون ردة الفعل على التعريض عنيفة جداً ، فهذا أبو بكـر بـن الحـسن المرادي، وقد بلغه عن بعض الشعراء أنه ذكره هجاء وتعريضاً، فبعث إليه رجلاً

([284]) ابن خاقان،القلائد ,ص 168.

([285]) أبو بكر يحيى بن محمد بن بقي، شاعر وشاح، ولد في طليطلة وأخرجته الفتنة التـي حدثت بها، وتأدب في أشبيلية (ت 540 هـ/1145م)، (الأصفهاني، الخريدة ,ج2 ,ق4 ,ص130؛ ابن بسام، الـذخيرة ,ق2 م2 ,ص615؛ ابـن دحيـة، المطـرب ,ص 198؛ المقري، النفح ,م4 ,ص 236

([286]) ابن بسام، الذخيرة, ق2 ,م2 ,ص616.

يعرف بابن المقدم فصفعه حتى إذا ما سأله الوزير ابن طاهر عن سبب فعله أجاب بقوله[287]

تعرضني كاب بهـجوٍ مخذلٍ كقيء السكارى أو هراء المبرسمِ

فأنفذتُ من وقتي إليه سـحائباً من الصفع يحـدو وفـدها ابـن المقدم

وغنى دوي النعل في صحن رأسه "ألا عم صباحاً أيها الربعُ واسلمِ"

16.2 الاستنجاز :

الاستنجاز هو طلب الإسراع في تنفيذ وعدٍ لم يتم تنفيذه، أو كمـا عبـر عنـه الشعراء بأنه (حاجة ممطول صاحبها)، كقول الشاعر ابن أبي الخصال [288]:

جئناك للحاجة الممطول صاحبها وأنتَ تنعمُ والأخوان في بوس

ولقد كانت الرسائل الشعرية الطريقة الفضلى بالنسبة للشعراء؛ لتسيير أمـور حياتهم العملية، منها ما كتب به أبو جعفر الداني إلى أحد الـوزراء، مـستنجزاً وعداً[289]:

عِداتٌ مثلُ ما ابتسم الحسانُ وتسويفٌ كما عبس الزمانُ

وقد خبرْتُ نفسي عنك خيراً وأحر بأن يصدقني العيانُ

وها مِدحي سوابقُ ملجماتٌ لأرسلها وفي يدك العنانُ

وقد عبر الشاعر عن الإبطاء في إنجاز الوعد بألفاظٍ تدل على الضجر والملـل مثل "عدات" وهي تعني وعود لم تتم، و" تسويف" وتحمل المعنى نفسه، ثم قولـه "عبس الزمان ".

وكتب الجزار السرقسطي إلى أبي الفضل بن حسداي يستنجزه في الإسراع برد الجواب في رسالة شعرية بعث بها إليه، يقول الجزار[290] :

أبا الفضل لا ترتب بفضلك إنني حفزتك والمضطر يُعذر فـي الحفزْ

---

(287) ابن بسام، المصدر نفسه , ق4، م1، ص366.

(288) الأزدي، بدائع البدائه، ص 379.

(289) ابن بسام، الذخيرة ,ق3 ,م2 ,ص772.

(290) الجزار السرقسطي، روضة المحاسن وعمدة المحاسن، ص163.

إذا كان للمرءِ التقدم رتبةً ولا بد منه فالتأخرُ عن عجزْ

ولا بد من هز الكريم لأنني رأيتُ الحسام العضب أمضى لدى الهزْ

ولو كان يستغني الكريم بطبعه عن الهز لاستغنى الجواد عن الهزْ

كما كتب ابن صارة الشنتريني إلى القاضي أبي أمية يستنجزه وعداً [291]:

أشيعُ أيامي بعل وليْتَما وأشغَلُ أوصافي بما و كأنما

وأزمعُ يأساً ثم أذكُرُ أنني بحضرةِ أزكى الناس فرعاً ومُنتما

وهذا يدل على تفنن الشعراء في الاستفادة من الرسائل الشعرية، وتعدد مجالاتها. ومن الأبيات الجميلة في الاستنجاز أن الجزار السرقسطي وعد شاعراً بأمرٍ ثم مطله، فكتب إليه يعاتبه على عدم وفائه بوعده [292]:

فإذا وعدتَ وقلتَ في شيءٍ : " نعم"

لا تُخلِفن فعن خلافك تُسألُ

وإذا ذهبت إلى مخالفةٍ فقل :

"لا" أولاً فمقالُ لائك أجملُ

يا صفوتي من أهل ودي كلهم

مالي أراك تقولُ مالا تفعلُ ؟

عند ربط أول الأبيات بالكلمة الأخيرة تكون العبارة بهذا الرسم

فإذا وعدت وقلت..... تقول مالا تفعل.

وهذه العبارة تفسر ما بينها من أبيات، فهي بلا شك إشارة إلى أن الوعد يجب الوفاء به، وهنا ظهر الخلاف فقد شذت القاعدة وابتعدت عن أصلها. ثم إن الشاعر لم يصرح بحقيقة هذا الوعد، وبذلك فهو يقع في دائرة الغموض التي تقود إلى أهمية تحقيق هذا الوعد، فربما كان أمراً تتوقف عليه حياة ذلك الإنسان.

وفي إجابة الجزار لهذا الشاعر ما يؤكد أنه كما وصف، أو كما قيل عنه إذ إنه أجاب صديقه بأبيات تدل على اللامبالاة منها قوله:

---

(291) ابن خاقان، القلائد ,ص 815.

(292) الجزار السرقسطي , روضة المحاسن وعمدة المحاسن، ص 177.

في سورة الشعراءِ عذري واضح
وكفى بما نص الكتابُ المنزلُ

ككك

الفصل الثالث

القضايا العامة في الرسائل الشعرية

تتمثل القضايا العامة في الرسائل الشعرية التي تكشف عن تفاعل الشاعر مـع الأحداث السياسية والاجتماعية والقضايا الأدبية والشخصيات العامة التـي بينهـا وبين الشعراء مسافات اجتماعية بعيدة مثل الأمراء والحكام، وغيرها من القـضايا التي شغلت أذهان أفراد المجتمع الأندلسي؛ فقد اتخذ الشعراء من رسائلهم الشعرية وسيلة فنية لتصوير المجتمع وما يدور فيه من أحداث مختلفة، وكانت هذه الأحداث والقضايا محركاً أساسياً لعواطف الشعراء وانفعـالاتهم الوجدانيـة؛ أي أن هـذه الرسائل تدور حول موضوعات سياسية أو اجتماعية أو أدبية أو طبيعيـة دون أن يكون للذات الشاعرة دور كبير فيها، وهي تنبع من العلاقة بين الشاعر وأحـداث مجتمعه السياسية والاجتماعية وغيرها، وشخصيات مجتمعه الذي يفـصل بيـنهم وبين الشاعر فوارق اجتماعية مختلفة، ومن أهم موضوعات هذه الرسائل:

1.3الجهاد و الحرب:

مع أن القرن الخامس الهجري كان يعج بالصراعات والمنازعات، سواء كانت داخلية بين ملوك الطوائف، أو خارجية مع العدو، إلا أننا لم نجد أثراً لـذلك فـي الرسائل الشعرية إلا قليلاً، وهو ما يظهر في بعض الرسائل الشعرية التي وجهت إلى الحكام من أجل استنفار هممهم واستنهاض عزائمهم، وتحريضهم على الجهاد، وتواجهنا أثناء ذلك عدة رسائل شعرية لأبي حفص الهوزني[293] يؤكد فيها خوفـه

[293] هو أبو حفص عمر بن الحسن الهوزني، من أشبيلية، كان صديقاً للمعتضد بـن عبـاد، وقد رحل إلى المشرق عام (440 هـ/1048م)، ثم عاد إلى الأندلس، وسكن مرسية، فلما اقتحم الروم بربشتر خاطب المعتضد برسالة يحثه فيها على الجهاد، فدعاه المعتضد إلـى إشبيلية، فاغتر أبو حفص ورجع إلى إشبيلية عام(458 هـ/1065م)، وقتله المعتضد بيده عام 460 هـ/1067م، (ابن سعيد، المغرب ج1 ص 234 ؛ ابن بسام، الـذخيرة, ق2 , م1 , ص81).

على الإسلام، وحبه للمسلمين، فهو يدعو إلى توحيد الصف وإعداد العدة ومواجهة العدو

الذي بدأ يهدد المسلمين في الأندلس، يقول أبو حفـص مخاطبـاً المعتـضد بـن عباد:[294]

أعبادُ حل الرزءُ والقومُ هُجعُ   علـى حالةٍ من مثلها يُتَوقـعُ

فلق كتابي من فراغِك ساعةً   وأن طالَ فالموصوف للطول موضعُ

إذا لمْ أبُث الداء رب دوائه   أضعتُ وأهـلٌ للمـلام المضيعُ

فقد حلَّ المصاب الجلل، بسبب نوم الجماعة وتخاذلهم، وتحمل عبارة " القوم هجعُ" الدلالة العامة والمبالغة، وتهويل الحدث، ويرى الهوزني أن هذا الحدث متوقع، لأن التخاذل والخنوع والاستسلام، يؤدي إلى الهلاك. وتكشف لنا الأبيات أيضاً إشارة أخرى وهي أن واجب الرعية تنبيه الحاكم، لأن ذلك يُعد أمانة، ومن أضاعها فقد أضاع الأمانة وبذلك فهو يستحق اللوم.

ثم يتبع الشاعر هذه الأبيات بأبيات أخرى مشابهة لها في المضمون وقوة الاندفاع، حيث يقول: [295]

أعبادُ ضاق الذرعُ واتسع الخَرقُ   ولا غرب للدنيا إذ لم يكن شرقُ

ودونك قولاً طال وهو مقصر   فللعين معنى لا يعبرهُ النطقُ

ويضع الشاعر المعتضد موضع المسؤولية؛ لأنه يراه الوحيد من بين ملوك الطوائف القادر على مواجهة العدو، لما يراه من تخاذل غيره من الملوك وانغماسهم في اللهو والترف، وترك شؤون الرعية، وردع أعداء الإسلام.

إليكَ انتهت آمالنا فارمِ ما دهى   بعزمك، يدفع هامةَ الباطل الحقُ

ولعل رسائل التحريض على الجهاد في هذا القرن قد اقتصرت على أبي حفص الهوزني، وقد جاءت أبياته داخل رسائله النثرية، ويعود ذلك إلى دعم الشعر بالنثر وإعادة صياغة الفكرة مرة أخرى بالشعر لتأكيد الطلب، هذا بالإضافة إلى كون الشعر أعظم أثراً في النفس من النثر، كما أن الحاكم المستقبل لتلك الرسائل شاعرٌ يجيد الشعرَ ويتذوقه.

وللهوزني أيضاً أبياتٌ أخرى يستنهض فيها المعتضد ويحثه على الجهاد، وينبهه إلى الخطر القادم، حيث يقول : [296]

صرَّح الشـرُّ فلا يستقلُّ   إن نهلتم جاءكم بعدُ علُّ

---

(294) ابن بسام، الذخيرة , ق2 , م1 , ص83 .

(295) ابن بسام، الذخيرة , ق2 , م1 , ص85 .

(296) المقري، نفح الطيب , ج2 , ص94 .

بدءُ صعق الأرض رشٌ وطلٌ   ورياحٌ ثم غيمٌ أبــلُ

خفضُوا فالــداء رزءٌ أجَلُ   واغمدوا سيفاً عليكم يُسلُّ

ويبين الهوزني أن المعتضد متى دعا إلى الجهاد، واستعدَّ له فلن تخذله الجنود ؛ لأنها اعتادت على الاستمرار في الانتصارات، كما أن الشعب لن يتراجع عن نصرة دين الإسلام، يقول : (297)

فـناد: أعبادُ ذا عائـدٌ   وقدك على حينها تنصرم

تجبك أسودٌ على ضمَّرٍ   معوَّدةٌ ما بغت أن يتـم

كأن المقادير حزبٌ له   فيمضي على رأيه ما حكمْ

كما أن الشاعر لم ينسَ أن يمدح الحاكم، من أجل رفع الهمة، وتحريك النخوة، على أن هذا المديح لم يخرج من كونه دعوة للجهاد وتحريضاً عليه ؛ لأن فيه إشارة إلى قوة الحاكم وشجاعته وانتصاراته المتكررة، وقدرته على إخافة العدو هذا بالإضافة إلى قيادته الصارمة للجيوش، وحكمته في خوض المعارك وبعد نظره في التخطيط لها، حيث يقول : (298)

أعبادَ كُلاً قد علـوتَ فضـائلاً   تقاصر عنـها كـلُّ أروعَ ماجدِ

فأولها جودٌ أرانــا أكـفـُّهُـمْ   جـموداً كـكف لم تؤيَّد بساعـد

وسعيٌ لمن واليتَ يردي عدوَّه   ردى أهل جَو في وقيعـة خـالـد

منعت بني جالوت ما قد أباحهم   سواك بـحربٍ قيَّـدت كـلَّ شارد

فمن شاء فلينظر أسوداً بروضةٍ   تراعـي عصـا راعٍ وتعنو لرائدِ

عجائبُ مجدٍ أعجزتْ من سواكمُ   ومن سرّها المشهور صدقُ المواعدْ

ويطلب الشاعر الأمان عند الحاكم، فقد هاله ما ينتظر الأمة من دمار وخراب :

فإن راث أمري فادّركني برحلةٍ   إلى مأمنٍ فالخوفُ أعجلُ طاردِ

وَحُـدَّ مـكاناً آتـهِ فرضـاكُـمُ   هواي وإن أغشى كريهَ الموارد

فقد جدَّ أمرٌ هدَّ شرع محـمـدٍ   ومـا مخبرٌ عن حالهٍ مثـل شاهدِ

ولم تأتِ هذه الرسالة الشعرية إلا بعد أن ظهر الخطر , وبدأ العدو بالاستيلاء على مدينة بربشتر(299) سنة 456 هـ , يشير الهوزني إلى ذلك بقوله :

لكـل يبيـن الـرأي عـند وفاته   وهل من دواء بعد نهش الأساود

أضاعوا وجوه الحزم يوماً فعزَّهم   على أمرهم من ليس عنه بهاجد

لقد كان الدافع وراء تلك الرسائل هو الخوف على بلاد المسلمين من أن تعود للكفر بعد أن تم تطهيرها منهم , كما أن شاعرنا يعد نفسه مسؤولاً عن قول كلمـة الحق . ولكن هل من مجيب ؟! .

---

(297) ابن بسام، الذخيرة , ق2 , م1 , ص86 .

(298) ابن بسام، المصدر نفسه , ق2 , م1 , ص87 –88 .

(299) من أمهات مدن الثغر الفائقة في الحصانة والامتناع . (الحميري، الروض المعطـار، ص90).

لعل من المفيد أن نستذكر قليلاً كيف كانت نهاية أبي حفص الهوزني , لقـد بعث المعتضد إليه برسالة يدعوه فيها إلى الاستقرار في إشبيلية , وبعد أن قربـه دعاه إلى قصره وباشر قتله بنفسه سنة 460 هـ , يقول ابن بسام : " فلم ينلْ عباد بعده سولاً, ولا متع بدنياه إلا قليلاً" [300] , لقد أحس المعتضد أن فـي بقـاء أبـي حفص خطر كبير على سياسته التي كان يسلكها – من مهادنة للعدو , ودفع مبالغٍ من المال من أجل تركه في سدة الحكم – فلم يجد بداً من إخماد صوته .

وتبادل المعتمد الكتب مع الأذفونش[301] , فبعد سقوط طليطلة عام 478 هـ , واستيلاء الأذفونش على أعمالها , طمع في الاستيلاء على الجزيرة بكاملها , فكتب إلى المعتمد بن عباد يشير عليه بتسلم بلاده إلى أحد قواد الأذفونش , ومن رسالته هذه قوله : "... قد أبصرتم ما نزل بطليطلة وأقطارها , وما صار بأهلهـا حـين حصارها , فأسلمتم إخوانكم , وعطلتم بالدعة زمانكم , والحذِر من أيقظ باله , قبل الوقوع في الحبالة , ولولا عهد سلف بيننا , نحفظ ذمامه , ونسعى بنـور الوفـاء أمامه لنهض بنا نحوكم ناهض العزم ورائده , ووصل رسول الغزو ووارده , لكن الإنذار, يقطع الأعذار , ولا يعجل إلا من يخاف الفوت فيما يرومـه , أو يخـشى الغلبة على ما يسومه , وقد حملنا الرسالة إليكم القرمط البرهانس وعنده من التسديد الذي يلقى به أمثالك , والعقل الذي يدبر به بلادك ورجالك ......" [302]

عند قراءة هذه الرسالة, ندرك الحال التي وصل إليها أمراء الأندلس من الدعة, والاستسلام للراحة, وترك الجهاد, والتفرق في الرأي، وندرك أيضاً حال الأذفـونش التي وصل إليها من قوة واعتداد بالنفس بعد الاستيلاء على بربشتر وطليطلة.

وقد أثار هذا الكتاب غضب المعتمد بن عباد فأجاب عنه بقوله: [303]

الـذل تأبـاه الـكرام ودينـنا لـك مـا ندين به من الـبأساء
سمنـاك سلماً ما أردت وبعد ذا نغزوك في الإصباح و الإمـساء

---

[300] ابن بسام، الذخيرة , ق2 , م1 , ص83 .

[301] قائد الروم , أعداء الاسلام في بلاد الأندلس .

[302] مؤلف أندلسي مجهول , الحلل الموشية في الأخبار المراكشية , تحقيق سـهيل زكـار وعبد القادر , زمانه , دار الرشاد الحديثة – الدار البيضاء , ط1, 1979 , ص39 .

[303] مؤلف أندلسي مجهول , الحلل الموشية , ص 39 .

الله أعلى من صليبك فـادرع لكـتيبة حطمتك في الـهـيجاء
سوداء غابت شمسُها في غيمِها فجـرت مدامعها بفيض دمـاء
ما بيننــا إلا النـزال وفـتنة قدحت زنـاد الصبر فـي الغماءِ
فلتقدمن إذا لقـيـت أسـنــة زرقا تُرى بالوجنة الـوجـنـاء

وبلغت بالأذفونش الجرأة أن عمد إلى مراسلة أمير المسلمين في المغرب للعبـور لمساعدة إخوانه في الأندلس, أو البقاء في بلاده على أن يعبر إليه الأذفونش لمقاتلتـه في أي البلاد أحب [304].

وقد أجاب يوسف بن تاشفين على كتابه متمثلاً بقول المتنبي[305] :

ولا كتب إلا المشرفية والقنا ولا رسل إلا الخميس العرمرم

وجرت العادة أن يودع القائد بأبيات شعرية في الدعاء تفـاؤلاً بالنـصر, وأمـلاً بالتوفيق, فهذا الكاتب أبو محمد بن عبد الغفور يكتب إلى أميـر المـسلمين, أثنـاء استعداده للغزو بأبيات هي: [306]

سر حيث شئت يحلُّهُ الـنـوار وأراد فيـك مرادك الـمقدار
وإذا ارتحلت فشيعتك سـلامة وغـمامة لا ديمـة مـدرارُ
تنـفي الهجير بظلّها وتنيم بالر ش القتـام وكيـف شيت تُدارُ
وقضى الإله بأن تعـود مظفراً وقضـت بسيفك نَحبها الكُفَّارُ

كما كتب المعتمد بن عباد إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين قبـل معركـة الزلاقة بأبيات هي [307]:

غزو عليك مبارك فـي طـيه الفتح القريب
لله سيفـك إنــه سـخطٌ على دين الصليب
لابد من يومٍ يكـو ن لـه أخـا يـوم القليب

والدارس لهذه الأبيات يرى ما فيها من تفاؤل كبير بالنصر , ولعل ذلك التفاؤل يعود إلى إيمان المعتمد بن عباد بالتنجيم , فقد أمر منجمه أبا بكر الخولاني بقراءة

---

[304] انظر: مؤلف أندلسي مجهول، المصدر نفسه , ص42-43 .
[305] مؤلف أندلسي مجهول , المصدر نفسه , ص 43 .
[306] ابن سعيد , المغرب , ج1 , ص 242 ؛ المقري , ج 3 , ص345؛ ابن خاقان , القلائد، ص475 ؛ العماد الأصفهاني , الخريدة , ق4 , ج2 , ص 429 .
[307] مؤلف مجهول , الحلل الموشية , ص 58 .

الطالع , فبشره بأن الدائرة ستكون على المشركين , وأن النصر سـيكون حليـف المسلمين , فكتب بالأبيات السابقة تفاؤلاً بالنصر [308].

ولم يبخل الشعراء على الحكام بالنصح والتوجيه , لأنهم رأوا أن مـن حـق الحاكم على أتباعه توجيهه إلى الخير وقول كلمة الحق له , كل ذلـك مـن أجـل حماية الإسلام والمسلمين , فنجد أبا بكر محمد بن رحيم يوجه رسالة شعرية إلى الأمير أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين يمدحه فيها، ويشير عليه ببعض الأمور التي يجب أن يتمثل بها الحاكم للحفاظ على قوة دولته وأمنها , حيث يقول منها: [309]

وعندي إن أردت لك انتصاحٌ　　وللنُّصحاءِ أنحاءٌ أثيرةْ
مدار الملك عدلٌ مستنذيعٌ　　وفضلٌ فيه نعمى مستنيرة
ورفقٌ بالرعية أيُّ مالٍ　　سواها للرياسة أو ذخيرة !
وحزمٌ لا تفارقُهُ أناةٌ　　وحِلمٌ تلكَ أخلاقٌ خطيرة
وإن من المشورة كلَّ حزمٍ　　فقد أوصى المهيمن بالمشورة
وموسى قال اجعل لي وزيراً　　فكان أخوه هارونٌ وزيره

فهو يشير عليه باستخدام الوزراء, ويعطي على ذلك مثالاً من القرآن الكـريم, قوله تعالى :﴿ **واجْعل لي وزيراً منْ أَهْلِي ۞ هارون أَخِي ۞ اشْدُدْ بِهِ أَزري ۞ وأَشْرِكْهُ فِي أَمْري** ﴾[310].

ويذكره بحماية الثغور, وتشييد القصور:

ولا تهمل رجالَ الثغر واجعلْ　　قبالة عينِ حزمِكُمُ أموره
فإن الملك يمسي ذا اقتدارٍ　　إذا شيدتَ مقتدراً قصوره

ويحض الشاعر الأمير على مباشرة أمور الرعية بنفسه, وتوجيه الدعوة لـسادة القوم وإحضارهم الأندية.

ولا تحجُبْ جماعة كُلَّ مصرٍ　　حللتَ, وصِلهُمُ فهي اليسيره
وفي حِمصٍ جهابذُ فاصطنعِهُم　　بذا غدت العُلى أبداً مشيره
وحضّرهمْ نديّكَ واعتبرهم　　فمنهم من يرى شرفاً حُضوره
وفي عرض الأمور عليك ضبطٌ　　فباشِرْها ولا تُعذِر صغيرَه

---

[308] انظر مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص 58 .

[309] ابن خاقان , القلائد، ص 352 – 353 .

[310] سورة طه , آية 29-32 .

وقد اتخذ بعض الشعراء ذكر معركة الزلاقة وسيلة للاستجداء, فلم تعـد فـي نظر البعض مبعثاً للفخر والاعتزاز " بل أصبحت وسيلة, لتملق بغـيض وطمـع رخيص, واستجداء شائن " [311]، فقد قال ابن اللبانة في رسالة شعرية أرسل بهـا إلى المعتمد بن عباد بعد تحقيق النصر في معركة الزلاقة يقول فيها: [312]

وعسى أراك بحيث ينبعث الـنـدى   فلقد رأيتك حيث ينبعث الدمُ
قد كنت في أرض الوغى أجني الردى   وأنا بروض الجود لا اتنسمُ
ما كان بين يديك غيري والـظُّبا   متلفعات والقنـا يـتـحطم
قد رشتني سهماً فرشـنـي طـائـراً   وكما نفذت فإنـنـي أتـرنمُ

ووصف لنا الراضي بن المعتمد صورة الصراع الخارجي مع العدو, منها وهو يخاطب أباه مراجعاً على رسالته له مذكراً إيـاه بموقفـه فـي الحـرب, حيـث يقول:[313]

لا تنسَ يا مولاي قـو   لة ضارع لا قول فاخر
ضبط الجزيرة عندمـا   نزلت بعقوتها العساكرْ

بدأ الشاعر بلفظة (لا تنس) على سبيل التنبيه والتذكير لرسم لوحة الحقيقة في ذهن الطرف الآخر، ثم جاء بلفظة يا مولاي على سبيل التفخيم، وفي قوله ضـبط الجزيرة) تذكير بالماضي المشرق والقيادة الفذة، حيث أنه أعاد إلى ذاكـرة أبيـه ضبط الجزيرة والإحاطة بها، وكيفية إدارتها بحرص، وليؤكد له بأنه كان مسيطراً على تلك العساكر المعادية حين ظهرت جاء بلفظة (نزلت بعقوتها)، والتي تشير إلى الاستقرار الحقيقي للعدو، وأي عدو بل عساكر معسكرة استقرت بها .

ثم يشير الراضي إلى وجوده وحيدا، حين كان في حاجة ماسة إلـى المـساندة والمساعدة، وفي لفظة (فريداً) ما يؤكد على انفراده في اتخاذ القرارات، وانفراده كذلك بتحقيق النصر.

أيام ظلتُ بها فريـــ   ـداً ليس غير الله ناصرْ
إذ كان يُعشي ناظري   لَمْعُ الأسنةِ والبواترْ

---

[311] شيخة, جمعة, الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي, ج2, تقديم محمـد الطـالبي, المطبعة المغاربية للطباعة والنشر، تونس, ط1, 1994م، ص57.
[312] ابن اللبانة ,شعر ابن اللبانة، ص 93 .
[313] النفح , م4 , ص 255 .

ويُصِمُّ أسماعي بـهـا قرع الحجارةِ بالـحوافر
وهي الحضيض سُهولـة لكـن ثـبتُّ بها مخاطرْ

2.3 المديح السياسي (مديح الحكام):

يعد المديح من الموضوعات المهمة التي تناولها الشعراء في رسائلهم الشعرية، وقد كان الشعراء يرسلون قصائدهم المدحية إلى الممدوح, سواء كان حاكماً أو أميراً أو صديقاً, وكانت أغلب قصائدهم المدحية وسيلةً من وسائل التكسب.

ومن أجمل معاني المديح للقادة أن يوصف بالشجاعة والكرم وأصالة النسب,وقد ميز النقاد بين مديح الخلفاء والقادة والأمراء وغيرهم مـن أصـحاب الوظـائف، ويؤكد حازم القرطاجني أنه يجب أن يمدح كل صنف بالوصف الذي يليـق بـه، والفضائل التي تصلح له، وأن لا يجعل الشيء منها حليةً لمن لا يستحقه ولا هو من بابه [314]

فأما مدح الخلفاء فيكون بأفضل ما يتفرع من تلك الفـضائل وأجلّهـا وأكملهـا كنصرة الدين وإفاضة العدل وحسن السيرة والسياسة والعلم والحلم والتقى والورع والرأفة والرحمة والكرم والهيبة "[315]

ومدح الأمراء يكون بالكرم والشجاعة ويمن النقيبة وسداد الرأي والتيقظ والحزم والدهاء، ومدح الوزراء ومن حلّ محلهم من الكتاب يكون بالعلم والحلـم والكـرم وحسن التدبير وتثمير الأموال، أما القضاة فمدحهم يكون بالعلم والتقـى والـدين والنزاهة والعدل بين الخصوم وإنصاف المظلوم، ويؤكد حازم القرطاجني أنه على هذا الترتيب يجب أن يكون المدح، وأن يحافظ على ما يجب اعتماده في امتـداح كل طبقه من الممدوحين، فلا يسمى بها إلى الرتب التي فوقها، ولا ينحطّ بها إلـى ما دونها. [316]

---

(314) انظر : القرطاجني، منهاج البلغاء،ص 170 .

(315) القرطاجني،المصدر نفسه , ص 170 .

(316) القرطاجني، المصدر نفسه , ص 170 – 171 .

فهذا أبو القاسم بن مرزقان[317] يكتب إلى المعتمد ابن عباد, عند زواج ابنه الرشيد من بنت مجاهد العامري, أبياتاً منها: [318]

ملكٌ إن قلت من ربُ العُلا   فإليه كل مخلوقٍ أشار

لخميّ ماجدٌ معتمدٌ   كل عسيرٍ حين تلقاه يسار

ما دجا ليلٌ على آملِه   كل ليل بأياديه نهار

بين كفيّه وفي ناديّهِ   ظبية ريقتها صِرفُ العقار

وقد صور الشاعر الرشيد وزوجته بالأسد والظبية, وقد أجاد في ذلك الوصف, أما ألفاظه فهي قريبة من القلب، وفي لفظة " عجبي " كثير من معاني الدهشة والاستغراب ويعلل الشاعر ذلك بأنها جاءت لاتصال الوصل:

عجبي منها وهذا أسدٌ   كيف لا تبعدُ عنه بنفار

أنِسَتْ من أنها مُرسلة   باتصال الوصلِ من أشرفِ دار

كما امتدح الشعراء في الحكام الشجاعة والقوة في خوض المعارك والاهتمام بالعلم، ومجالسة العلماء, والعقل والفطنة والذكاء، كل هذه المعاني نجدها في رسالة شعرية لابن شرف امتدح بها المظفر بن الأفطس: [319]

أصهوة الغبراء أم داحساً   ركبتَ حتى خُضتَ ذاك الغمار

ومنها:

أقمتَ للعلمِ مناراً وما   أظنُّ في الدنيا لعلمٍ منار

فما نداماك سوى أهلِهِ   وكلهُمْ بين ندامى العقار

مَيْزُك ميزان عقول الورى   وفهمك العدلُ لكلِّ عيار

من لفظهمْ تعرفُ ما هم وفي   جحفلةِ العاثرِ يبدو العثار

لقد أشار ابن شرف إلى الحكام إشارة خفيه دون تخصيص، من خلال مدح المظفر بمجالسة العلماء، وذم غيره بالغفلة وشرب العقار، ويبدو أن هدف ابن شرف هنا هدف مادي، فقد أرسل هذه القصيدة قبل قدومه على الأمير، وأشار إلى ذلك بقوله:

---

[317] هو الأديب أبو القاسم بن مرزقان, من شعراء المعتمد بن عباد, قال فيه ابن بسام: هو أكثر القوم قولا وإصابة, وكلامه سهل وقريب, قتل يوم دخول الملثمين إشبيلية على المعتمد. (ابن بسام, الذخيرة, ق2, م 1, ص 520؛ ابن سعيد المغرب, ج 1, ص 266).

[318] ابن بسام, الذخيرة, ق2, م1, ص 522.

[319] ابن بسام، الذخيرة , ق2 , م2 , ص 642 – 643

قدَّمتها قبل قدومي كما   قدَّمَتِ الحُجَّاجُ رميَ الجمار

وتمثل المديح السياسي خير تمثيل رسالة شعرية لعبادة بن القزاز بعث بها إلى المعتمد بن عباد بعد معركة الزلاقة، يقول فيها[320] :

لقد حَسنتْ بك الدُّنيا وشبّتْ   فغنتْ وهي ناعمةٌ رَدَاح
تطيبُ بذكركَ الأفواهُ حتى   كأنَّ رضابها مسكٌ وراح

ويبالغ في مديحه حتى يجعل القدر يسير حسب مشيئة الممدوح، ولعـل الـشاعر قصد في ذلك أن الله سير الأقدار حسب رغبة الممدوح، فكان النصر حليفـه، إلا أننا نشير إلى مبالغة الشاعر لاستخدامه عبارة (ملكت عنان دهرك)، وهذا فيـه مشابهة كبيرة لمبالغات المتنبي في مدائحه .

مَلكتَ عنان دهركَ فهو جارٍ   كما تهوى فليس له جماح

ويفضل الشاعر الممدوح على كل ملوك عصره:

فداك مُلوكُ هذا العصر طراً   فإنّكَ ضَيغَمٌ وهمُ لـقـاح
وأنتَ بكلّ ما تحوي جـوادٌ   وهُمْ بأقل مـا حـازوا شِحاح
فرندُكَ في العلا والحربِ وارٍ   ولا زندٌ لـهـم إلاَّ شَحـاح
جزاكَ اللهُ خيراً عن بـلادٍ   محا عنها الفسادَ بـكَ الصلاح
جلبتَ إلى الأعادي أسدَ غابٍ   براثنُها المهندةُ الـصـّفاح
وقدتهم فكان لهم ظُـهورٌ   ولولا الشمسُ ما ظهرَ الصَّباحُ
وقفت وموقف الهيجاءِ ضنكٌ   وفيه لباعكَ الرَّحب انـفساح

ومنها:

رأى منه أبو يعقوب فيها   عقاباً لايهاضُ له جناحُ

ولنحاول المقارنة بين رسالتين أولاهما في مدح المعتضد بن عباد، وثانيتهما فـي مدح المظفر بن الأفطس، لنرى مدى تقاربهما، ومدى صدق العاطفة فيهما، علـى أن المتحدث في كلتا القصيدتين هو ابن زيدون.

كتب ابن زيدون إلى المظفر بن الأفطس قصيدة منها:[321]

مليـكٌ إذا سابقتهُ الملـوكُ   حوى الخَصلَ، أو ساهمتهُ سَهَمْ
فأطولهم _ بالأيادي – يـداً   وأثبتـهمْ في المعـالـي قـدمْ
وأروعَ لا مُبـتغي رفـدَه   يخيـبُ، ولا جـارهُ يهتضم
ذلولُ الدماثةِ صعبُ الإبـاءِ   ثقيـفُ الـعزيم، إذا ما اعتزمْ

---

(320) ابن بسام، الذخيرة , ق1 , م2 , ص 803 .

(321) ابن زيدون، الديوان , ص 410 –414

فالمظفر في رأي ابن زيدون أعظم الملوك، كريم شـجاع، يعطـي الـسائل , ويحفظ حق الجار , ويتسم بالفطنة والذكاء , والإرادة القوية والتصميم، والانحدار من نسب طيب وعريق :

أبوه الذي فلَّ غربَ الضَلال ... ولاءمَ شَعْبَ الهدَى فالتأم

و قد حافظ أبوه على الدين الإسلامي، وجاهد من أجل نصرته، وأرغم العدو على إطاعته صاغرين:

ولاذ بهِ الدين مستعصمـا ... بذمَّةِ أبلَـجَ وافـي الـذِّمـَمْ

وجاهدَ في الله حقَّ الجـهـا ... د من دانَ – من دونهِ – بالصَّنَمْ

فلا ساميَ الطرفِ إلاَّ أذلَّ ... ولا شامخَ الأنفِ إلا رَغَـمْ

أما الرسالة الشعرية الثانية فهي في مدح المعتضد، يقول ابن زيدون فيها:[322]

أمولاي بُلغتَ أقصَى الأملْ ... وسوِّغتَ دَأباً نساءَ الأجلْ

وعمرتَ ما شئتَ من دولةٍ ... تُقصِّرُ عنها طوالُ الدولْ

فأنتَ الذي غُرُّ أفعـالهِ ... تَحَلَّى بها الدهرُ بعد العطلْ

يبدو للدارس أن عاطفة الشاعر في الرسالة الأولى أصدق، ومعانيه أقرب إلى القلب، ويمكن أن يكون سبب ذلك أن الشاعر كتب تلك القصيدة –الرسـالة بهدف الوصول إلى قلب الممدوح، أما في الرسالة الشعرية الثانية فنجـد فتـور العاطفة، والمبالغة في المعاني، فالمعتضد بلغ شأواً لم يبلغه أحد من قبل، ودولته طال أمدها حتى نساها الأجل.

أما ابن عمار فينظر إلى شخصية المعتضد من زاويةٍ أخرى, فهو يحب فيـه الشجاعة والإقدام, وعدم الشره على الطعام, والاستعداد الدائم للحـرب, حيـث يقول:[323]

إذا ركبوا فانظره أول طاعن ... وإن نزلوا فارصده آخر طاعم

أبَى أن يراه الله إلا مقلداً ... حميلة سيفٍ أو حمالة غارم

كما امتدح الشعراء في ممدوحيهم العدلَ والتزام أوامر الله واجتناب نواهيـه, فنجد ابن سارة الشنتريني يخاطب القاضي أبا أمية بقوله: [324]

---

[322] ابن زيدون، المصدر نفسه , ص222

[323] عبد الواحد المراكشي, المعجب, ص 103.

لَوْ أنَّ عَدلكَ يَحْتَذيهِ زَمَانُنَا　　　لَمْ يَلْقَنَا بالجَوْرِ في اسْتِحْواذِهِ

ويمدح الشعراء في ممدوحيهم نصرة الإسلام والمحافظة على الدين, وبـذلك فهو يستحق الملك, فهذا ابن دراج القسطلي يمتدح منذر بن يحيى التجيبي(325)، بقوله:(326)

ثم أحيَيْتَ فَجْرَهم يا ابن يحيى　　　بِسِرَاجَيْنَ: نُورِ دينٍ ودنيا

وَ خلفتَ السّحَابَ ظلاً وجُوداً　　　فوَسِعْتَ الإسْلامَ سَقياً ورَعيا

وتحليّتَ مِن تُجيبَ سناءً　　　كنتَ فيه للدّينِ والملكِ مَحيَا

ومن المديح السياسي قول أبي عامر بن شهيد في رسالة يمدح فيها يحيى بن علي بن حمود(327)، حيث يقول :(328)

أجرَيتَ للزّنج فوقَ النهرِ نهرَ دمٍ　　　حتى استحالَ سماءً جُللت شفقا

وساعدَ الفلكُ الأعلى بقتلِهم　　　حتى غدا الفُلكُ بالناجي به غرقا

من كل أسودَ لم يُدْلِفْ على ثَلَجٍ　　　بأن جَدَّك يجلُو صفحَهُ يققا

فهو يشيد بانتصار ابن حمود في المعركة التي خاضها ضد السودان بأشبيلية.

---

(324) ابن خاقان , القلائد , ص 813 .

(325) ثار في سرقسطة مدة ملوك الطوائف،وكان من عرض الجند وترقى إلى القيادة آخـر دولة بني عامر، وكان ممدحاً ؛لكونه كريماً وهب لقصاده مالاً عظيماً فوفدوا عليه فحسنت أيامه وهتف المداح بذكره (ابن بسام، الذخيرة، ق1،م1، ص180 –191 ؛ ابـن سـعيد، المغرب، ج2،ص435.

(326) ابن دراج القسطلي, الديوان, ص 550.

(327) كان من جملة قواد سليمان بن الحكم، وولي سبتة وطنجة، ثم حدث له طمع في ولايـة الأندلس، وراسل البربر فبايعوه، فزحف من سبتة إلى مالقة،ثم إلى قرطبة، وقتل سـليمان المستعين وأباه الحكم،ثم ولي قرطبة وتسمى بالخلافة، إلى أن قتله صقالبة له في الحمـام سنة 408هـ. (المراكشي، المعجب، ص 48 –51).

(328) ابن بسام، الذخيرة , ق1 م1 ص313 .

ولم يقتصر مديح الحكام على الرجال فقط وإنما وجدنا بعض الـشعراء يوجهـون مديحهم إلى النساء، فهذا ابن خفاجة يوجه مديحه إلى مريم زوجة الأمير أبي الطاهر تميم، يقول من رسالة شعرية(329):

وكفى احتماءَ مكانةٍ و صيانةٍ أني عَلِقتُ بذمـةٍ مـن مـريـم

ذاتِ الأمانةِ والديانةِ والـتُّقى والخلق الاشرف(330) والطريق الأقوم

ذاتِ الجلالةِ والجزالةِ والنُّهى والبيت الأرفعِ والنصابِ الأكـرمِ

من أسرةٍ يتلثمُونَ إلى الوغى يـوم الـحفيظـةِ بالعجاج الأقتمِ

فقد مدح الشاعر مريم بالتقى والعفة والنسب الرفيع، كما مدح المرابطين وأشـار إلى إقدامهم في الحرب، وهم أيضاً كرماء يجيرون الطريد:

فإذا استجرتَ به استجرتَ بهضبةٍ مأوى الطريدِ بها وكنز المعدمِ

ويتصل بالمديح السياسي تحذير القضاة من أصحاب المكائد والدسائس وتوجيههم، ومن ذلك ما كتب به ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن رحيم إلى القاضي أبي أمية بن عصام يمدحه فيها بالسيادة والكرم ويتخلص من مديحه إلى توجيه النصيحة وتحذيره من بعض القوم، حيث يقول: (331)

يفديكَ كُلُّ من الأسْوى سوى نفرٍ عَلِمْتَ بغيَهُمُ، لا كان من نفَرِ

يُخْفُونَ ضدَّ الذي يُبدُونَ مـن مَـلَقٍ فلا تَثِقْهُمْ، وكنْ منهُم على حَذَرِ

إنَّ الحجارةَ تُلفى وهـي جـامـدةٌ حتى إذا قُدِحتْ جاءتك بالشَّررِ

وتبادل الملوك رسائل المودة والثناء والمديح, ومن ذلك ما كتب به المعتصم بن صمادح إلى المعتمد بن عباد, حيث يقول: (332)

شكري لِبِرِّك شُكرُ الروضِ للمطرِ ونفحُ بِشْرٍ به أذكى من الزَّهَرِ

وجاءني مُخبرٌ عنه, فقلتُ لـه: بالله قلْ وأعدْ يا طيِّبَ الخـبرِ

يا واحداً عَلماً في كلِّ مَنْـقـبَـةٍ جَلَّتْ, ويا ثالثاً للشمس والقمرِ

لئن حُرمتُ لقاءَ منـك أشـكـرهُ لقد حللتَ سوادَ القلب والبصرِ

فراجعه المعتمد:

أنفحةُ الروضِ رقَّتْ في صَبَا السَّحَرِ مِن بعدِ ما بات والأنداءُ في سَمَرِ

---

(329) ابن خفاجة، الديوان, ص 97.

(330) حذفت الهمزة لاستقامة الوزن.

(331) ابن خاقان، القلائد, ص 355.

(332) ابن الأبار, الحلة السيراء, ص87.

لا, بل تحيةُ مَحْض الودِّ بَلَّغْتَـهَـا   بـَرٌّ شريفُ المعالي ماجدُ النَّفَر

أما لَعَمْرُ أبي يـحيى لقد وصلتْ   مِن بـرهِ صلةٌ أحلى من الظَّفَر

يا من وردتُ الوفاءَ الغَمْرَ مُـرتوياً   مِن عَهده إذ يُساقي الناسَ الغُمَر

أحرزتَ سرْوَ السجايا ثم قـارنَـهُ   ظرفُ اللسان اقترانَ الكأس بالوتَر

إذا اعتبرتُ من الأخـلاق أنـفسَها   كنتَ المنـافسَ فيه السامي القدَر

عليكَ مـني سـلامٌ لا يـزالُ لـهُ   فـرضٌ تـؤديـه آصـالٌ إلى بُكَر

3.3 الهجاء السياسي :

لعل أول ما يلاحظ على رسائل الأهاجي الشعرية قلة ما انتهى إلينا من تلـك الرسائل, ولعل ذلك يعود إلى إعراض أصحاب المؤلفات الأندلسية عن تدوين مثل تلك الرسائل, فابن بسام يقول:" ولما صنت كتابي هذا عن شين الهجاء, وأكبرته أن يكون ميداناً للسفهاء, أجريت هاهنا طرفاً مـن ملـيح التعـريض, فـي إيجـاز القريض"[333] وهذا المقري لا يفضل نقل مثل تلك الأشعار لأن فيها إساءة للمهجو فهو يقول في التعريض:" وهو تلميح مليح، سامح الله الجميع."[334]

ورفض النقاد الأندلسيين للهجاء وقبولهم التعريض " مظهر من مظاهر الرقـة الأندلسية، ورهافة الحس وسمو الذوق ونقاء الطبع." [335]

ويذهب جورج غريب إلى أن السبب في ضعف فن الهجاء السياسي في الأندلس عائد إلى خلو البلاد من الأحزاب, فضلاً عن أن السياسة لم تفرض على الشعراء سلطانها.[336]

ويظهر للباحثة أن رأي جورج غريب يخالف الصواب، ذلك أن الهجاء السياسي كان الأكثر شيوعاً في القرن الخامس الهجري من غيره من ألوان الهجاء وربمـا يعود ذلك إلى تعدد الدول, واضطراب سياسات حكامها الداخلية والخارجية مثـل عدم اهتمامهم بالرعية، وتخاذلهم عن الجهاد، وإسهامهم في اضـطراب الأحـوال

---

(333) ابن بسام , الذخيرة , ق1 , م1, ص544 .

(334) المقري , نفح الطيب , م3 , ص269 .

(335) شلبي، سعد إسماعيل شلبي، دراسات أدبية في الشعر الأندلسي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة – مصر، 1973م، ص 47 .

(336) غريب , جورج غريب , العرب في الأندلس , دار الثقافـة , بيـروت،ط4، 1983 م, ص86

السياسية, "ومن هذه الأسباب أيضاً ما يرد إلى عوامل ذاتية أو شخصية تتمثل في فساد العلاقة بين الشاعر والحاكم كأن يبعده الحاكم عن دائرة اهتمامـه أو يـضن عليه بالعطاء [337]، كل ذلك كان له دور كبير في هجاء الملوك والوزراء والقضاة وغيرهم من رؤوس الحكم .

وقد يأتي الهجاء عاماً ليشمل ملوك الطوائف جميعهم, فقد هجا ابن عبدون ملوك الطوائف هجاء مراً, في رسالة شعرية بعث بها إلى أحد الأعيان, حيـث يقـول: [338]

فسلني عن ملوكِ الأرض تسأل … خبيراً فاقض حقَ الاستماع

وشبه هؤلاء الملوك بأعضاء الجسد الذي أصابها المرض, فلم يعد يرجى منهـا الصلاح أو الخير, فقد تزايد المرض, وانتشر بحيث أصبح لا يمكن علاجه:

كأعضاء بها ألم فـقـلـب … على ضمرٍ ورأس في صداع

ومن عصبٍ إذا شئت حراكاً … شكت بسكونها نُحل النخاع

والأدهى من ذلك كله فقدان التعاون وانعدام المودة:

ويمنى لا تجود على شمالٍ … ولا تصفي المودة للذراع

وينعتهم بقلة الدين:

وعين لا تُغمضُ عن قبيحٍ … وأذن لا تألمُ من قذاع

ويؤكد على رأيه في هؤلاء الملوك, ويعد نفسه بمثابة الراعي الذي يعزم علـى الرحيل عن تلك المراعي المزروعة بالحنظل حتى ولو سقيت عسلاً.

فلو سقت السماءُ الشري[339] أريا[340] … لما احلولت مراعيه لراع

ومن الهجاء السياسي أيضاً, هجاء أهـل مدينـة بعينهـا, فهـذا أبـو عـامر الأصيلي[341] يرسل إلى أبي محمد بن أبي الفرج[342] رسالة شعرية يشكو إليه ما

---

[337] أنظر : عيسى، فوزي سعد , الهجاء في الأدب الأندلسي , دار المعارف،ص41 .

[338] ابن عبدون ؛ الديوان , ص 162-163 .

[339] الشري : شجر الحنظل . (اللسان، مادة "شري").

[340] الأري: العسل (اللسان، مادة " أري ").

لقيه من أهل جزيرة شُقر(343) ويذمهم, وقد كان هجاؤه لهم ولعاملها قاسياً حتى إنه نعتهم ببني الزانية, وسلبهم صفة إكرام الضيف، الصفة التي يحبها العربـي كثيـراً, حيث يقول واصفاً ما لقيه من أهل هذه الجزيرة:(344)

كتبـت إليك أوان الخروج حزيناً مهيناً إلى دانِيـَةْ

أسـائل ربـي ألا أعـود إلى أرضكم مـرةً ثـانيةْ

حللت الجزيرة سُحقاً لـها كأنـي حلـلت بسردانِيهْ

مُنِعتُ الدخـولَ إلى أهلِها فدرتُ كما دارت السانية

وبت ثلاثاً بهـا طاويـاً قِراي هُمومي وأحزانـيهْ

فقل لابن ذي النون ما باله يولي الحصون بني الزانية ؟

ونجد في أبيات ابن الأصيلي السابقة نغمة حزن واضـحة, ممزوجـة بالـسخط والغضب, فقد عقد أمله للقاء بني ذي النون, ولكنه منع مـن ذلـك فنعـتهم بهـذه الأوصاف الشائنة.

ويبدو أن ابن الأصيلي قد اشتد غضبه على أصحاب الحـصون، فجعـل يـذمهم ويهجوهم، فقد حاول الدخول إلى بعض الحصون لكنه منع من ذلك، فبعث رسـوله إليهم طالباً النزول عندهم، لكنهم أصروا على رأيهم بعدم استضافته، يقول من رسالة شعرية موجهة إلى ابن أبي الفرج: (345)

---

(341) أبو عامر محمد بن الأصيلي, من أدباء القرن الخامس الهجري, مـن فحـول الـشعراء والكتاب, كان من الشعراء الجوابين الذين لم يستقر بهم مكان(ابن بـسام، الـذخيرة, ق3, م2,ص 857؛ ابن سعيد، المغرب, ج1 , ص444؛ العمـاد الأصـفهاني،الخريدة , ق4, ج2, ص243) .

(342) وزير المأمون يحيى بن إسماعيل بن ذي النون, وقد عهد إليه المأمون بتـدبير شـؤون الأخبار, والنظر في شؤون الأعمال الديوانية. (ابن الأبـار، الحلـة الـسيراء، ج2، ص 171).

(343) من أعمال بلنسية إلى الجنوب منها, وتقع عند مصب نهر شُقر على الـشاطئ الـشرقي للأندلس.(الحميري , الروض العطار في خبر الأقطار , ص349).

(344) العماد الأصفهاني، الخريدة،ج2، ص243.

(345) العماد الأصفهاني، الخريدة،ج2، ص244.

حتى إذا رُمت دُخوُلاً أبت نفسُ أبي الحجاج لي بالدخُولْ

راسلتُهُ مستنزلاً داعيـــاً فكاد أن يقطع رأس الرسولْ

أكرمْ به مــن قائدٍ ماجدٍ يصْلُح لِلحربِ ورعي العُجُولْ

لا بد لي إن عشتُ والله أن أخْرى على لحيته أو أبولْ

ومهما يكن من أمر, فإن تشدد الحكام مع شعراء الهجاء لم يؤد إلى تكميم أفواههم أو إسكات ألسنتهم عن المجاهرة بمساوئهم ومثالبهم, فعبروا عن ضيقهم بهم، وكشفوا عن أوجه الفساد في سياستهم وتحدثوا عن انغماسهم في الترف والملذات،[346] فهـذا ابن الأصيلي في رسالة شعرية أخرى ينعى حظ ابن ذي النون وسوء بخته في اختيار قواده، يقول فيها: [347]

قل لابن ذِي النون الرئيس الذي ليس له شيء من البخت

يـا مالكاً يـجعل قـواده قَوماً عدوا بالسلب واللفت[348]

إن صار في حصنٍ رأى أنه قد أدخلَ العالم في لحتٍ([349]

إن تأته في حاجةٍ يعتذر عذر يهودٍ غُدْوةَ السبتِ

ولم يكتف ابن ذي النون من منعه من الدخول إلى حصونه وإنمـا منعـه مـن النزول عند غيره، يشير إلى ذلك بقوله "ولم يكفهما أن منعـاني لقاءهمـا، حتـى حجباني عن سواهما": [350]

وإن امرءا ضنت يداه على امرئ بنيل يدٍ من غيره لبخيل

---

[346] انظر: عيسى، فوزي سعد, الهجاء في الأدب الأندلسي، ص 43.

[347] العماد الأصفهاني، الخريدة،ج2، ص247 _248.

[348] اللفت: لي الشيء عن جهته (اللسان: مادة "لفت ") .

[349] اللحت: القشر،ولحته إذ أخذ ما عنده (اللسان، مادة " لحت ") .

[350] العماد الأصفهاني، الخريدة،ج2، ص248.

ولم يتوقف الهجاء السياسي عند حد هجاء الرعية للحكام فقط , وانمـا وجـدناه بين الحكام أيضاً، فهذا مجاهد العامري يوجه إلى المنصور بن أبي عـامر حـاكم بلنسية رسالة ضمنها بيت الحطيئة : [351]

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فأنك أنت الطاعم الكاسي

فرد عليه المنصور بن أبي عامر بقوله:

شتمتْ مواليها عبيدُ نزار شيمُ العبيدِ شتيمةُ الأحرار

وقد أشار المنصور إلى نسبه حيث أنه كان من الفتيان الصقالبة الذين يخـدمون في القصور. [352]

ومن الهجاء ما يمتزج بالفخر, فهذا رفيع الدولة بن صمادح يكتـب إلـى أحـد المرابطين وقد استأذن لحضور مجلسه فلم يؤذن له وقيل " تلك أمة قد خلت " يقول رفيع الدولة من رسالة شعرية: [353]

وكل إناء بالذي فـيـه راشـح وهل يمنح الزنبورُما مجهُ النحلُ
سأصرف وجهي عن جناب تحلهُ ولو لم تكن إلا إلى وجهك السُبلُ
فما موضع تحـتلهُ بـمـرفـع ولا يـرتضى فيه مقالٌ ولا فعلُ

كما أن المتوكل بن الأفطس قد بلغه أنه ذُكر بسوء في مجلـس أخيـه يحيـى المنصور فبعث إلى أخيه برسالة شعرية, يهجو فيها من تعرض له بسوء, يقـول منها: [354]

فما بالهم لا أنعم الله بـالـهم ينوطون بي ذما وقد علموا فضلي
يسيئون في القولَ جهلاً وضلةً وإني لأرجو أن يسـوءهم فعلي
طَغَام لئام أم كـرام بـرغمهم سواسيةٌ ما أشبه الـحـولَ بالقُبل

---

[351] المقري, نفح الطيب, م4, ص 132.

[352] حسين، عبد الرزاق, الأدب في جزر البليار, دار الجليل للنشر، عمان، ط1، 1994 م، ص21.

[353] المقري، نفح الطيب, م3, ص370.

[354] ابن الأبار, الحلة السيراء،ج2، ص105.

كما تبادل بعض الوزراء رسائل الهجاء, لسوء العلاقات بينهم بـسبب انتـشار الغيرة والمنافسة والحقد بينهم, فهذا ابن عمار وقد علم أن ابن عبد العزيز وابـن طاهر حاكم مرسية قد سخرا منه, يكتب إلى ابن عبد العزيز: [355]

قل للوزير وليس رأى وزير　　　أن يتبع التنذير بالتنذير

فوزارته قائمة على التزوير:

إن الوزارة مذ لبست رداءها　　　وقفٌ على التغيير و التزوير

وأرى الفكاهة جُل ما تأتي به　　　رحماك في التعجيز والتصدير

بلغت دُعابتُك التي أهديتُها　　　في خاتم التأمين و التأمير

وأظنها للطاهري فإن تكـنْ　　　فجديرة التقديس و التطهير

ثم نجده يسخر منهما:

فرسا رهان أنتما فتجاريـا　　　بالقـول في التقديم والتأخير

وإذا سلكتَ سبيله فحقيقـة　　　كي تتبع التصغير بالتصغير

وأرى بلنسية وأنت قدارها　　　سينالـها التدمير من تُدمير

وقد يهجو الشعراء المؤدبين, فقد كان في المرية مؤدب يسمى الوليد بـن عبـد الوارث, وكان يقول ببعض الآراء الفلسفية, فألف الفقيه أبـو بكـر بـن الحـسن المرادي القروي[356] رسالةً شعرية رداً عليه، يقول فيها: [357]

لا در در سـخـافةٍ شنعاء جاء بها الوليدُ

كفر تكادُ له الـجبال عـلى ثقالِتها تميدُ

قل للرئيس الأحـوصي ورأيهُ أبداً سـديد

حمقَ المؤدب فادعى من بينهم مـالا يجيد

مكنتموه من الكـلام وجهـلـهُ أبداً يزيد

ويحرض قومه على تقييده بالسلاسل كي لا يزيد طغياناً:

---

[355] ابن بسام, الذخيرة, ق2, م1, ص 410.

[356] شاعر وفقيه , تجول في دول ملوك الطوائف , وعمل لدى المرابطين في سلك القضاء , وتوفي في بلاد الصحراء , (ابن بسام , الذخيرة , ق4 , م1 , ص364).

[357] ابن بسام، الذخيرة، ق4، م1، ص 366.

وتركتموه مسـرحـاً أين السلاسل والقيودُ ؟

أَعَلا الحديدُ بأرضكمْ أم ليس يمكنُه الحديد

4.3 رثاء الحكام:

يعد شعر الرثاء من أصدق الموضوعات الشعرية؛ لأنه يعبر عن خلجـات النفس عند إحساسها بهول المصاب, وفداحة الخطب بوفاة قائد أو زعيم أو صديق، وغير ذلك فصاغت مشاعرها وخلجاتها في أبيات شعرية تفيض حسرة وألماً.

وتقسم المراثي إلى ثلاثة أقسام:

أ- رثاء الحاكم نفسه:

ونجد ذلك في رسالة شعرية, بعث بها المعتمد بن عباد إلى ابن حمـديس الصقلي, ندب فيها نفسه, وبث حزنه وألمه, ورثى دولته الزائلة، حيـث يقول: [358]

غريب بأرض المغربـين أسير سيبكي عليه منبر وسرير

وتندبه البيض الصـوارمُ والقنا وينـهل دمع بينهن غزير

سيبكيه في زاهية والزاهر الندى وطلابه والـعرف ثم نكير

يبين الأمير الشاعر في أبياته السابقة أن ما حصل له, هو زوال ملكٍ من ملك عظيم الشأن، فبكاء المنابر والقصور وندب السيوف وبكاؤها يـدل علـى عِظَـم المصيبة وهول الكارثة.

ونجد الشاعر يتأسى بغيره من الصالحين, الذين قضى عليهم الـدهر, فهـو دهر فاسد ليس للكرام فيه مكانة أو محل:

مضى زمن والملكُ مستأنس به وأصبح عنه اليوم وهو نفور

برأيٍ من الدهر المضلل فاسدٍ متى صلُحت للصالحين دهور

كما صور السماء تبكي عليهم حزناً لما حصل لهم من هوان وذلٍ في الأسر:

أذل بني ماء السماء زمانُهم وذُل بني مـاء الـسماء كثيرُ

فما ماؤهـا إلا بكاء عليهمُ يفيض على الأكباد منه بحور

---

(358) المعتمد بن عباد , الديوان , ص 98 –99 .

ونجده يقلد القدماء في الوقوف على أطلال سعادته وملكه الزائل، ويتمنى أن تعود ليلة من تلك الليالي في قصوره (الزاهر, الزاهي, سعد السعود):

فيا ليت شعري هل أبيـتـن لـيلة أمامي وخلفي روضةٌ وغَديرُ

بمنبتة الزيتون مورثـة الـعُـلا تغني قـيان أو تـرن طيورُ

بزاهرها السامي الذرى جاده الحيا تشيرُ الثُـريا نحـَونا ونشيرُ

ويلحظنا الزاهي وسعدُ سُـعـوده غيورين والصب المحب غيورُ

ثم يخفف على نفسه وقع المصيبة وهولها, مبيناً أن قدرة الله ومشيئته فوق كـل شيء, مشيراً إلى الآية: ﴿**إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول كن فيكون**﴾ [359]

تراه عسيراً أم يسيراً مناله ألا كل ما شاء الإلهُ يسيرُ

ويختم الشاعر أبياته مسلماً بقضاء الله وقدره, موضحاً أن ما حدث في أشـبيلية هو الموت الذي لا حياة بعده:

قضى الله في حِمص الحمام وبُعثرت هنالك منا للنشور قُبورُ

ب- رثاء الشعراء للحكام:

منها على سبيل المثال الرسالة الشعرية التي يراجع بهـا ابـن حمـديس الصقلي على الرسالة الشعرية وصلته من المعتمد بن عباد, يقول في مطلعها:[360]

جرى بك جد بالكرام عثورُ وجار زمان كنـتَ فيه تـُجـير

تجيء خلافاً للأمور أمـورُنا ويعدلُ دهر في الورى ويـجورُ

أتيأس من يومٍ يناقضُ أمسهُ وزهرُ الدراري في البروج تدورُ

وقد تنبه الأقدار بعد خمولها وتخرج من تحت الخسوفِ بدورُ

بداية موقفه من الشاعر تحمل كثيراً من معاني العزاء والتخفيف عـن الـنفس, والعمل على بعث بريق أمل مفقود, ففي تنبه الأقدار بعد خمولها وخروج البـدور بعد كسوفها, ما يؤكد أن هذه ليست النهاية, وهذه محاولة من الشاعر للحث علـى الصبر, إذ طالما وجد الأمل فالصبر موجود.

---

(359) سورة يس , آية 82 .

(360) ابن حمديس، عبد الجبار بن حمديس الصقلي (ت527 هـ ـ/1132م)، ديـوان ابـن حمديس الصقلي، صححه وقدم له إحسان عباس، دار صادر بيروت، ص268 .

وفي محاولة من ابن حمديس لتضميد الجراح يبين أن أسره فخر وعز للأسرى:

أعز الأسارى أن يُقال محمد: غريب بأرض المغربين أسيرُ

وفي البيت الأخير أجمل معاني المديح للمرثي إذ إن في تعداد مناقب المعتمـد رثاء له, حيث يقول:

لقد صنتَ دين اللهِ خير صيانة كأنك قلب فيه وهو ضميرُ

ومن رثاء الملوك والحكام قصيدة بعث بها ابن زيدون إلى أبي الوليد بن حـزم يرثي أباه أبا الحزم بن جهور, وفي نفس الوقت يهنئـه بولايـة الحكـم, حيـث يقول:(361)

ألمْ تَر أن الشمس قد ضمها القَبرُ وأنْ قَدْ كَفَانَا – فقـدها- القمـرُ البدْرُ

وأن الحيا إنْ كان أقلع صـوبُهُ فَقَدْ فـَاض ِللآمال في إثرِهِ البحرُ

إساءةُ دهرٍ أحسن الـفِعلَ بعدها وذنـبُ زمـانٍ جـاء يتبعُـهُ العُذرُ

ويرى الشاعر أنه بوفاة أبي الحزم فُقد الرجال الذخائر:

"أبا الحزمِ" قدْ ذابتْ عليكَ من الأسى قلوب مُنَاها الصبرُ, لـو سـاعد الصبرُ

تـهونُ الـرزايا بعـدُ وهي جليلةٌ ويُعرفُ مُـذْ فَـارقْتَنَا الحـادِثُ النكرُ

ويحاول الشاعر أن يخفف عن أبي الوليد نكبته فيذكره أن المنية هي نهاية كـل مخاوق, مهما طال به العمر, فلا يجب الحزن مهما عظُم المصاب:

فلا تَبعدنْ !! إن المنيةَ غَايةٌ إليْها التناهي, طالَ أو قَصُر العُمرُ

ويحث ابن زيدون أبا الوليد على الصبر, ويبين له أن البكاء على الميت يضيع الأجر والثواب:

---

(361) ابن زيدون , الديوان , ص523- 529 .

وما الرزءُ في أنْ يُودع الترب هالِكٌ بل الرزءُ كل الرزءِ أنْ يهْلِك الأجرُ

ويثني الشاعر على أبي الوليد, فلا حاجة له لنصر, بل الله عز وجل خير ناصر وخير معين:

وما بِكَ مِنْ فَقرٍ إلى نَصر ناصِرٍ كفتك من اللهِ الكلاءةُ والنصرُ

وممن رثى أبا الحزم بن جهور الشاعر ابن الحناط في رسالة شعرية بعث بهـا إلى ابنه أبي الوليد بن حزم يعزيه بوفاة أبيه، ويهنئه بتوليه الإمارة, حيث يقـول: (362)

إنا إلى اللهِ في الرزءِ الذي فَـجـعا والحمدُ للهِ فـي الحكـمِ الـذي وقَـعا

ولى أبو الحزمِ عن مُلكٍ تـقـلـدهُ أبـو الوليـد فعـز المُلـك وامتنـعـا

أب كريم غدا الفردوسُ مسـكـنَـه وابن نجيب تولى الأمر واضطلعا

لله شمسُ ضحى في اللحدِ قد غربت فأعقبت قمراً بالسعدِ قد طـلـعا

لا نلمس في أبيات ابن الحناط السابقة شيئاً من الصدق العاطفي, فـنحن نحـس بخفوت العاطفة واضمحلالها, لكننا في المقابل ندرك براعته, وحذقه, وقدرته على التأليف بين المتنافرين الرثاء والتهنئة, فقد جعل الشطر الأول من كل بيت لرثـاء الحاكم الراحل وندبه، والبكاء عليه، أما الشطر الثاني من كل بيت فحمله معـاني التهنئة والتبريك والمديح للحاكم الجديد.

جـ - رثاء الدول:

رثى الشعراء سقوط دول ملوك الطوائف, بقصائد تفيض لوعـةً وحزنـاً ومـن الرسائل

---

(362) ابن بسام , الذخيرة , ق1 , م1 , ص449 .

الشعرية المرسلة في هذا الشأن, رسالة شعرية لابن الجد، بعث بها من ميورقة إلى عمه، حيث يقول [363]:

كتبتُ وقد غالـت عـزائي أشجانُ وقد شرقت بالدمع والدمِ أجـفانُ

وقد وقذتني نبأةُ الخطبِ لم تـصخْ إلى مثلها في سالفِ الدهرِ آذانُ

تصاممتُ عنها مستريحاً إلى المنى وقلتُ عساها في الأحاديثِ بهتانُ

إلى أن جلاها الصدقُ عندي فهدني وإن قليلاً أن تضعـضع أركان

ففي استخدام الشاعر للفظة (غالت) ما يدل على أن القتل كان غدراً واحتيـالاً , وإذا شرقت العين بالدمع والدم ما يشي بعظم المأساة، و لهولها لم يـسمع بمثلهـا على سالف الأزمان , وقد تمنى الشاعر كما تمنى غيره أن يكون ما سمعوه كـذباً إلى أن تأكد صدق النبأ،وقد عد الشاعر ما حدث من علامات يوم القيامة , بقوله :

كذا فارقبوا يوم القيامةِ بغتةً فيهلك شيطان ويُهتك سلطانُ

ويلتمس لما حلّ العذر:

همُ حسُنوا بالدهر ظناً فخانهم وما الدهرُ إلا ناقضُ العهدِ خوان

ويعزي الشاعر نفسه, بما حدث لعلي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وغيـرهم من السابقين واللاحقين:

ولولا الأسى لم يبدُ في العيش عذرة وحسبي ولم أبعد علـي وعـثمـان

وكم قبلها من مثلـها ثم بعـدهـا وليس على دهرٍ جنى ذاك عـدوان

ويلهج الشاعر بالبكاء، ويتمنى على الله أن يلهمه الصبر والسلوان :

وبين ضلوعي والجفون تنازع على الرسم من جسمي فسحب ونيرانُ

ولا شك أنـي بين هاتين طائح فيغرق طوفان ويـحـرق بـركـان

تقـسم صـبري والحـوادث جمةٌ ملـوك وجـيـران وقوم وأوطـان

لـعل الـليالي, واللـيالي لواعب ستأتي التي فيها عن الغم سـلوان

وفي الفمِ ماء مانـع مـن زيـادةٍ وعـند الـذي يهـدي كـتاب تبيان

---

(363) ابن بسام، الذخيرة , ق2 , م2 , ص559 .

فطوال في إرعـاء سـمعك ساعة لتسـمع مـا شطت به عنك أزمان
وراجعْ ولو في صفحةِ الماءِ راقماً وطالعْ فيكفيني من الطرس عـنـوان

5.3 الرسائل الشعرية الفكاهية:

يعد الشعر الفكاهي نوعاً من التسلية والترويح عن النفس, وإضحاك الآخرين ؛ جلباً للمتعة, وتحصيلاً للفائدة في آن واحد , ومن خلال تلـك الأشـعار يـدلي الشاعر برأيه أو ينتقض بعض القضايا الاجتماعية , أو يشكو حاله بأسلوب سـاخر ومضحك.

وتقسم الرسائل الشعرية الفكاهية إلى قسمين:

أ- الرسائل الشعرية في السخرية والتهكم: وهي تُقدم نقـداً لاذعـاً وسـخرية تهكمية بارعة، وهي تعد أرقى أنواع الفكاهة لما تحتاجه من ذكاء حـاد وخفـة ومكر وبراعة وقدرة على الحيلة والخيال, فهي توجه إلى شخص أو أمر ما لتحوله إلى أضحوكة من خلال ترصد المثالب ونفي المحاسن. [364]

ومن الأمثلة على ذلك الرسالة الشعرية التي بعث بها المعتمد بن عباد إلى ابنه الراضي, وكان قد أمره بالخروج لملاقاة العدو, فأظهر التمارض, وانصرف إلـى المطالعة, فكتب إليه المعتمد رسالة أولها: [365]

المُلْكُ في طَي الدفَاتِرْ فتَخَلَ عن قَوْدِ العساكِرْ
طُف بالسريرِ مُسلّماً وارجعْ لتَوديعِ المنابِرْ

يسخر المعتمد من ابنه مبيناً له أن الملك في المطالعـة وقـراءة الكتـب لا الحرب وحماية الثغور, ثم يجعل من سخريته شكل أقصوصة تهكمية, فشخوص قصته هم (المحابر, والأقلام, والحبر, وجيش المعارف)، فالمعارف جيش جرار يصعب هزيمته, إلا أن الراضي تكفل بذلك, أما الحبر فهو مقاتل شجاع لم يجد كفؤاً له إلا الراضي ابن المعتمد، أما المحابر فلها ثغور أنتصر فيها:

وازحفْ إلى جيشِ المعا رفِ تقهر الحبر المُغَاوِرْ
واطعنْ بأطرافِ اليرا عِ نُصِرْتَ في ثَغْرِ المحابِرْ

---

(364) القيسي , أدب الرسائل , ص 233 .

(365) المعتمد بن عباد , الديوان , ص46 .

وتبلغ لديه السخرية غايتها, فهو أعظم عظماء التاريخ, أحاط بكل العلـوم مـن فلسفه ونحو وعروض وفقه وعلم كلام، يقول المعتمد:

أو لسْتَ رُسْطاليـس إن ذُكِر الفلاسفةُ الأكابِـرْ
وكذاك إن ذُكِر الـخليلُ فأنتَ نحـوي وشـاعِـرْ
وأبو حـنيـفَةَ ساقِـطٌ في الرأي حين تكون حاضِرْ
من هرمس, من سيبويـ ـه ,من ابن فُورك ,؟؟ إذ تناظر
هذي المكارمُ قـد حويـ ـت، فكن لمن حـابـاك شـاكِرْ

وتنبع السخرية في الأبيات السابقة من محاولة رفع مستواه إلى حد لـم يبلغـه العلماء الذين ذكرهم, وهذا قمة التهكم والسخرية, ثم تبلغ به الـسخرية إلـى حـد الهجاء, حيث يقول:

واقعد فإنك طاعم كاسٍ وقل هل من مُفاخِرِ

وهذا إشارة إلى بيت الحطيئة [366]:

دع المكارم لا ترحل لِبُغيتها واقْعُد فإنك أنتَ الطاعِمُ الكاسي

وفي رسالة المعتمد السابقة عرض لكثيرٍ من المعارف والعلوم؛ هدفها إبراز خلفية المعتمد الثقافية ومعرفته للعلوم وأشعار العرب, وتدريب ابنه الراضي على المراسلة وقول الشعر.

ولابن مسعود[367] رسالة بعث بها إلى ابنه وقد توجه إلى المغرب وبلغه خلـع عذاره في البطالة والشرب, وقد اندرجت ضمن رسالة نثرية, يقول منها: [368]

فاشربْ على ودي وقف صافناً فعل المُحب الوامِق الذاكر

---

[366] الحطيئة , جرول بن أوس العبسي(ت45هـ/665) ديوان الحطيئة برواية وشـرح ابـن السكيت، تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه , مكتبة الخانجي، القـاهرة , ط1, 1987م، ص 50 .

[367] هو أبو عبد الله محمد بن مسعود , كان ظريفاً , كثير الهزل في نظمه ونثره , اتبع نهـج محمد بن حجاج بالعراق . (ابن بسام، الذخيرة, ق1, م2, ص 549؛ ابن سعيد، المغـرب, ج1, ص 34).

[368] ابن بسام , الذخيرة , ق1 , م1 , ص 552 .

ولا تـكـن تـشرب إلا على   حُسن أغاني خـاف الزامر

ونجد السخرية عنده أقرب إلى التقريع والتأنيب:

وزد جفاء لا تكن ناسياً   فهو من المستطرف النادر

وأسلوبه في السخرية والتهكم يتم بتقديم النصائح, فهو يدعوه إلى أن يبقى على حالٍ من الجفاء والقطعية؛ كي يصبح مجالاً للشماتة والسخرية, كل ذلك في إطـار السخرية اللاذعة، يقول بعد أن يدعوه إلى الأخذ بأسباب القطعية؛ فيصل إلى مرحلة من اليأس:

حتى تُرى أملس طاوي الحشا   قُرة عين الشامت الساخر

ب _ الرسائل الهزلية الفكاهية: وهي الرسائل التي يكون الهدف منها الإضـحاك وبث روح الدعابة والترويح عن النفس, بخلاف رسائل السخرية التهكمية التي تهدف إلى التقريع والتأنيب بشكل أساسي.

ومن الأمثلة على هذا اللون رسالة لأبي عبد الله بن مسعود بعث بها إلى أحـد الوزراء, وقد أهدى إليه هذا الأخير جارية, فأرسل له هـذه الرسـالة علـى لـسان الجارية, يقول منها: (369)

إني بالله وبالـوزيـر   أدفَـعُ مـا حـَل من المحذُور

وهبتني لأوحدٍ منقطع   في القبح والفقر خفي الموضع

وتشكو الجارية حالها مع ابن مسعود, حيث أنها تعمل من أجل تحـصيل المـال, وتوجه عتاباً شديداً للوزير لمنحه إياها, يقول على لسانها:

ألا وهبتني لشخص تاجر   ولم أكن عند فقير ماجد

أوليتني كنت لبعض الجند   فربما حاز نفيس المجد

ويشكو أيضاً كساد شعره, ولكن على لسان الجارية:

قد كسدتْ آدابه والشعر   فما له عند البرايا قدر

ويقدم ابن مسعود لنفسه صورة في قمة الإضحاك والهزل, يقول :

ولو تراهُ سائراً لِلـسـوق   إذا بدا في كسوة الغُرنُوق

مشمراً في الطين عن ساقيهِ   مداولاً عـصاه في كفيه

---

(369) ابن بسام , الذخيرة، ق1 , م1 , ص 553 –555 .

يأخذ في التعبير والإزهـاد منكمشاً في طلعة الصياد
فمرة يعطي وألفـاً يـمنـع ومرةً يمشي وعشراً يقع

فقد قدم الشاعر نفسه في صورة كاريكاتورية, كسوته بالية، وقد ظهر مشمراً عن ساقيه خوفا من الطين, متعثراً في مشيته, محركاً لعصاه, يستدر عطف المحـسنين، ويصور منزله بأسلوب مضحك لكنه يبعث على الحزن في نفس الوقت, ويبدو أن القصد من ذلك التأثير في نفس الوزير, يقول:

ولو ترى يا ذا الندى مثواه لقلتَ سبحان الذي سواه
يا شوقنا فيه إلى قـنديل وتوقنا أيضاً إلى منديـل

ويستمر في تلك الأرجوزة على نفس المنوال من السخرية والتهكم والإضـحاك في تصوير حال تلك الجارية.

أما الجزار السرقسطي فإنه يصور مهنته بأسلوبٍ مـضحك, مثيـر للـسخرية والتهكم في رسالة بعث بها إلى الفضل بن حسداي مراجعاً له على رسالته التـي عاتبه فيها على ترك الشعر والعودة إلى مهنة القصابة, يقول مفضلاً مهنته علـى بقية المهن:[370]

تعيب علي مألوف القصابة ومن لم يدر قدر الشيء عابه
ولو أحكمت منها بعض فنٍ لما استبدلت منها بالحجابه
لعمرك لو نظرتَ إلي فيها وحولي من بني كلبٍ عصابه
لهالك ما رأيتَ وقلت هذا هزبر صير الأوضام غابـه

ويتفنن الشاعر في عرض محاسن مهنته بأسلوب ساخر, فيصف مهنته أجـل وصف, في معرض المباهاة, وكأنه يسطر ملحمة من ملاحـم القتـال والبـأس, بأسلوب بارع ولغة رشيقة, حيث يقول:[371]

إذا ما نحن نازلنا قبيـلاً رأيت الموتَ قد أمضى حرابه
فتكنا في بني العنزي فتكاً أقر الذُعر فيـهم والمهابة
أبدنا شيبهم ومتى ظفرنا بغرٍ شب لـم نـرحمْ شبابه

---

(370) الجزار السرقسطي , روضة المحاسن وعمدة المحاسن , ص 157 – 163 .

(371) الجزار السرقسطي , المصدر نفسه , ص 41 .

وهل جملٌ بدا إلا حملنا عليه حملةً هتـكتْ حجابـَه
ولم نُقلع عن الثوري حتى مزجنـا بالدمِ القاني لُعابـه

عند قراءة رسالة السرقسطي هذه, نجد أن فيها نوعاً مـن الأنفـة والكبريـاء, صحيح أنه دافع عن مهنته بطريقة مضحكة, إلا أن نفسه الأبية رفضت أن يـرى في موقف المستجدي بالشعر, ولو عدنا إلى ديوانه لتأكد قولنا, ذلك أنه لم ينظم في المديح إلا ثلاث قصائد, كما أننا نجده يعلن سبب إقلاعه عن قول الشعر ويحمـل أصحاب الشأن

مسؤولية رجوعه إلى مهنته القديمة, حيث يقول:

لعمرك ما تركت الشعر حتى رأيتُ البخلَ قد أمضى شهابه
وحتى زرتُ مشتاقاً حميمي فأظهر لي التجهم والكآبـه
وظن زيارتي لطلاب نيل فنافرني وغلظَ لي الحجابـه

ويحمل السرقسطي على الشعر؛ لأنه أصبح دون قيمة في رأيه:

إذا ما شئت أن تُشنأ فنظمْ قريضاً والتمس فيه الإثابة

وكشفت لنا الرسالة عدة أمور منها اشمئزاز المجتمع من العمل فـي بعـض المهن, ومنها مهنة القصابة؛ لذلك انبرى الشاعر للدفاع عنها والتقليل مـن شـأن الشعر.

وتعد رسالة السرقسطي هذه بمثابة وثيقة اجتماعية, تصور أحوال المجتمـع من فقر أو استخدام الشعر للاستجداء, وعفة نفوس بعض الشعراء, وبخل بعـض أصحاب السلطان في تقديم العون لمساعدة الشعراء.

6.3 الوصف:

الوصف إخبار عن حقيقة الشيء، وأصله من الكشف والإظهار، يقال: وصـف الثوب الجسم، إذا لم يستره ونم عليه، [372]وقد تعددت أشكال الوصف في الرسـائل الشعرية, في القرن الخامس الهجري, فمن وصف الطبيعة إلى وصـف القـصائد

(372) ابن الأثير، كفاية الطالب، ص 95 .

الشعرية ووصف الهدايا من مشروب أو أزهار وما إلى ذلك مـن الأمـور التـي يتبادلها الأصدقاء.

أما وصف الرسائل الشعرية المرسلة, فقد ظهر هذا اللون في نفس الفن, وذلـك بأن يرسل الشاعر برسالة الشعرية إلى صديقٍ أو حاكم, فينبري الأخير بالرد عليها واصفاً هذه الرسالة الشعرية من حيث السلاسة, وجمال الأسلوب, وحسن البناء وما إلى ذلك, مبيناً أنه مهما حاول محاكاتها فلن يستطيع أن يقرض قصيدة في نفـس مستواها من الجمال والإبداع. فهذا ابن خفاجة يشبه رسالة شعرية وصلته من أحد الشعراء بالقلادة في العنق ولا يخفى على أحدٍ موضع القلادة ومكانتها, وكذا منزلة الشاعر بين الشعراء، يقول: [373]

لقد طُلْتَ أَعْنَاقَ الهضابِ جلالةً — وحُزْتَ بِميْدان العُلى قصب الخَصْلِ

وأرْهفتَ من حُر القريض مُهنداً — يسِيلُ على إفرنْدِهِ رونَقُ الصقلِ

وأبدعْتَ في تَقْريض أي قلادةٍ — يشُد بها الحُر الكَريمُ يد البُخْلِ

وهذا أبو الفضل بن شرف[374] يجعل من قصيدته-الرسالة عروساً بكراً , وقد منعها من الزواج إلى أن وجد لها الزوج الصالح الذي يستحقها , ويحـافظ علـى كرامتها، حيث يقول [375]:

بِكْر بخِلْتُ على اللئامِ بِوجْهِها — ومنَعْتُها منْ ليْس مِنْ أزْواجِها

وصرفْتُها محْجُوبةً بصُوانِها — مثْلَ السلوكِ تُصانُ في أدْراجِها

كالروض في أكْمامِها والبيض في — أغمادِها والغِيدِ في أحْداجِها

فالنفس إن ثبتت على أخلاقِها — أعيى على النُصاح طول لجاجها

---

(373) ابن خفاجة، الديوان، ص350 .

(374) أبو الفضل جعفر بن شرف القيرواني , حكيم عارف , ناظم ناثر , كثير المعاني والمآثر ذكره الفتح في كتاب القلائد وأطنب في الثناء عليه (الـضبي، البغيـة، ص 536 ؛ابـن خاقان، القلائد، ص791) .

(375) ابن خاقان , القلائد،ص 807 .

وتكشف لنا أبيات الشاعر السابقة إلى أن أبا الفضل بن شرف لم يتجه إلى مديح أحد من الشعراء أو الوزراء, فهو يقول:

فالنفْسُ إن ثَبتَتْ على أخْلاقِها　　　أعْيى على النُصاحِ طُولُ لَجاجِها

وقد جاء هذا البيت رداً على طلب ابن اللبانة عندما حثه في رسالته الشعرية إليه بأن يكتب إلى الوزير قصيدة لعلها تكون وسيلة للتقرب إليه ونيل الحظوة عنده:(376)

هلا كتبتَ إلى الوزير بقطعةٍ　　　تصبو معاطفُهُ إلى دِيباجها؟

تَجِدُ السبيلَ بها ولائُك للمُنى　　　وتُنيرُ سعْيهُمُ بنُورِ سِراجِها

ونجد هذا التصوير لدى مجموعة من الشعراء في تصوير قصائدهم الشعرية المرسلة بالعروس البكر, الموصوفة بالشرف الرفيع الكريم, المصونة عن الآخرين, إذ إن الشعراء قد وازنوا بينها وبين تلك الرسائل الشعرية من حيث جمالها, وصيانتها, ثم إن هناك وجه شبه آخر هو أن العروس لا تعطى إلا لمن يستحقها ويقدر مكانتها ويحافظ عليها, وتلك القصيدة لا ترسل إلا للصديق المخاص الذي يستحقها. فهذا أبو محمد عبدالله بن السيد البطليوسي (377) يقول مراجعاً لشاعر من قرطبة وجه إليه مديحاً(378):

لله عذراءُ زُفتْ منْك رائِحةٌ　　　تَخْتَالُ من حبْرها المرقوم في حِبرِ

صداقُها الصدقُ من وُدي ومنْزلُها　　　بصيرتي وسوادُ القلبِ لا بصرِ

وقد تركت هذه الرسالة أثراً كبيراً في نفسه لحسنها وجمال أسلوبها حتى لكأنه سكران من شدة الطرب.

هزتْ بدائِعُها عِطفي من طَربٍ　　　لِحُسنِها هِزةَ المشْغُوفِ للذكرِ

---

(376) ابن خاقان , القلائد، ص 805 .

(377) أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي , كان عالماً بالآداب واللغات , يجتمع الناس إليه فيقرءون عليه , له مؤلفات منها الاقتضاب في شرح أدب الكتاب توفي سنة 521هـ/1127م .(ابن بسام،الذخيرة، ق3،ج2،ص 890 ابن خاقان، القلائد، ص 807؛ ؛ ابن سعيد،المغرب،ج1،ص385).

(378) ابن خاقان، القلائد، ص 718 –719 .

كأنما خامرتْني من بشاشَتِها   راح وسُكر بلا راحٍ ولا سكَر

وتكشف لنا هذه الرسالة عن مدى السعادة والسرور الذي يتركه المديح في نفس الممدوح, وهذا بدوره دافع قوي إلى المراجعة لتوجيه الشكر, ووصف الأثر الذي تركته الرسالة الشعرية في النفس.

ومن الرسائل الشعرية ما جاء في وصف النساء وصفاً ممزوجاً بنوع من الغزل الرقيق, ومن ذلك الرسالة الشعرية الذي بعثها أبو عامر ابن مسلمة إلى أبي جعفر بن الأبار[379] حيث يقول [380]:

قل لأبي جعفر المنتقى   من سر قحطان وخولان

أنظر إلى الظبي الأنيق الذي   يختال ف ي أبراد إحسان

كأنما مقلتــه بابــلٌ   خصتْ بسحر الإنس والجان

كأنما شارُب هُبهجةً   زمرد من فوق مرجان

كأنما أردافه عالج   وقَدُهُ غُصن من البان

ومن ألوان الوصف في الرسائل الشعرية وصف الطبيعة, وقد احتل هذا اللــون حيزاً كبيراً من الرسائل الشعرية، ولعل ذلك يعود إلى أن كثيــراً مــن الرســائل الشعرية كانت تنطلق من البساتين والرياض ومجالس اللهو، عــدا ذلــك فطبيعــة الأندلس جذابة, وظلالها وارفة, وسماؤها صافية كل ذلك كان دافعاً للشعراء على تقديم صورة للبيئة من خلال تلك الرسائل, فالبيئة من أعظم العوامل المؤثرة فــي الأدب, بل هي في واقع أمرها, وقوة وقعها تعد خالقة بعض فنونه, مكونــة أكثــر

---

[379] هو أحمد بن محمد الخولاني الإشبيلي ,أبو جعفر، مــن شــعراء المعتــضد المحــسنين المتقنين, كان كثير الشعر توفي سنة 433 هـ/1041م , (ابن سعيد، المغرب 1ج، ص 258؛ ابن بسام، الذخيرة،ق2،م1، ص 135 ؛ الحميدي،الجذوة،ص115 , الضبي، بغيــة الملتمس , ص 167 , ترجمه رقم 364).

[380] ابن بسام، الذخيرة، ق2،م1، ص111.

عناصره, حيث تخلع علية جميع ألوانها, وتهبه كل مناظرها, وتحرمه ما حرمته وتمنعه ما منعته.[381]

ومن الرسائل الشعرية التي جاءت جميع أبياتها في وصف منظر الربيع رسالة شعرية لأبي بكر بن نصر[382] بعث بها إلى أبي الوليد الحميري فقد أدهشه منظر الربيع , وتمنى أن يكون صديقه إلى جانبه في تلك الساعة ؛ ليحس بنفس الإحساس, ويشعر بنفس الشعور , فنجده يصف المنظر بدقه ليغريه للخروج من أجل الاستمتاع وقضاء أوقات الفراغ , حيث يقول [383]:

أنظرْ نَسيم الروض رق فوجْهُهُ ... لك عن أسِرتهِ السريةِ يسفِرُ
خضلٌ بريعان الربيع وقد غدا ... للعين وهو من النضارةِ منْظرُ
وكأنما تلك الرياضُ عرائس ... ملبوسُهن مُعصفر و مزعفرُ
أو كالقيان لبسن موشي الحُلى ... فلهُن من وشْي اللباس تبخترُ

ولم يكتف الشاعر بوصفها بالعرائس اللواتي لبسن الألوان الزاهية،أو حتى الجواري اللواتي يفخرن بملبوسهن الجميل , وإنما رأيناه يعطل المسك من رائحته الزكية ويسم تلك الرياض بها :

يتعطلُ المسكُ الذكي لعرْفِها ... وبهِ الزمانُ وحُسنُهُ يتعطرُ
مصْفُوفةٌ أنماطُها ممْدودةٌ ... حِبراتُها تبدو إليك و تظهرُ
فكأنما صنعاءُ أهدتْ وشْيها ... ورمتْ مطارفَها الطريفَةَ عبقرُ
حُسن يُقدرُ في الربيع ولا ترى ... ذا الحُسن إلا في الربيع يُقدرُ

ثم ينهي الشاعر أبياته بالطلب إلى صديقه أن يرتاد تلك الرياض بنزهة جماعية؛ يقول:

فاسمحْ لصحبِك أن ترود رياضها ... معهمْ فإن عيونَهُم بك تَنْظُرُ
مهد لهُم نحو البِطاح نزاهةً ... غراء تُزهى بالسماح وتَفْخَرُ

---

[381] قناوي , عبد العظيم علي , الوصف في الشعر العربي , مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر , ط1 , 1949 م, ج1، ص 8 .

[382] أبو بكر بن نصر , من أهل الأدب بأشبيلية (الضبي،البغية،ص 520) .

[383] الحميري , البديع في فصل الربيع، ص 31-32 .

ووصف الشعراء الأماكن, ومنها ما جاء في رسالة شعرية لابـن عمـار فـي وصف حصن شقورة وحصانته, بعث بها إلى الفضل بن حسداي, حيث يقول: (384)

وحشٌ تناكرتِ الوجوهُ بهِ حتى استربتُ بصفحةِ البدر

متجبر سالَ الوقارُ على عطفيه من كِبرٍ ومن كِبْرِ

فهو ضخم, كما أنه شاهق العلو:

عالٍ كأن الجن إذ مردتْ جعلتْهُ مرقاةً إلى السر

كما وصف الشعراء في رسائلهم الشعرية الأقاليم, ففضلوا مدينة على أخـرى, فنجد أبا عبد الله محمد بن مسلم يصف قرطبة مفضلاً إياها علـى جميـع مـدن الأندلس, فهي تمتاز بسواد ليلها ووضح نهارها وتبلجه, وأشعة شمـسها الذهبيـة, وقطرات نداها التي تشبه الدرر, وماء نهرها الفضي, كل تلك صفات مدينة أحبها الشاعر فأفاض في وصفها وأبدع, حيث يقول: (385)

سقى جديداً من الأيامِ قرطبةً ماءُ الشبابِ وريقُ الباردِ الخصر

لليل فيه سواد يستهامُ بـــه كأنهُ في سوادِ العين و الشعر

وللنهار سناً يحكي تـبلّجُهُ نور البصيرةِ مقروناً مع البصر

كأنما شمسُها تحتَ الغمامِ سناً وجه تنفس في مرآته نَضر

والطل فيها غداةَ القطر تَحْسبهُ حلياً سقى زهر اللباتِ بالدرر

وصفحةُ النهر الفضي مبسمهُ في روضِها مثل خـيطِ الفجـر فـي السحر

وقد تبادل الشعراء الهدايا سواء في المناسبات والأعياد أو في غيرهـا , وقـد اعتاد الشعراء إرفاق هداياهم بمقطوعات شعرية في وصـف هـداياهم وإبـراز محاسنها , ولعل ذلك يعود إلى رغبة الشعراء في إبراز قدرتهم على وصف الهدية ؛ لأنه من الطبيعي أن يرد الشاعر في الجهة المقابلة على مقطوعته الشعرية فـي الوصف أيضاً معارضاً لها , ومن يعود إلى مصادر الأدب الأندلسي يجد كثيراً من الرسائل الشعرية التي تمثل هذا الجانب خير تمثيل , نذكر منها على سبيل المثـال

---

(384) ابن بسام , الذخيرة،ق2،م1،ص 401 –402 .

(385) ابن بسام , الذخيرة،ق3،م1،ص444-445.

الرسالة الشعرية التي كتب بها أبو بكر بن القوطية [386]إلى الوزير أبو عامر بـن مسلمة ,حيث يقول [387]:

قُلْ لِريحانَةِ العُلا والمكَارمْ والكَريمِ النجار وابن الأكارمْ

قَد بعثنا إليك يا خير ناسٍ بالدنانير فوقَ محضِ الدراهمْ

بِبهارٍ يحْكي جمالك حُسناً وحكى عرْقَك الذكي لِنَاسـ ـمْ

يتَشكى الظما وفي يدك الر ي فإنْ لمْ تُروه كُنْت ظالِـمْ

دُمْتَ للمِهْرجان والِعيدِ والنيـ ـرُوز إلفاً مِن الحوادث سالِمْ

فأجاب الوزير أبو عامر بن مسلمة بديهة بأبيات أبرز فيها قدرته على وصـف الزهور، وحاول إظهار تفوقه في ذلك, حيث يقول :

في النرجس الغض شبه لإخفاء بهِ للنيرين يُرى في طالِعِ الزهرِ

فَصُفرةُ الشمس قدْ ردتهُ صُفْرتَها وقُد مُبيضهُ من صفْحةِ القمر

كأن ياقوتةً صفراء قدْ طُبعتْ في غُصنِهِ حواـهُ سِـت مـن الدرر

حُسْن يدل على إتقان صـانعهِ سُـبحانَهُ مبـدع الأخـلاق والصور

لقد أبدع الشعراء الأندلسيون في فن الوصف إبداعاً ملموساً، متأثرين بالطبيعـة الأندلسية تأثراً واضحاً، مع ما تميز به الشاعر الأندلسي من رهافة الحس، ورقـة الشعور، وجمال التعبير، فجاءت أوصافه لأمور مختلفـة مـأخوذة مـن البيئـة الأندلسية، مثل وصف الأزهار، ووصف الرقاع الشعرية المرسـلة علـى شـكل رسالة، ووصف الأماكن والحصون والمدن، وما إلى ذلك من أوصاف أخرى.

7.3 الحكمة:

---

(386) أبو بكر بن القوطية , صاحب الشرطة , من أهل أشبيلية , أديب شاعر ,مـن أهـل اللغة والنحـو، ولـه سـلفٌ فـي الأدب.(الـضبي،البغية،ص 519 ؛ ابـن خاقـان، المطمح،ص288)

(387) الحميري, البديع في فصل الربيع، ص 108.

الحكمة هي خلاصة تجارب الحياة الواقعية, يستلهمها قائلها من الثقافة العامـة, والتجارب اليومية, مختصرة بقدر المستطاع, جلباً للفائدة، وتقدم الحكمة النـصائح والتوجيهات المفيدة التي تدل على صبرٍ طويل وعلم غزير وتجارب كثيرة.

" وهذه المقدرة لا تتأتى إلا لشخصيه واعية, خصبة ذات ثقافة واسعة عميقـة, بليغة, مجربة, عاركت الأيام وعاركتها, فأذاقتها من أمنها وخوفها, مـن فرحهـا وحزنها, حلوها ومرها, وأكسبتها خبرة ودراية في الناس, وفي الحياة, شخـصية ذات حواس مرهفة, وإحساس دقيق فكلما ازدادت تجارب الأديب, واتسعت ثقافته, ونمت وكثرت أفكاره, أصبح قادراً على الابتكار والتوليد ". (388)

فهذا ابن الحداد الوادياشي يعطينا خلاصة تجربته مع الدهر في رسـالة شـعرية, حيث يقول(389) :

الدهرُ لا ينفك من حدثانِهِ والمرءُ منقاد لحكم زمانِهِ

إن من يقرأ هذا البيت مرة أخرى يستذكر سريعاً قصيدة أبي ذؤيب الهذلي فـي رثاء نفسه و أبنائه الخمسة، منها قوله: (390)

والدهر لا يبقى على حدثانهِ جون السراةِ له جدائدُ أربعُ

وقد جاءت قصيدة أبي ذؤيب الهذلي بينة أكيدة على فهمه للحياة فقد سقته مرارة الفراق _ فراق أبنائه _, فجاءت أبياته تفيض حزناً, و ابن الحداد أيضاً, نجد أبياته تفيض حسرة وألماً لحكم الزمان على البشر.

فدع الزمان فإنه لـــم يعتمدْ بجلاله أحداً ولا بهوانه

كالمزن لم يخصص بنافع صوبه أفقاً ولم يختر أذى طوفانه

ويستمد حكمته من إيمانه بالله عز وجل، فكل شيء يشير بمشيئة الله عز وجل.

لكن لباريه بواطن حكمةٍ في ظاهر الأضداد من أكوانه

---

(388) الكيلاني, ابن شرف القيرواني "حياته وأدبه "، ص 125.

(389) ابن الحداد, شعر ابن الحداد، ص 93.

(390) ديوان أبي ذؤيب الهذلي, شرحه وقدم له ووضع فهارسـه سـوهام المـصري, عنـي بمراجعته ياسين الأيوبي, المكتب الإسلامي, بيروت, ط1، 1998 م, ص149.

كما يستمد الحكمة أيضاً من التجارب الكثيرة التي خاضها, مع طول معرفته للحياة:

وعلمت أن السعي ليس بمنجحٍ　　مالا يكون السعد من أعوانِه

والجِد دون الجد ليس بنافعٍ　　والرمحُ لا يمضي بغير سنانه

ومع ذلك فهو يشير إلى السبب الذي أدى به إلى السقوط في تلك الهوة, ولم يعد لنجمه ظهور أو بروز:

وسما إلى الملك الرضا ابن صمادحٍ　　فأدالني بالسخطِ من رضوانِهِ

وهوى بنجمي من سماء سنائهِ　　وقضى بحطي من ذرا سلطانِهِ

ويشيد أبو جعفر بن أحمد بالكرم والجود, ويدعو إليهما, لما فيهما من نشر لطيب الذكر، فقد يذم الكريم النسب لبخله, ويحمد الخسيس لجوده, يقول:[391]

ولم يرَ مثل الجود للمرء حُلةً　　وهل يستوي قدراً جواد وباخل

يذمم بالبخل الشريف انتسابُهُ　　ويُحمد بالجود الخساس الأراذلُ

وواضح أن الحِكَم التي استخلصها الشاعر تتخللها نزعة دينية قوية، فلن يستفيد الإنسان إلا من ملبس أو مأكل, أو ما يتصدق به على الآخرين, حيث يقول:

وما لك في الدنيا سوى ملبسٍ يُرى　　عليك وما تعطي وما أنت آكلُ

يطيلُ حياةَ المرءِ طيبُ ثنائه　　وإلا فأيام الحياة قلائلُ

ونلمس في الحكمة عند ابن زيدون نوعاً من الأنفة والكبرياء, كما نجده يصدر تلك الحكم بأسلوب استفهامي تعجبي, تدل دلالة واضحة على فهم حقيقة الحياة, وتعجب من عدم فهم غيره لها, منها هو يخاطب عبد الله بن القلاس:[392]

ألم تَعلم بأن الدهر يُعطي بعد ما يمنع

وأن السعي قد يكدي وأن الظن قد يخدع

وكم ضر امرءاً أمر توهم أنهُ ينفع

---

[391] ابن بسام, الذخيرة،ق3،م2،ص 772.

[392] ابن زيدون, الديوان،ص 578.

يؤكد ابن زيدون بنغمة حزينة, أن الدهر لا يركن جانبه, وأن طبيعته المتقلبـة هي التي أدت به إلى هذه النهاية.

أما الراضي بن المعتمد بن عباد فيستمد حكمته من التجارب التي خاضها, فهو شاعر دارس للأدب, بطل شجاع مقاتل, وحاكم حاذق, يؤكد الراضـي أن ثبـات الملك بخوض المعارك وإبراز الشجاعة, حيث يقول (393):

مولاي قد أصبحت كافر بجميع ما تحوي الدفاترْ

وفللتُ سكين الدواةِ وظللتُ للأقلام كاسر

وعلمت أن المجد ما بين الأسنة والبواتر

والمجدُ والعلياء في ضرب العسـاكر بالعساكر

لا ضرب أقوالٍ بأقـوالٍ ضعيفات مناكِر

وقد تبين له أن العلم والأدب فرع من فروع الشجاعة وقيادة المعارك:

قد كنت أحسب من سفاه أنها أصل المفاخر

فإذا بها فرعٌ لها والجهلُ للإنسان عاذر

لا يدرك الشرف الفتى إلا بعسال وباتر

8.3 الرسائل الشعرية في الشعوبية:

لقد أثارت رسالة ابن غرسية التي أرسل بها إلى ابن الخراز عدة ردود نثرية، وأخرى شعرية منها الرسالة الشعرية التي رد بها الجزار السرقسطي عليه، حيث يقول:(394)

يا مفتياً بانتقاض الشرع أعصارا   إن كنتَ ريحاً فقد لاقيتَ إعصارا

تحمل كلمة (مفتياً) دلالة التأويل للشرع، كما نجد في مقابلة الشاعر بين لفظتي الريح والإعصار ما يدل على قوة وعظمة الردود الإسلامية على ابن غرسيه الذي وصفه الشاعر بالفاجر:

كفاجرٍ منهم فـي أرض دانـيةٍ   قد أظهر الكفر فيها اليوم إظهارا

---

(393) المقري, نفح الطيب, ج4، ص 254.

(394) الجزار السرقسطي، روضة المحاسن وعمدة المحاسن 174- 175 .

يا للحنيفي مما حل مـالـكم لا تنكرون خلاف الشرع إنكـارا

هذا ابن غرسية من لاردةٍ لهـجٍ بكل كفرٍ صريحٍ يورد النـارا

ولا مقام على هـذا لمحتسـبٍ يـقوم لله إعـلاناً وإسـرارا

ويستمر الشاعر في التحذير من ابن غرسيه، فهو قد أكثر من الحديث عـن العرب، وكونه قد وصفه بالريح المدمرة لكل شيء، فهذا دليل على أثره الفاعل وقدرته على التخريب، ومن هنا حذر الشاعر من مجاورته والقرب منه، واختار لفظة "الجار " كونه أعلم بأحوال جاره :

فحذروا الناس من رومي مذهبه ولا يُرى أحد منـكم له جـارا

إنا نُرى هـذا الدينُ نَخْذِلـهُ ونحن كنا له من قبل أنصـارا

ومن الفخر بالعرب رسالة عبد المنعم القـروي[395] فـي الـرد علـى ابـن غرسية[396] يقول منها[397]:

وما حمير في النـاس إلا كـبـاذخ يعـيش الـورى فـي ظلـه المتـمـردِ

هم الأنفُ في وجهِ الزمان ومجدهم على صـفحات الـدهر لـيس بجاـمد

هم ملكوا شـرقَ البلادِ وغـربـَها وعلّوا جياد الخيل فـي كـل مورد

---

[395] هو أبو الطيب عبد المنعم بن من الله القيرواني, قدم الأندلس وحدث بشرقها، كان أديباً وشاعراً توفي سنة 493 هـ/1002م. (ابن بشكوال، الصلة، ج2، ص571-572).

[396] هو أبو عامر أحمد بن غرسية، " من أبناء النصارى سبي صغيراً، وأدبه مجاهد ملـك دانية،وكان بينه وبين أبي جعفر بن الجزار صحبة أوجبت أن استدعاه من خدمة المعتصم بن صمادح ملك المرية، ناقداً عليه ملازمة مدحه وتركه ملك بـلاده "، (ابـن سـعيد، المغرب ,ج2 ص406)

[397] ابن بسام , الذخيرة ,ق 3 ,م 2 ,ص729 .

وســدوا على ياجوج لما تــتابعــتْ على العين في قطرٍ مــن العــين

مبعد

ومنها يفخر بشجاعة شبابهم وشيوخهم, وحبهم للشهادة:

فمن أمردٍ في السلم في حلم أشيبٍ ومن أشيبٍ في الحرب في جهل أمرد

بأيــديهم البــيض الرقاق كأنــها جداولُ مــاء المــوت قيــل لهــا

اجمــدي

9.3 الأحاجي والألغاز:

انتشرت ظاهرة الأحاجي والألغاز في القرن الخامس الهجري كما تحدثنا في الفصل الأول على يدي ابن زيدون والمعتمد، وقد استخدم بعض الأدباء الرسائل الشعرية للتسلية والإمتاع على حد تعبيرهم، فهذا أبو عامر بن الأصيلي يقول مخاطباً ابن بسام مستفسراً عن بعض الأمور من باب التسلية: (398)

يا دوحةَ العلمِ والآدابِ والخُطَبِ ومن غدا فارساً في حلبةِ الطلبِ

ماذا تــحيطُ به من علمِ مسألةٍ سألتها منك بين الجدِ واللعبِ

وردُ الخدودِ وردُ الروضِ أيهما أجل عندك يــا ذا العلمِ والأدبِ

وقهوةُ الريق والصهباء واحدةٌ أم قهوةُ الريق تخزي قهوة العنب

وما سألتك عن جهلٍ بأمرهما لكن نزعت إلى شيء من الطربِ

أما بعض الأدباء فأنهم لا يميلون إلى استخدام الألغاز أو أنهم لا يفضلون اتعاب خواطرهم، فهذا ابن دراج القسطلي وقد أرسل إليه بعض الأدباء بأبيات تتضمن

لغزاً، وسأله أن يفسره، فلم يتعب خاطره فيها وكتب إليه على ظهر الرقعة: (399)

إذا شَذَّتْ عن العَرَبِ المَعَانِي فَلَيْسَ إلى تَعَرُّفِهَا سَبيلُ

وما يَحْويهِ هذا الدَّهْرُ أنْأى وأبعدُ من شَبَا فِكرٍ يجولُ

وربَّتَمَا بطولِ الفكر يُدرى ولكنْ عاجِلَ الفكرِ الرَّسُولُ

أما المعتمد بن عباد فقد ولع بالألغاز ولعاً كبيراً واستخدمها في كثير من رسائله المطيرات إلى ابن زيدون، كما استخدمها في رسالة شعرية إلى زوجته اعتماد: (400)

أغائبة الشخص عن ناظري وحاضرةً في صميم الفؤادِ

عليكِ سلامٌ بقدر الشجو ن،ودمع الشُّؤون، وقدر السُّهاد

تملَّكتِ منيَ صَعْبَ المرا م و صَدفتِ وِدّيَ سَهلَ القيادِ

مُراديَ لُقياك في كلّ حينٍ فيا ليتَ أنّيَ أعطى مُرادي

أقيمي على العهدِ ما بيننا ولا تستحيلي لطول البِعَادِ

---

(398) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2،ص863 .

(399) ابن دراج القسطلي، الديوان، ص541 .

(400) المعتد بن عباد، الديوان٬ص 8 .

دَسستُ اسمَكِ الحلوَ في طيهِ وألّفتُ فيه حروف "اعتماد "

وقد جاء اللغز في البيت الأخير أما إجابته فهي الحروف الأولى من الأبيات التي يتشكل منها اسم اعتماد.

10.3 الترحيب:

لقد شاعت في القرن الخامس الهجري عادة الترحيب بالزائرين, وعادة ما توجه الرسائل الشعرية في هذا الشأن من قبل الحاكم؛ إجلالاً وتقديراً واحتراماً للزائر القادم وتواضعاً من قِبل الحاكم, ومن الأمثلة على ذلك رسالة شعرية بعث بها المعتمد بن عباد إلى وزراء المعتصم بن صمادح:أبي الأصبغ بن أرقم وأبي عبيد البكري والقاضي أبي بكر بن صاحب الأحباس، عندما علم بقدومهم إلى بلاده, مراجعاً على رسالة في استئذانه بالقدوم إليه, حيث يقول: [401]

أهلاً بكم صحبتكم نحوي الدّيمُ إن كان لم يتبجحْ لي بكم حُلُمُ

حثوا المطيَّ ولو ليلاً بمجهلةٍ فلن تضلوا ومن بشري لكم علمُ

ومنها:

أقدم أبا الأصبغ المودود تلقَ فتىً هشَّ المودةِ لايزري به سأمُ

هذا فؤادي قد طار السرور به إن كنت تنقلك الوخادةُ الرُّسُمُ

سأكتمُ الليلَ ما ألقاهُ من بعدٍ وأسأل الصبحَ عنكم حين يبتسمُ

فعبر المعتمد عن سروره البالغ وسعادته الغامرة؛ لقدومهم إلى بلاده مبالغة منه في إشعارهم بالأنس والطمأنينة.

ومن الأمثلة على رسائل الترحيب الشعرية رسالة كتب بها رفيع الدولة بن صمادح إلى الفتح بن خاقان وقد علم بقدومه, حيث يقول: [402]

قدمت أبا نصرٍ على حال وحشةٍ فجاءت بك الآمال واتصل الأنسُ

وقرت بك العينان واتصل المنى وفازت على يأسٍ لبغيتها النفسُ

فأهلاً وسهلاً بالوزارات كلها ومن رأيهُ في كل مظلمةٍ شمسُ

ودخل النحلي البطليوسي المرية, والناس قد لبسوا البياض, أما هو فكان يرتدي أسمالاً سوداء, فكتب إلى المعتصم بن صمادح برسالة شعرية يقول فيها:[403]

---

[401] المعتمد بن عباد , الديوان، ص 60 .

[402] ابن بسام , الذخيرة،ق1،م2،ص 738 .

[403] ابن خاقان، القلائد،ص 149 .

أيا من لا يُضَافُ إليه ثاني ومن ورث العُلى بَاباً فبابا
أيجمُلُ أن تكونَ سواد عيني وأبصرُ دونَ ما أبغي حِجَابَا
ويَمشِي الناسُ كُلُّهم حماماً وأمشِي بَينَهُم وَحْدِي غُرَابَا

فبعث المعتصم إليه من البياض ما لبسه، وجال به مجلسه، وكتب إليه مع ذلـك مرحباً بقدومه بأبياتٍ هي [404]:

وردتَ ولليلِ البهيم مَطارفٌ عليكَ وهذي للصَّباح بُرودُ
وَأنتَ لَدَيْنَا ما بقيتَ مُقرَّبٌ وعَيشُكَ سَلسَالُ الجمامِ برودُ

تكشف لنا الرسائل السابقة عن اهتمام أصحاب السلطان بالشعراء والكُتاب, فإذا ما حل أحدهم أرض ملك من الملوك, استقبله ببشاشة وسرور غامرين.

11.3 الاستسراح والاستئذان:

لقد وصل العرب في الأندلس إلى مرحلة من الرقي والتطـور الاجتمـاعي لا يمكن أن تخفى, ويكشف لنا أسلوب التراسل عن نواحٍ " كثيرة من آداب الـسلوك نذكر منها تنازل الخاصة عن كثير من أرستقراطيتهم, وشعور العامة بإذابـة مـا بينهم وبين خاصتهم من فروق, وفيها دلالة على رهافة الحس الأندلسي الذي يرى شذوذاً في القدوم على العظيم, أو مغادرة بلاده دون اسـتئذان, ويحـتم اسـتقبال الضيف وتوديعه, ومسامرته, والإهداء إليه, وعيادة المريض, وزيـارة الـسجين, وإعطاء المحتاج, واللوم عند الخطأ والعفو عنـد الاعتـذار, وتقاسـمهم المـسرة والمضرة ونحو ذلك من أمارات السلوك الرفيع ". [405]

ومن العادات الاجتماعية الرفيعة التي تناولها الشعراء في رسـائلهم استـسراح الأمراء بالخروج من بلادانهم، ومن ذلك قول ابن حمديس الصقلي مخاطباً المعتمد بن عباد وقد لزم باب قصره حولاً كاملاً، ولم يطلبه للحضور إلى مجلسه، فكتـب إليه أن يأذن له بالدخول أو أن يسمح له بالسراح، منها:[406]:

أتتني على بعد النوى منك دعوةٌ أثارت بناتِ السير حُولاً ولقحا
فجاءك من أهلِ البديع مصرّفٌ مهارَ القوافي في امتداحك قرَّحا
رفعتُ بأضعاني إلى ما تحده علاكَ فوقعْ مُمسِكاً أو مُسَرحا

---

(404) ابن بسام , الذخيرة،ق1،م2،ص 736 .
(405) شلبي , البيئة الأندلسية, ص 477 .
(406) ابن بسام، الذخيرة،ق4،م1،ص324 .

ومن رسائل الاستسراح أيضاً رسالة شعرية كتب بها ابن اللبانة إلى صاحب ميورقة طالباً منه السماح له بمغادرة بلاده، وقد خاف في ذراه, يقول فيها: (407)

عسى رأفة في سراحِ كريمٍ أبُلُّ ببردِ نداهُ الغليلا
وعلّي أراح من الطالبين فأسكن للأمن ظلاً ظليلا
ومن بلهُ الغيثُ في بطنِ وادٍ وبات فلا يأمنن السيولا
أفرُّ بنفسي وإن أصبحتْ ميورقة مصراً وجدواكَ نيلا

لعل الدارس يلحظ مدى الخوف الذي أحس به الشاعر من خلال أبياته السابقة, فمن تكراره لبعض الألفاظ، مثل " رأفةٌ, سراح كريم, أسكن للأمن, لايأمنن, أفر " ندرك أمله في النجاة وخوفه من المجهول.

وبعد هذه الرسالة فقد لاذ بالفرار, وجعل يستعطف الحاكم ويستلطفه ليمن عليه بالعودة, في رسائل شعرية منها قوله:(408)

ألا رأفة من وفيّ كريم ألا عطفة من سنيٍّ سري

ومنها في التذكير بفضله:

سيشتاقني الملك مهما أراد لباس نسيج من المفخر
ولو أن كل حصاة تزين ما جعل الفضل للجوهر

ومن الرسائل الشعرية في الاستسراح أيضاً الرسالة التي كتب بها ابن عمار إلى المعتصم بن صمادح وقد أطال المكوث عنده, فطلب منه أن يسمح له بالسراح، يقول منها: (409)

أسرفت في برِّ الضيوف, فجد قليلاً بالسراح

ومن رسائل الاستئذان الشعرية قول أبي العلاء إدريس بن أزرق حين كتب إلى ابن رشيق, ملك مرسية, رغبة في استئذانه الوفادة عليه، وقد طالت إقامته عند ابن عبد العزيز:(410)

ألا ليت شعري هل أعودُ إلى الذي عهدتُ من النعمى إليكم بلا جهدِ
فو الله مذ فارقتكم ما تخلصت من الدهر عندي ساعةٌ دونما كدِ

---

(407) ابن بسام، المصدر نفسه،ق3،م2،ص 683 – 684.

(408) ابن بسام، المصدر نفسه،ق3،م2،ص 685.

(409) ابن بسام, الذخيرة، ق2، م1،ص 402 ؛ ابن الأبار, الحلة، ج2،ص 85.

(410) المقري, النفح, م3, ص 572.

فمنوا بإذنٍ كي أطيـر إليكمُ   فلا عارُ في شوقٍ إلى المال والجدِ

وقد أوردنا في الفصل الأول من هذا البحث بعض رسائل الاستئذان عند حديثنا عن السفارة وأثرها في الرسائل الشعرية.

12.3 الإخبار:

قد يرسل الشاعر برسالة شعرية مخبراً عن أمرٍ من الأمور, أو عن حدثٍ ما، منها أن أبا الحسين بن الجد خاطب عمه من ميورقة, مخبراً إياه بما حل بملـوك الطوائف على يد جيوش المرابطين, حيث يقول:[411]

طوى الجزيرة حتى جاءني خبرٌ   فزعت فيه بآمالي إلى الكذبِ

حتى إذ لم يدع لي صدقه أملاً   شرقتُ بالدمع حتى كادَ يشرقُ بي

13.3 نظرات نقدية:

كانت الرسائل الشعرية تتعرض لتقييم الشعراء المخاطبين, فكانوا يطلقـون أحكاماً نقديةً بسيطة وبديهية وليست متعمقة تتعلق باللغة والمعاني والبنـاء الفنـي وغيرها, وقد أشار الشعراء إلى تعرض رسائلهم للنقد من قِبل الـشعراء المتلقـين لها, فهذا أبو عيسى بن لبون يخاطب محمد بن سفيان برسالة شعرية ويطلب منـه أن يصفح له زلته عند نقده لرسالته الشعرية, حيث يقول[412] :

فإن مرَّ النقدُ منها بسقطةٍ   فحلمك يغضي والكريمُ حليمُ

كما أشار ابن رحيم إلى خوفه من تعرض رسالته الشعرية للنقد بقوله: [413]

مقنعة خوفَ انتقادِكَ خَجْلَة   كما أقبلتْ عذراءُ في حُلَلٍ نُضْر

وقد وردت لأبي القاسم بن الجد عدة آراء نقدية في رسائله الشعرية, كما أشـار إلى تعرضه للرسائل الشعرية بالنقد, منها قوله [414]:

بذلت لها نقداً من الدرِّ غالياً   فلم يجزها مهرٌ ولم يُخْزها صهرْ

وقوله:

لئن لم تجدْ نقداً لمثليَ عاجلاً   فما لكمُ عن قيمةِ البُضع منزعُ

---

(411) ابن بسام, الذخيرة ق2،م2،ص 558.

(412) ابن بسام, الذخيرة،ق3،م2،ص905 .

(413) ابن خاقان، القلائد،ص 348.

(414) ابن بسام ,الذخيرة،ق2،م1،ص 319-321 .

ومع ذلك فإن عبد الجبار المطلبي يرى أن نقد الشاعر عائد إلى ثقافته المختزنة، طوال أيامه قبل ابتداعه الأثر الفني، وأن هذه الأحكام التي يطلقها الشعراء هي أحكام بديهية وليست متعمقة؛ لأنه لو أراد النقد من خلال الشعر لبدت أبياته خالية من الطبع، ويعلل ذلك بقوله: " لعل من عانى نظم الشعر يدرك أنه لم يكن يختار، واعياً، ألفاظه وبناء أبياته. فلو كان مدركاً لذلك، واعياً له، وراح ينتخب، وهو في صحوة، ما يترجم به عن تجربته الشعرية التي راحت أجراسها تدق في أعماقه بالألحان والإيقاعات، ما كانت هناك تجربة ولا إلهام، لأنه حينئذ يصبح ناظماً يختار الألفاظ والصور اختياراً عقلياً يبعده عن تأجج العاطفة وحدة الشعور ويقربه من المنطق الفكري الوئيد ".[415]

مما لا شك فيه أن هذا الحكم يعد قاسياً على الشعر؛ إذ قد نرى بعض الرسائل الشعرية مليئة بالأحكام النقدية دون أن يبدو فيها أثر للصنعة أو التنقيح، ربما يعود ذلك إلى ثقافة الشاعر الغزيرة ومعرفته الأحكام النقدية، فتأتي أحكامه عفوية ولكنها تنم عن قدرته على سبر أغوار الشعر، وإبداء رأيه فيه، وهذا ما سنراه فيما بعد، في رسالة شعرية لأبي العباس، ورسائل ابن عمار الشعرية وغيرهم من الشعراء الذين

سنتعرض لبعض رسائلهم الشعرية .

أما الأمور التي تعرض لها الشعراء أثناء نقدهم للرسائل الشعرية فهي:

1- السلاسة والبُعد عن الغريب:

وصفت بعض الرسائل الشعرية بالسلاسة وخلوها من الحشو والمعاظلة والتكلف واحتوائها على صنوف البديع, من ذلك قول أبي العباس أحمد بن قاسم المحدث [416]:

لا حشوَ فيه ولا معاظلة به　　　سلسٌ على الأسماع والأفهام

---

(415) المطلبي، عبد الجبار يوسف، الشعراء نقاداً، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986م، ص9.

(416) ابن بسام, الذخيرة ق1،م2،ص 908.

والحشو يعني "أن يكون في داخل البيت من الشعر لفظ لا يفيد معنـى، وإنمـا أدخله الشاعر لإقامة الوزن فقط... وقد يأتي في حشو البيت ما هـو زيـادة فـي حسنه، وتقويةٌ لمعناه "[417] وعلى خلاف ذلك يرى أسامة بن منقذ أن الحشو ألفاظٌ زائدة، ليس فيها فائدةٌ.[418] إن الشاعر في هذه الرسالة ينفي وجود الكلام الزائـد الذي لا فائدة فيه، كما أنه ينفي وجود المعاظلة في رسـالته، والمعاظلـة تعنـي استعمال اللفظة في غير موضعها من المعنى[419]، وهي من عيوب اللفـظ عنـد قدامه، وقد وصف عمر بن الخطاب -رضي الله عنه -زهيراً بمجانبته لهـا "ولا يريد عمر مداخلة بعض الكلام فيما يشبهه من بعض، أو فيما كان مـن جنـسه، وإنما أنكر أن يدخل بعضه فيما ليس من جنسه، وما هو غير لائق بـه "[420]، إذن فقد أطلق الشاعر على الأبيات صفة الملائمة وجعْل الألفاظ من نفس الجنس، كما أضفى عليها صفة السلاسة وهي: السهولة والليونة[421]، يقول أحمـد مطلـوب:" والسلاسة في الشعر مما تطلبته الحضارة العربية الجديدة، وأظهرته الحياة المترفـة التي هذبت الأذواق "[422] فإذا كان الشعر سلساً على الأسماع و الأفهام فمعنى ذلـك أنه مستساغ السماع، سهل الفهم .

---

(417) ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت456 هـ/1063م)، العمـدة فـي محاسن الشعر وآدابه، 2ج، تحقيق محمد قرقزان، دار المعرفة، بيـروت – لبنـان، ط1، 1988م، ج1،ص675 .

(418) ابن منقذ، أسامة بن مرشد بن علي (ت 584 هـ/1188م)، البديع في البديع فـي نقـد الشعر، حققه وقدم له علي مهنا، دار الكتب العلميـة،بيروت –لبنـان، ط1، 1987م، ص 209.

(419) ابن منقذ، البديع في البديع، ص 230 .

(420) مطلوب، معجم النقد العربي القديم، 2ج، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1989 م،ج2، ص307.

(421) اللسان، مادة " سلس "

(422) مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ج2، ص45.

كما أن هذا الشعر يشتمل على البديع، وكلمة"البديع " تطلق على الغريب العجيب، أو الجديد الذي ينشأ على غير مثال سابق[423]، كما أنه يخلو من التكلف، والتكلـف: حصول المشقة والعناء، وتكلفت الشي: تجشمته على مشقة وعلى خلاف عادتك.[424] والمتكلِف: هو الشاعر الذي يقوم شعره بالثقاف، وينقحه بطول التفتيش، ويعيد فيـه النظر بعد النظر[425]، " والمتكلف من الشعر وإن كان جيداً محكماً فليس بـه خفـاء على ذوي العلم لتبينهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكر، وشدة العنـاء، ورشـح الجبين، وكثرة الضرورات، وحذف ما بالمعاني حاجة إليه، وزيادة ما بالمعاني حاجة إليه "[426]، وهذا البديع يأتي في هذه الرسالة الشعرية الموصوفة على شـكل منفـرد ومزدوج كما يقول أبو العباس أحمد بن قاسم المحدث:

ويُرى البديعُ به بغير تكلفٍ مابينَ منفردٍ وبين تـوَأم

متقسمٌ مُتقابلٌ مـتطاردٌ مُتجانسٌ متطابقُ الأقسـام

ولو طلبت التشبيب في هذه الرسالة لوجدته، فالشاعر المرسل لديه أيـضاً القـدرة على ذلك، وتشبيب الشعر: ترقيق أوله بذكر النساء، وشبب بالمرأة: قال فيها الغـزل والنسيب [427]، والنسيب والتغزل والتشبيب بمعنى واحد [428]، وإشارة الشاعر إليها هنا تعني اعتناء الشعراء بالمقدمات الغزلية في رسائلهم الشعرية، يقول أبو العباس:

إن رُمتَ تَشبيباً أتيتَ بكلّ ما يجدُ الشّجي مِن لوعةٍ وغرامِ

ويشير الشاعر إلى أن شعر ممدوحه في التشبيب قريب إلى القلب، يطرب الحزين، ويستخف الرصين، وهو معنى أكد عليه النقاد مثل ابن رشيق حين قال:

---

(423) حسين، عبد القادر، فن البديع، دار الشروق، بيروت، ط1983،1 م،ص 41.

(424) اللسان، مادة " كلف"

(425) ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ج1، ص78.

(426) ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ج1، ص88.

(427) اللسان، مادة " شَبب " .

(428) انظر: ابن رشيق، العمدة،ج2،ص73 ؛ ابن الأثير، كفاية الطالب، ص54 .

"حق النّسيب أن يكون حلو الألفاظ رسْلَها، قريب المعاني سهْلَها "[429]كما يؤكد القرطاجني وجوب التغزل قبل المدح مع عـدم التقـصير المخـل أو التطويـل الممل.[430]

كذلك فقد أكد الشاعر أن ممدوحه يحسن استخدام التشبيه:

أو رُمتَ تشبيهاً قرنتَ مُشَبَهاً   بمشبهٍ في غايةٍ الإتمـام

كما أن أبا العباس يبين رأيه في فن المديح، فأفضل المديح مـا كـان صـادقاً يشتمل على الصفات الواقعية للممدوح:

أو رُمتَ مدحاً لم تكن مُتطلباً   ما ليس في الممدوح من أحكام

ومع ذلك فشعره يتسم بالدقة والذكاء في اختيار الموضوعات:

حِذقاً بما تأتــي ومعرفة بـه   وتصرفاً في أفق كلّ كـلام

2- التعقيد:

أما ابن الدباغ فيركز على قضية خلو الرسالة الشعرية من التعقيـد واشـتمالها على غرائب النظم، وانسياب التعبير وسلاسة الألفاظ، بقوله [431]:

ولـه إذا شاء النظامُ غرائبٌ   لا تدَّعيها فطنةُ الشـعراءِ

برئتْ من التعقيدِ في تأليفِها   فأتتكَ أملس من زلال الماءِ

فالغريب هو: الغامض من الكلام.[432] والغرابة في الاصطلاح: هي أن يكـون المعنى مما لم يسبق إليه من جهة الاستحسان، فيقال غريب إذ كان عديم المثال أو قليلة، فإذا كثُر لمْ يسم بذلك[433]

3- البديهة والطبع:

أما ابن عمار فقد كان ينظر إلى الشعر من زاوية البديهة والطبع، فأفضل الشعر ما كان مطبوعاً، وقد أطلق ذلك الحكم على أكثر من رسالة شعرية، منهـا قولـه مراجعاً [434]:

---

[429] ابن رشيق، العمدة،ج2،ص752.

[430] القرطاجني، منهاج البلغاء، ص 351 .

[431] ابن بسام، الذخيرة ق3،م1،ص317 .

[432] اللسان، مادة "غرب " .

[433] انظر: ابن منقذ، البديع في البديع،ص 196 .

لأوسعتني قولاً وطولاً كلاهما   يطّوق أعناقاً و يخرسُ ألسنا
وشرفتني من قطعةِ الروضة التي   تناثرَ فيها الطبعُ ورداً وسوسنا

فالمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر، واقتدر على القوافي، وأراك في صدر بيته عجزه، وتبينت على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة.(435)

ومن رسالة شعرية لابن خفاجة نقد من خلالها رسالة شعرية وصلته من أبـي محمد البطليوسي، يقول منها: (436)

تَدفّقَ ماءُ الطبعِ فيهِ تَدَفُّقاً   فجَاءَ كما يَصْفُو على النَّار عقيانُ
أتاني يَرفُ النَّورُ فيهِ نضارةً   ويكْرَعُ منهُ في الغمامةِ ظمآنُ

فهو يشيد بقول مخاطبه على السليقة، ويمتدح فيه الطبع .

كما أثنى الشاعر على الرسائل الشعرية التي تقوم على البديهة والبديهة هـي :" أن يفكر الشاعر يسيراً ويكتب سريعاً إن حضرت آلة، إلا أنه غير بطيء ولا متراخٍ، فإن أطال حتى يفرط أو قام من مجلسه لم يعد بديهاً "(437) ويقارن النقاد بين البديهـة والارتجال لصلتهما الوثيقة، يقول ابن رشيق " البديهة عند كثير من الموسمين بعلـم هذه الصناعة في بلادنا، أو من أهل عصرنا هي الارتجال، وليست به لأن البديهة فيها الفكرة والتأييد، والارتجال ما كان انهماراً وتدفقاً لا يتوقف فيه قائله "(438) أما علـي بن ظافر الأزدي فإنه يفرق بين البديهة والارتجال فيـرى أن البديهـة : أن ينـزل الشاعر عن طبقة الارتجال قليلاً، ويفكر مقصراً لا مطيلاً، فـإن طـال ذو البديهـة الفكرة انعكست القضية وخرجت من حد الروية. (439)

يقول ابن خفاجة مراجعاً على رسالة شعرية واصـفاً صـاحبها بالقـدرة علـى قولالشعر بداهة وهو شعر يفعل في عقول الناس ونفوسهم فعل الخمر: (440)

---

(434) ابن بسام، الذخيرة ق3، م1،ص 122 .

(435) ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ج1، ص 90.

(436) ابن خفاجة، الديوان، ص 99 .

(437) مطلوب، النقد معجم العربي القديم،ج1،ص269.

(438) ابن رشيق، العمدة ج1،ص 351.

(439) انظر: الأزدي، بدائع البدائه، ص 8.

(440) ابن بسام، الذخيرة،ق3،م1،ص 122 –123.

ولما ملكتَ القولَ قهراً وعنوةً أطاعك جيشُ النظمِ وائتمر النثرُ

فلا نقلَ إلا ما تقولُ بديــهةً ولا خمر ما لم يأتِ من فمك الخمرُ

4_الاتساق وحسن السبك:

وصف الشعراء الرسائل الشعرية بالاتساق وحسن السبك وهو يعني: أن تتعلق كلمات البيت الواحد بعضها ببعض من أوله إلى آخرة,[441]وتلتحم التحاماً بحيـث يصبح فصلها أمراً عسيراً، ومن ذلك ما جاء في رسالة شعرية لأبي بكر بن عبد العزيز مجيباً على رسالة شعرية لابن عبدون، حيث يقول [442]:

فجاء الشعرُ متسقاً حُداهُ كما اتسقت حُلى السيفِ اليماني

تقاصر دونك البلغاء حظاً كما قصُر السماعُ عن العيـان

وشدد حازم القرطاجني على أهمية التحام الكـلام وتناسـقه، وجعـل ائـتلاف الأغراض الشعرية في القصيدة الواحدة كالتئام الحروف في الكلمة الواحدة. [443]

وقد يصف الشعراء الرسالة الشعرية بالعقد لجودة سبكها وتآلف مفرداتها، فهذا ابن زيدون يقول : [444]

وافاني العِقدُ زين ناظمهُ والوشيُ لا راع حادِثٌ صنَعهْ

وقوله أيضاً مشبهاً شعر المعتمد بعقد اللؤلؤ المنظوم، يقول (445)

قدْ جاءني النظمُ الذي خِلْتُهُ مُؤلفَ اللؤلؤ في النظْمِ

وفي رسالة شعرية للكاتب راشد بن سليمان[446]مراجعاً الوزير أبي عيسى بن لبون[447]:

---

[441] انظر:ابن منقذ، البديع في البديع،ص 236 .

[442] ابن بسام , الذخيرة،ق2،م2،ص 534 .

[443] القرطاجني، منهاج البلغاء، ص 287.

[444]ابن زيدون، الديوان، ص 210.

[445] ابن زيدون، المصدر نفسه، ص 607.

[446] هو أبو الحسن راشد بن سليمان، أصله من بليانه، وله فيها مـال مـوروث، وسـكن حضرة مرسية وجل قدره وكتب عن صاحب أمرها أبي عبد الـرحمن بـن طـاهر. (الوائلي، موسوعة شعراء الأندلس، ص 88).

لله رُقْعتُك التي ضمنْتَـها صور النهى من لفظك المعسول
نظم وعيشِك لو غدا نثراً لما قدرتهُ إلا من التنزيـــــل

كما أثنى الشعراء على حسن السرد, فهذا أبو القاسم ابن الجد, يـصف رسـالة شعرية بقوله [448]:

غزاني من حوكِ اللسان بلأمةٍ مضاعفة التأليف محكمة السرد
دلاصٍ من النظم البديع حصينةٍ ترد سنان النقدِ منثَلم الحد

ومن جواب ابن زيدون على رسالة شعرية لأبي العطاف، [449]يقول فيها: [450]

أفدتني منْ نفائس الدررِ ما أبرزتهُ غوائصُ الفِكَر
من لفظةٍ قارنتْ نظيرتَها قران سُقم الجُفُون للـحور

4- الشعر السحر:

أهتم الشعراء الأندلسيون ببناء رسائلهم الشعرية، واختيار الألفاظ الرقيقة التـي تناسبها؛ من أجل إحداث التأثير في السامع ووصفوها بالسحر، وهو عنـد لـسان الدين بن الخطيب الذي يخاب النفوس ويستفزها، ويثني الأعطاف ويهزها، وكانت له قوة التأثير،فشجع وأقدم،وسهر وقوم وحبب السخاء إلى النفس وشهى، وأضحك حتى ألهى، وهذه قوى سحرية ومعان بالإضافة إلى السحر مرية [451]

فهذا القاضي ابن اللوشي يقول مراجعاً ابن السقاط واصفاً رسالته بأنها جمعـت محاسن السحر المختلفة: [452]

---

(447) ابن خاقان, القلائد،ص 292 ؛ ابن بسام, الذخيرة،ق 3،م1،ص 106.

(448) ابن بسام, الذخيرة،ق 2،م 1،ص 319.

(449) هو أبو العطاف بن حي، كان مولعاً برواية الأشعار وجمعها، توسل إلى ابن زيـدون بالمعتمد بن عباد ليقدم إليه طائفة من شعره، مما يؤسف له أننا لم نجد له ترجمة في كتب التراجم الأندلسية. (انظر: ابن زيدون، الديوان، هامش ص791).

(450) ابن زيدون، الديوان، ص206 .

(451) انظر : ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني(ت 776هـ/ 1374م)، كتاب السحر والشعر، ص 10 .

(452) ابن خاقان، القلائد،ص 677 .

لله أبياتٌ أتتنــا خمســـةٌ   مثل الفرندِ نُظمن نظام الجوهر

جمعتْ من السحر الحلال محاسناً   من كل معنى رائقٍ مستندر

وهذا المعتمد يربط بين السحر والشعر من خلال جوابه على رسـالة شـعرية لأبي بكر الداني [453] :

كلامُك حر و الكلامُ غُلامُ   وسحر ولكن ليس فيه حرامُ

ودر ولكن بين جنبيك بحرُهُ   وزهر ولكن الفؤاد كِمام

والسحر الحلال هو المؤثر من القول، والمعتمد على التخييل والتصوير وهـو البليغ[454]، والعرب تسمي كل ما استمال النفوس من كلام وغيره سحراً، ومنهـا قوله ﷺ : " إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمة "، وقول عمر بـن عبـد العزيز لغلام " تكلم فهذا السحر الحلال ".[455]

وجعل المعتمد من الشعر سحراً في وصفه لشعر وصله من ابن زيدون، حيـث يقول: [456]

شِعْر هو السحْرُ، فلا تُنْكِرُوا   أني به ما عِشْتُ مسْحُوُرُ

ويبالغ ابن زيدون في وصف شعر المعتمد بن عباد بالسحر، يقول[457] :

لَمْ أخلْ من قبـلِهِ أن بيان اللفْظِ يسْـحرْ

ولم تأت المبالغة من وصفه لشعر المعتمد بالسحر وإنما من قوله أنه لم يتخيـل أن بيان الألفاظ يسحر العقول قبل قراءته لهذا الشعر، وهي بلا شك مبالغة لطيفة، تضفي على المعنى رونقاً وجمالاً.

5- نقد المعنى:

---

(453) المتعمد بن عباد، الديوان، ص 113 .

(454) أنظر: مطلوب، معجم مصطلحات النقد الأدبي، ص 250 .

(455) البطليوسي،أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد (ت 521هـ/1127م) ، شروح سـقط الزند،4ق،تحقيق مصطفى السقا وعبد السلام هارون وآخرين، بإشراف طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1986،ج1،ص 276.

(456) ابن زيدون، الديوان، ص 618.

(457) ابن زيدون، المصدر نفسه، ص 614.

أما المعتمد فإنه ينظر إلى المعنى من جوابه على رسالة لأبي بكر الداني حيث يقول:[458]

تحليتَ بالداني وأنت مباعد　　فيا طيب بدءٍ لو تلاهُ تَمامُ

فالمعتمد بن عباد أشار لما في اسم الداني من دلالة على القرب والسهولة، ولما في شعره من صعوبة وبعد عن الرقة وقرب المعاني.

ومن نقد المعنى أن ولادة بعثت إلى ابن زيدون رسالة شعرية منها:

"سقى اللهُ أرضاً قد غدت لك منزلاً　　بكل سكُوبٍ هاطل الوبل مُغدق

فأجابها ابن زيدون بأبياتٍ شعرية، وكتب في أثناء الكلام بعد الشعر: وكنت ربما حثثني على أن أنبهكِ على ما أجد فيه عليك نقداً, وإني انتقدت عليك قولك:

"سقى الله أرضاً قد غدت لك منزلاً"

فإن ذا الرمة قد انتُقِد عليه قوله مع تقديم الدعاء بالسلامة:

ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى　　ولا زال منهلاً بجرعائك القطر

إذ هو أشبه بالدعاء على المحبوب من الدعاء له, وأما المستحسن فقول الآخر:

فسقى ديارك غيْر مفسدها　　صوْبُ الربيع وديمةٌ تهمي"[459]

6- المآخذ اللغوية:

ومن ذلك نقد الفقيه أبي الحسن علي بن عبدالله البرجي[460] وقد أخذ على الجزار السرقسطي قوله- في رسالة شعرية بعث بها إلى زهير العامري - [461]:

لم تسمع الآذان قبل هِدائِها　　بحمامة زفت إلى فتخاءِ

إذ قال:(أن الفتخاء مؤنثة ولا يوصف بها مذكر) فكتب إليه الجزار السرقسطي بقصيدةٍ يوبخه فيها ويبرز الأدلة على صحة رأيه، منها قوله:

---

(458) المتعمد بن عباد، الديوان، ص 113 .

(459) ابن زيدون، الديوان،ص 782-983 .

(460) هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن موسى بن طاهر الغفاري، ويعرف بالبرجي نسبة إلى برجة من أعمال سرقسطة، كان لغوياً وأديباً، وكان ذا حظ من رواية الحديث.

(461) انظر: الجزار السرقسطي, روضة المحاسن، ص 88-95.

أإن صح ب" الفتخاء" تشبيهنا الفتى زهيراً بدت في النقد منك غرائب

وقلتَ لمن حاداك من غير فكرةٍ لتُـهم كلاً : أن فهمـك ثاقب

وللعرب من هذا كثير, وهل لنـا بمن نقدتني في الشعر إلا الأعارب

أما قال للنعمان شاعـر قومه لأنك شمـس و الملوك كـواكب

فشبهه بالشمس وهي لديهم مؤنثة, هل عاب ذلك عـائب

وهل تُنسب الأشياء إلا لفعلها وتـعرف إلا بالمضاء القواضب

7- الإشارة إلى المضمون:

وقول أبي بكر محمد بن رحيم في الإشارة إلى ما تضمنته رسالة في الثناء عليه ومدحه:(462)

وألبستنيها من ثنائك حلةً مطرزة العطفين بالحمد والشـكـر

نثرتَ علي القولَ دُراً كأنهُ سقيطُ رذاذِ الغيثِ في الورق الخُضْر

ومن ذلك أيضاً قول ابن خفاجة في الإشارة إلى تضمن رسالة موجهة إليه أمثالاً وحكماً بليغة: (463)

بأمثالِها من حكمةٍ في بلاغةٍ تَحالُ أضغان وتَرحلُ أظعانُ

كما أشار ابن الجد إلى اشتمال الرسالة الشعرية على الثناء المعطر: (464)

زففتَ بها بكراً تأرج طيبها وما طيبها إلا الثناء المضوع

لها من طراز الحسن وشي مهلهل ومن صيغة الإحسان تاج مرصعُ

---

(462) ابن خاقان، القلائد،ص 346 .

(463) ابن خفاجة، الديوان، ص 98 .

(464) ابن بسام، الذخيرة، ق2،م1، ص 319 .

تبغيت منها متعة اللحظ فانزوتْ   وقالت أدون المهر يبغي تمتع

فدونك ذاك الحكم منها فإنـهُ   قضاء لعمري عادل ليس يدفعُ

8-أثر الرسالة الشعرية على النفس:

تنبه النقاد إلى أثر الشعر على النفس، ومن هؤلاء ابن سعيد الأندلسي الذي قسم الشعر إلى خمس طبقات هي: المُرقص، والمُطرب، والمقبول، والمسموع، والمتروك, فالمرقص ما كان مخترعاً أو مولداً، لما يوجد فيه من السر الذي يمكن أزمة القلوب منيديه، ويلقي منها محبة عليه وذلك راجعٌ إلى الذوق، والحس مغن بالإشارة عنالعبارة. (465)

والمطرب: ما نقص فيه الغوص عن درجة الاختراع، إلا أن فيه مسحة من الابتداع، والمقبول: ما يكون طلاوة مما لا يكون غوص على تشبيه وتمثيل، والمسموع: ما عليه أكثر الشعراء، مما به القافية والوزن دون أن يمجه الطبع ويستثقله الطبع، والمتروك ما كان كلا على الطبع والسمع.(466)

فكما وصف ابن سعيد أثر الشعر، فقسمه إلى مطرب ومرقص..الخ، فكـذاك نرى الشعراء يبدون آرائهم في الرسائل الشعرية، فقد نراه عظيم الشأن(467):

يشقُ سامِعُها من جيبهِ طرباً   ويُسمعُ الصخرةُ الصماء راويها

وأحياناً أخرى يشبهها الشعراء بكتائب الحرب فهذا ابن عمار يقـول مخاطبـاً المعتصم:(468):

ثلاثةَ أبياتٍ وهيهاتَ إنما   بعثتَ إلى حربي ثلاثَ كتائب

وقد نجدهم يصورونها بالجوزاء، كقول ابن عمار أيضاً:(469):

بعثتَ بها يا قطعة الروض قطعةً   شممتُ بها عرفَ النسيم المخاق

---

(465) أنظر: ابن سعيد، علي بن موسى المغربـي، نـور الـدين (ت673 هـ ـ/1274م)، المرقصات والمطربات، دار حمد ومحيو، بيروت، 1973م، ص 7 .

(466) انظر: ابن سعيد، المرقصات والمطربات، ص 8- 9 .

(467) ابن خاقان, القلائد، ص 392.

(468) ابن بسام, الذخيرة, ق 2،م1, ص 404.

(469) ابن بسام, الذخيرة, ق2،م1، ص 403.

ثلاثةَ أبيات هيـــهاتٍ إنما بعثت بها الجوزاء في صفح مهرق

وربما نجد الشعر يبعث الأمن في نفس الخائف كقول أبـي القاسـم بـن السقاط [(470)]:

سُطَيْران في مغزاهما أمنُ خائفٍ وسلوةُ مشغوفٍ وأنسُ مُشوق

أو أن يجعل الشاعر هذه الرسالة الشعرية بمنزلة العطر الذي ينتشر سريعاً فـي الجو ويجعل له رائحة زكية، من مثل قول ابن زيدون:[(471)]

جاءني الشعرُ الذي لو بُث في الأفْق لعطرْ

8_ إحكام فصل الخطاب :

ومن الأحكام السريعة البديهية أن يوصف الشعر بإحكام فصل الخطاب، ومن ذلك أن ما جاء في جواب المستظهر[(472)] لشاعرٍ هنأه بالخلافة، يقول [(473)]:

قبلنا العذر في بشْر الكتابِ لما أحكمتَ في فصل الخطابِ

---

(470) ابن خاقان, القلائد، ص 513.

(471) ابن زيدون، الديوان، ص 613.

(472) هو عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر لدين الله، أبو المطرف، بويع يوم خروج القاسم والبربر من قرطبة سنة 414هـ/1023م، وكانت خلافته سبعة وأربعـين يوماً، إذ ثار عليه المستكفي وقتله. (ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب فـي أخبـار الأندلس والمغرب، ج3،ص 135 –140) .

(473) ابن بسام، الذخيرة،ق1،م1،ص58.

وفصل الخطاب هو: البون ما بين الشيئين، ويرى ابن الأثير أن فصل الخطاب هو حسن التخلص[474]، وقد أجمع المحققون من علماء البيان أنه " أما بعـد " لأن المتكلم يفتتح كلامه في كل أمر ذي شأن بذكر الله وتحميده، فإذا أراد أن يخـرج من
الغرض المسوق إليه فصل بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله أما بعد.[475]

ويقرن ابن زيدون بين فصل الخطاب والحكمة ورجاحة العقل، يقول:[476]

شَهِدْنَا لأوتي فَصْلَ الخْطابِ وخُص بفضل النهى والحِكَمْ

---

[474] ابن الأثير،أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد الموصـلي (ت 637هـ ـ/1239م) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،4ج، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي،مصر، 1939م،ج2، ص275 .

[475] انظر: مطلوب، معجم مصطلحات النقد الأدبي، ص 312.

[476] ابن زيدون، الديوان، ص 412.

الفصل الرابع

البناء الفني للرسائل الشعرية

1.4 الشكل الخارجي للرسالة الشعرية والجواب عليها:

جاءت الرسائل الشعرية المبنية على الخطاب متفاوتة من حيث الطـول وعـدد الأبيات، غير أن العرف الأدبي كان يقتضي أن تكون الرسائل الشعرية الجوابيـة على نفس وزن الرسائل الخطابية وقافيتها وموضوعها، وليس من شروطها التزام الشاعر عدد أبياتها؛ إذ قد تأتي الرسالة من بيتين أو ثلاثة أبيات ويـأتي جوابهـا كذلك، وأحياناً نجد الرسالة الشعرية تتكون من عدد قليل من الأبيات، بينما يـأتي الجواب رسالة شعرية طويلة.

ونجد في رسائل قليلة جداً عدم التزام القافية والبحر في الرسائل الشعرية الجوابية، من مثل جواب الرسالة الشعرية التي أرسل بها النحلي إلى المعتصم بن صمادح أولها:(477)

أيا من لا يُضافُ إليه ثاني ومن ورث العُلى باباً فبابا

فبعث المعتصم إليه من البياض ما لبسه، وجال به مجلسه، وكتب إليه مع ذلك جواباً:

وردتْ ولليل البهيم مطارفٌ عليك وهذي للصباح بُرُودُ

وأنتَ لدَيْنَا ما بقيتَ مُقَرب وعيشُك سلسالٌ الجمامِ برُودُ

يلحظ الدارس أن الرسالة الخطاب جاءت على البحر الوافر وقافية الباء، بينما جاء الجواب على البحر الطويل وقافية الدال، وقد جاءت الرسالتان في نفس الموضوع، إذ كانت مناسبة الرسالة أن النحلي دخل المرية وعليه أسمالٌ بالية، ورأى الناس قد لبسوا البياض، فكتب إلى المعتصم بن صمادح في ذلك، فأرسل إليه المعتصم بطلبه وبيتين من الشعر جواباً على رسالته.

---

(477) ابن خاقان، القلائد،ص 149 .

ونورد مثالاً على التزام الشعراء البحر والروي، رسالة شعرية من الفتح بن خاقان أرسل بها إلى أبي يحيى بن محمد بن الحاج تتكون من ستة أبيات،منها: (478)

وإني لخفّاقُ الجناحين كلما سرى لك ذكر أو نسيم معطرُ

وقد كان واشٍ هاجنا لتهاجرٍ فبت وأحشائي جوى تتفطرُ

فراجعه ابن الحاج بخمسة أبيات على البحر والروي نفسه، منها:

ثنيت أبا نصرٍ عناني وربما ثنتْ عزمةَ الشهمِ المصمم أسطرُ

ونالت هوى ما لمْ تكنْ لتناله سيوفٌ مواضٍ أو قناً متأطرُ

2.4 الاستهلال في الرسالة الشعرية:

على الرغم من أن أغلب الرسائل الشعرية جاءت على شكل مقطوعات قصيرة تتناول غرضاً محدداً، فإنه يمكن لنا أن نقسمها إلى قسمين: أولهما: الرسائل الشعرية المقتصرة على موضوع معين، وثانيهما: الرسائل الشعرية التي تشتمل على أكثر من موضوع.

ويشتمل القسم الأول على رسائل الـدعوة, والإهـداء والاسـتهداء، الطلـب الاستمناح، ورسائل الاستسراح والاستئذان، ورسائل الإخبار، إذ تأتي أغلب هذه الرسائل في موضوع واحد لا تتجاوزه، كما أنها تخلو من المقدمات التي يـشتمل عليها غيرها من الرسائل الشعرية. ومن الأمثلة على هذا النـوع مـن الرسـائل الشعرية، رسالة جاءت في الدعوة بعث بها أبو محمد بن القبطورنة إلى صـديقٍ يستدعيه إلى مجلسه، وقد جاءت الرسالة في أربعة أبيات، يقول أبو محمد (479):

هلُم إلى روضنا يـــا زُهيرُ ولُحْ في سماءِ المنى يا قمـر

وفوق إلى الأنس سهْم الإخا ء فقد عُطلتْ قوسُه والوتــر

إذا لم تكن عندنـــا حاضراً فما بغصون الأماني ثمـرْ

وقعتَ من القلبِ وقْع المنى وحُزتَ من العين حُسْن الحور

---

(478) ابن بسام، الذخيرة،ق3،م2،ص 786 .

(479) لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، م1،ص521.

جاءت هذه الرسالة متضمنة موضوعاً واحداً، وهو الإلحاح في الطلب، والتأكيد على الحضور، فقد استخدم الشاعر ألفاظاً تدل على ذلك " هلم، لُحْ، فوقْ "، وهـذا يعني أن الدعوة جاءت مقرونة بأفعال الأمر لما في ذلك من التأكيد علـى أهميـة الحضور.

ومن الأمثلة على هذا النوع من الرسائل الشعرية رسالة بعث بها ابن عمار إلى المعتمد بن عباد، إذ تزامن غيابه مع غياب الشمس في يوم غـائم، يقـول ابـن عمار[480]:

تجهم وجهُ الأفق واعتلت النفسُ لأن لم تلح للعين أنت ولا الشمسُ

فإن كان هذا منكما من تـوافقٍ وضمكما أنس فليهنكما الأنسُ

فلم يأت الشاعر بمقدمات ليفتتح رسالته الشعرية؛ لأن المقام لا يقتضي ذلك، هذا بالإضافة إلى أن الرسالة الشعرية على الأغلب دون مقدمات، وقد أجاب المعتمد على رسالة ابن عمار هذه برسالة شعرية أخرى معللاً فيها أسباب عدم حضوره.

ومن هذا النوع من الرسائل الرسالة الشعرية أيضاً ما بعث بـه المتوكـل بـن الأفطس إلى الوزير أبي طالب بن غانم، يدعوه لحضور مجلس أنس، يقول: [481]

أقبلْ أبا طالبٍ إليـنَا وقعْ وقوع الندى علينا

فنَحنُ عقد بغير وُسْطى ما لمْ تكنْ حاضِراً لدينا

فلم يفتتح الشاعر رسالته الشعرية بمقدمة استهلالية؛ لأن المقام لا يقتضي ذلك ولا يتطلبه.

أما القسم الثاني وهو ما يشتمل على مقدمة في الغزل، أو المديح، أو الـشوق، أو الاستشفاع، ثم يتخلص منها إلى غرضه الرئيسي، ومن الأمثلة على ذلك رسالة

---

(480) المقري، نفح الطيب ، م4،ص 314 .

(481) ابن خاقان، القلائد، ص 144 .

لأبي عبد الله بن الحناط في المديح، أفتتحها بمقدمة غزلية يشكو فيها عدم إنصافها له، ثم يشكو سهر الليل، ويصف جمالها، وسواد شعرها، حيث يقول [482]:

أقصر عن لومي اللائم　　لمـــا درى أننــي هائم

ما زلتُ في حبه منصفاً　　من لم يزل وهو لي ظالمْ

أسهر ليلي غراماً بــه　　وهو أخو سلوةٍ نـــائمْ

مُهفْهفُ ماس في بُرْدِهِ　　غُصن ثَنَتْهُ الصبا ناعم

شمس ولكنّما فرعها　　ليلٌ على صبحها فاحم

وينتقل الشاعر من هذه المقدمة الغزلية انتقالة لطيفة، إلى المديح دون أن نشعر باضطراب أو خلل في بناء الرسالة الشعرية:

إن ابن ذكوان ذو راحةٍ　　كديمةٍ صوبها دائــم

ومن أبوه أبو حاتـــمٍ　　قصر عن جودهِ حاتم

تُبصرُهُ دهرهُ قاعــداً　　وهو بأعبائِه قائـــم

ثم يتخلص الشاعر من غرضه الرئيسي إلى الفخر:

من لم يكُنْ شاعراً عالِماً　　فإنني الشاعرُ العالـــم

البدرُ في أخمصي شِسْعةٌ　　والشمسُ في خنصري خاتم

والدُر لو بلّغوه المنى　　نظّمه فـــي فمي الناظم

ومن الأمثلة على الرسائل التي يفتتحها أصحابها بالمقدمات الغزلية أيضاً رسالة لأبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي، يقول فيها [483]:

لَقَتُ بثغْرٍ قد حمى ريقهُ العذْبا　　وسَلَّ عليه من ملاحِظِهِ عَضْبَا

وفرحةِ لقيا أذهبتْ ترحةَ النَّوى　　وعتبى حبيبٍ هاجرٍ أعقبتْ عَتْبَا

---

(482) ابن بسام، الذخيرة،ق1،م1،ص 440 – 441 .

(483) ابن خاقان، القلائد،ص 716.

وينتقل الشاعر من هذه المقدمة الاستهلالية إلى وصف أثر الرسالة الشعرية في نفسه:

لقدْ هز عِطْفي بالقريض ابن جوشَنٍ[484] سروراً كما هزتْ صبا غُصُنا رطْبا

ويطيل الشاعر في وصف أثر الرسالة التي وصلته من ابن جوشن، ويـتخلص من هذا الوصف محسناً التخلص في الدعاء لابن جوشن، معلناً عن صدق مشاعره نحوه ودوام مودته له:

ليهنك فضلٌ حُزْتَ من خَصْله المدى ونظْم بديع قدْ غدوتَ لـه ربا

وهاك سلاماً صادراً مـن مودةٍ عمرتَ بها مني الجوانِح والقلْبا

ونجد بعض الرسائل الشعرية التي يفتتحها الشعراء بالمديح، كقول ابن حمديس الصقلي مخاطباً المعتمد بن عباد: [485]

أيا مولي الصنع الجميل إذا انتشى ويا مُسدي النيل الجزيل إذا صحا

وفي كلّ أرضٍ من نداهُ حديقةٌ تضوع مسـكاً نَوْرها وتفتـحا

ومن اللافت للانتباه أن بعض الشعراء استخدم الصيغة التقليدية "خليلي " ومـن ذلك قول المعتمد بن عباد في جوابه على رسالة شعرية لابن عمار:[486]

خليلي قولا هل علي ملامةٌ إذا لمْ أغب إلا لتحضرني الشمسُ

وقول الجزار السرقسطي [487]:

---

[484] من خلال الرسالة الشعرية التي بين أيدينا نعرف أن اسمه عبد الله ابن جوشن، وكان قد بعث إلى أبي محمد البطليوسي برسالة شعرية، فأجاب أبو محمد عنها بهذه الرسالة. ولم نعثر له على ترجمة في ما بين أيدينا من مصادر.

[485] ابن بسام، الذخيرة، ق4،م1،ص 324 .

[486] المعتمد بن عباد، الديوان ،ص 19.

[487] الجزار السرقسطي، روضة المحاسن،ص 197.

خليلي ما أولى المكاوي وبأسها بيافوخ من يبتاعُ داراً مُطِلبة

وقول ابن السراج المالقي: [488]

خليلي هذا اليوم لو بيع طيبه بما حوتِ الدنيا لقلت له الدنيا

وربما استخدم الشعراء هذا النوع من المقدمات الاستهلالية لأن لفظة "خليلـي " تمثل مناجاة داخلية، في محاولة من الشاعر إظهار قرب المخاطب من الـنفس، أو يستخدمها لإقامة حوار بينه وبين نفسه، [489] وفي رأي ابن رشيق أنـه لا يجـب الإكثار منها في الابتداء لأنها من علامات الضعف والتكلان، إلا القـدماء الـذين جروا على عرقٍ، وعملوا على شاكلةٍ ". [490]

3.4 توظيف الموروث الثقافي:

1. القرآن الكريم:

ظهر الأثر القرآني في الرسائل الشعرية على صورتين، الصورة الأولـى وهي التأثر بالآيات القرآنية من ألفاظٍ ومعانٍ وأفكار، أما الصورة الثانية وهي التأثر بالقصص النبوية، وقد كان المصدر القرآني من أهم المصادر الثقافيـة بالنسبة للشعراء، فمن ينبوعه المتدفق يتزود الشعراء بكمٍ هائل مـن الألفـاظ والمواقف والقصص الإسلامية، التي تعمق المعـاني والـصور، أو يتخـذها الشعراء وسيلة أو دليلاً لإغناء المعنى وتوصيله أو لتعميق الفكرة، بحيث نرى النص المقتبس أو المتَأثر به يغني المعنى ويعمقه.

ومن التأثر بالقرآن قد يكون اقتباس آية قرآنية ومن ذلك قول الجزار السرقسطي في جوابه على رسالة شعرية [491]:

في سورةِ الشعراءِ عُذري واضح وكفَى بما نص الكتابُ المنزلُ

لـكن أراك إلى الملامـةِ جانحاً وارب عذر واضح لا يقـبل

---

[488] ابن بسام، الذخيرة،ق 1،م2،ص 878.

[489] إحسان عباس وآخرون، دراسات في الأدب الأندلسي، ص 188 .

[490] ابن رشيق، العمدة، ج1،ص 389.

[491] الجزار السرقسطي، روضة المحاسن، ص177.

تبـــغي ليفعلَ شاعـــر ما قالهُ والله قال: يقول ما لا يفـــعلُ

وقد أشار الشاعر عند اقتباسه هذه الآيات إلى أنه أخـذ المعنـى مـن سـورة الشعراء، وبنى عليه أبياته؛ ليعلل لصديقه سبب عدم وفائه بوعده، أما الآيات فهي من سورة الشعراء، من قوله تعالى:**﴿والشعراءُ يتبِعُهُمُ الغَاوون۞ ألمْ تر أنهُمْ في كُل وادٍ يهمُون۞ وأَنهُمْ يقُولُون مالا يفعلُون ﴾**[492].

ونرى التأثر بالقرآن أيضاً في رسالة الجزار السرقسطي التي بعث بهـا إلـى زهير العامري عند زواجه، يقول فيها [493]:

ونرى نمارقَ صورة مصفوفة موشية الأقطار والأرجاء

وفيها تأثر واضح بقوله تعالى: ﴿ **ونَمارِقُ مصْفُوفَةٌ** ﴾ [494]

ومن التأثر بالقرآن قول أبي بكر بن رحيم: [495]

وإن مِن المشورةِ كُل حزْمٍ فَقَدْ أَوْصى المهيْمِن بالمشورةْ

فقد أشار إلى قوله تعالى:**﴿ والذِين اسْتَجابُوا لِربِّهِمْ وأَقامُوا الـصلاةَ وأمْـرُهُمْ شُورى بيْنَهُمْ ومِما رزقْنَاهُمْ يُنفِقُون ﴾** [496]

ونجد كذلك الاقتباس من القرآن الكريم في قول عبد الرحمن بن مقانا الأشبوني، عندما منع من الجواز إلى طرطوشة فكتب إلى صاحبها رسالة شعرية منها[497]:

هي المقاديرُ تجري في أسنتها ليقضي اللهُ أمراً كان مفعولا

وفي هذا البيت نجد ه يشير إلى قوله تعالى: ﴿ **ولَوْ تَواعدتمْ لاخْتَلَفْتُمْ في الميعادِ ولكِن ليقْضِي الله أَمْراً كان مفْعُولاً** ﴾ **[498].**

---

[492] سورة الشعراء، الآيات 224 -226.

[493] الجزار السرقسطي، روضة المحاسن، ص 85.

[494] سورة الغاشية، الآية 15.

[495] ابن خاقان, القلائد، ص 352.

[496] سورة الشورى, آية 38.

[497] ابن بسام، الذخيرة،ق2،م2،ص 790.

[498] سورة الأنفال، آية 42.

كما نجد الاقتباس من القرآن الكريم عند ابن زيدون في رسالة شعرية بعث بها إلى أبي الوليد بن حزم يعزيه بوفاة أبيه، يقول [499]:

فقل للحيارى: " قدْ بدا علمُ الهدى" وللطامع المغرور: " قـد قُـضِي الأمر"

وقد تأثر ابن زيدون بقوله تعالى: ﴿ **قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ**﴾ [500]

2. القصص القرآني:

وقد ظهر تأثر الشعراء بالقصص القرآني بشكل جلي، وقد كان تأثر الـشعراء بذلك من أجل استخلاص العبرة والعظة، أو لتصوير الحالة التي يتحدثون عنهـا، أو لتقوية "معاني قصائدهم، وتوضيح مقاصدهم، والاحتجاج بـه عنـد اهتـزاز مواقفهم، وذلك لأن القصص القرآني كان بمثابة المثال أو الإنموذج الذي ينبغي أن تقاس عليه الأمور "[501]، مما يحدث أثراً كبيراً في المخاطب، وقد وظـف ابـن زيدون قصة السامري مع قوم سيدنا موسى عليه السلام في أبيات بعث بها إلـى أبي حفص بن برد الأصغر[502]:

ما ترى في معشرٍ حالوا عن العهدِ وخَاسُو

ورأوني سـ ـامرياً يُتقَى منـهُ المسـاسُ

فهو يصور حاله وقد غدر به أصحابه ونكثوا العهد معه، وابتعدوا عنه واتقـوا الاختلاط به، كحال السامري الذي كان أحد زعماء بني إسرائيل، وكان قد أضـل بني إسرائيل عندما ذهب موسى عليه السلام لمناجاة ربه، ودعاهم إلـى الـشرك بالله، فعاقبه الله عز وجل بالوحشة والانفراد، فلا يمس إنساناً إلا أدركتهما الحمـى معاً، فكان يتحاشى الناس ويناديهم إذا رآهم " لا مساس "، وفي ذلك يقول الله ﷻ على لسان موسى عليه السلام ﴿ **قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِـسَاسَ وَإِن**

---

[499] ابن زيدون، الديوان ،ص 526.

[500] سورة يوسف، آية 41.

[501] الربيعي، أحمد حاجم، القصص القرآني في الشعر الأندلسي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،ط1،2001م، ص 271 .

[502] ابن زيدون، الديوان ،ص275 .

لك موعداً لن تُخْلَفَهُ وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً ﴾. (503)

ومن هذه القصص القرآنية أيضاً قصة سيدنا موسى عليه السلام عندما رمته أمه في البحر بعد أن وضعته في التابوت، إذ نجد ابن زيدون يطلب من أمه أن تصبر على فراقه، ولها في ذلك من أم سيدنا موسى العبرة والقدوة، يقول (504):

وفي" أم موسى" عِبرةٌ إذ رمتْ بهِ ... إلى اليم في التابُوتِ، فاعْتَبِري واسلِي

وهو بهذا تأثر بقوله تعالى: **﴿إذْ أَوْحَيْنَا إلى أُمكَ ما يُوحَى۞ أنِ اقذِفيهِ في التابُوتِ فاقذِفيهِ في اليم فَلْيُلقِهِ اليم بالساحِلِ يأخُذْهُ عدُو لي وعدُو لهُ وأَلقَيتُ عليْكَ محبةً مني ولِتُصْنَعَ على عيْني ﴾** (505) وقوله تعالى: **﴿ وَأَوْحَيْنَا إلى أم مُوسى أنْ أرضِعيهِ فإذا خِفْتِ عليْهِ فألقِيهِ في اليم ولا تَخَافي ولا تحْزَني إنا رادوهُ إليْكِ وجاعِلُوهُ مِن المُرْسلِين ﴾** (506)

كما أشار إلى قصة سيدنا موسى عليه السلام في قوله مخاطباً أستاذه أبا بكر بن مسلم عقب فراره من قرطبة ملتمساً شفاعته لدى بني جهور(507):

فررتُ، فإنْ قالوا الفِرارُ إرابةٌ ... فقدْ فر موسى حين هم بهِ القبط

فهو يؤكد أنه فر من سجنه في قرطبة مضطراً، فإن جعل القوم فراره مثبتاً للشك في أمره، فقد وهموا لأن سيدنا موسى عليه السلام فر من مصر خوفاً من فتك الأقباط، كما يقول تعالى: **﴿ وجاء رجُلٌ منْ أقْصى المدِينَةِ يسْعى قالَ يا مُوسى إن الملأ يأتَمِرُون بِكَ لِيقْتُلُوك فاخْرُجْ إني لكَ مِن الناصِحِين۞ فخَرج مِنْها خائِفاً يترقبُ قالَ رب نَجني مِن القَومِ الظالِمِين﴾.** (508)

---

(503) سورة طه, آية 97.

(504) ابن زيدون، الديوان، ص 264.

(505) سورة طه، الآيات(38 – 39).

(506) سورة القصص، آية 7.

(507) ابن زيدون, الديوان، ص 292 .

(508) سورة القصص، الآيات 20-21 .

كما أشار الجزار السرقسطي في حديثه عـن فقـره واسـتجدائه النـاس للعـون والمساعدة لتخليصه من ضنك المعيشة إلى قصة سيدنا موسى ﷺبقوله:[509]

والأنبياء المرسلين استطعموا وبُلوا بداء الفقر كل بلاء

أو ليس موسى قد توخى قريةً مستطعماً فأبت بكل إباء

فقد وظف ما جاء في قصة موسى عليه السلام والخضر حين ذهبا إلى أهل قريـة فطلبا منهم طعاماً على سبيل الضيافة، فامتنع أهل القرية عن ضيافتهما، يقول تعالى: **﴿ فَانطَلَقَا حتى إِذَا أَتَيا أَهْلَ قَرْيةٍ اسْتَطْعما أَهْلَها فَأَبوْا أَن يُضيفُوهُما فَوجدا فِيهـا جِداراً يُرِيدُ أَن ينقَض فَأَقَامهُ قَالَ لوْ شِئْتَ لتخَذْتَ علَيْهِ أَجْراً﴾.**[510]

كما وظف الشعراء قصة سيدنا يوسف عليه السلام، فهذا أبو محمد بن حـزم يقول مخاطباً قاضي الجماعة بقرطبة [511]:

ولكن لي في يوسفٍ خير أُسوةٍ وليس على من بالنبي ائتسى ذنبُ

يقولُ مقالَ الصدق والحق إنني حفيظٌ عليم ما على صادقٍ عتبُ

فهو قد تأثر بقوله تعالى على لسان يوسف ﷺ: **﴿ قَالَ اجْعلْنِي علَـى خَـزائِنِ الأَرضِ إِني حفِيظٌ علِيم﴾**[512]، حيث أراد ابن حزم أن ينفع الناس في قرطبة وأن يقيم العدل بينهم متأسياً بسيرة النبي يوسف عليه السلام الذي أراد أن ينفع العبـاد، ويقيم العدل بينهم، فقال للملك اجعلني والياً على خزائن مصر، فإنني خازن أمين، ذو علم

وبصيرة بما أتولاه [513].

كما نجد أثر قصة سيدنا يوسف في أبيات للمعتصم بن صمادح بعث بهـا إلـى ابنه عبيد الله عندما سجنه المرابطون, حيث يقول [514]:

---

(509) الجزار السرقسطي , روضة المحاسن , ص 149 .

(510) سورة الكهف , آيه 77 .

(511) المقري , النفح , م2،ص 82 .

(512) سورة يوسف , آية 55 .

(513) أنظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل(ت774هـ/1372م)، قصص الأنبياء، تحقيق وتعليق عبد القادر أحمد عطا، دار الفكر، عمان، ط1، 1987 م، ص 203-204 .

لئن كنتُ يعقوب في حُزنهِ ويوسفَ أنتَ, فصبر جميلُ

فقد استعار المعتصم بن صمادح صورة حزن النبي يعقوب عليه السلام على غياب ابنه يوسف، وما كان من صبره الجميل على هذه المأساة وجزاء الله العاجل لـه بـأن أعاد إليه ابنه، لتصوير صبره على غياب ابنه في السجن مؤملاً نفسه بجـزاء الله لصبره الجميل.

ومن القصص التي أشار إليها الشعراء في رسائلهم الشعرية قصة المسيح عليه السلام في قدرته على إشفاء العلل، فهذا المعتمد يقول مخاطباً أباه مبيناً أثر سخط والده عليه، وما سببه له من سقم آملاً منه أن يرضى عليه: (515)

سخطُك قد زادني سقاماً فابعثْ إلي الرضا مسيحا

فقد أشار إلى قوله تعالى ﴿ **وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَاءِيلَ أَنّي قَدْ جِئْتُكُم بِئَايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ إِنّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِينِ كَهَيئَةِ الطَّير فأنفُخُ فيهِ فيَكُونُ طَيْرًا بإذْنِ اللهِ وأبرئ الأكمه والأبرَصَ وأحي الموتى بإذن اللهِ وأنبئكمُ بما تأكُلُونَ وما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إن في ذَلِكَ لآيةً لَكُمْ إن كُنتُم مُؤمِنِينَ** ﴾ (516)

كما أشار إلى قصة نوح والمسيح عليهما السلام ابن رشيق في بيتين من الشعر مجيباً بهما المعتمد بن عباد عندما دعاه إلى جواز البحر، يقول ابن رشيق: (517)

أمرتَني بركوبِ البحر في عجلٍ غيري فديتُك فاخصُصْه بذا الدَّاءِ

ما أنتَ نوحٌ فتُنجيني سفينَتُهُ ولا المسيحُ أنا أمشي على الماءِ

فقد أشار إلى قوله تعالى ﴿ **وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْراهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبّي لَغفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾(518)، كما أشار في نفس البيتين إلى قصة سيدنا عيسى عليه السلام عندما مشى على الماء (519)، وهذا يشير إلى خوف ابن رشيق الشديد من ركوب البحر، إذ إنه لا يتوقع أن تحدث معه المعجزة كما حدثت مع سيدنا عيسى عليه السلام.

ومن القصص التي وردت إليها إشارات في الرسائل الشعرية قصة سيدنا آدم عليه السلام، عندما أخرجه الله عز وجل من الجنة، فاستعان النحلي البطليوسي بهذه القصة للتعبير عما وقع له من مخالفة المعتصم بن صمادح، ثم خروجه من المرية إثر هذا الخلاف، فنجده يقول مخاطباً المعتصم: (520)

رضى ابن صمادحَ فارقتُه فلم يُرضني بعده العالمُ

---

(514) ابن الأبار, الحلة،ج2،ص89.

(515) المعتمد بن عباد، الديوان،ص 33 .

(516) سورة آل عمران، آية 49 .

(517) ابن دحية، المطرب، ص 65؛ ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت456 هـ/1063م)، ديوان ابن رشيق القيرواني، تحقيق عبد الرحمن ياغي،دار الثقافة، بيروت، 1989م، ص 24 .

(518) سورة هود، آية 41 .

(519) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص473 .

(520) المقري، النفح،م4،ص 9 .

وكانت مَريّتُهُ جنة فجئت بما جاءه آدمُ

وقد استفاد من قصة سيدنا آدم عليه السلام في قوله تعالي ﴿ **فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**﴾ (521)

3. الأحاديث الشريفة:

فلم نجد لها أثراً كبيراً في رسائلهم الشعرية، وإنما وجدنا بعض الأبيات القليلة التي بدا فيها تأثرهم بالحديث النبوي، منها قول أبي بكر عبد العزيز البطليوسي (522):

فهلا رعيتَ جزيلَ الثواب وعدتَ العليلَ وزرتَ الغريب

وتدري الحديثَ وماذا عليهِ عائدُ ذي السقمِ حتى يؤوب

فقد تأثر بمعنى الحديث الشريف:**(عائد المريض في مخرفة الجنة حتى يرجع)**(523)

و قول الجزار السرقسطي(524):

قرينُ الفتى مرآةُ مضمره الذي ترى ما طواهُ فانتقدْ منْ تصاحِب

متأثراً بمضمون قول الرسول ﷺ:**(الرجلُ على دين خليله, فلينظر أحدُكُم من يخالل)**.(525)

4. الأمثال العربية:

لقد بدا تأثر بعض الشعراء بالأمثال العربية واضحاً، **وقد برز** هذا التأثر عند بعض الشعراء دون غيرهم، وذلك يعود إلى اختلاف مستويات ثقافة الشعراء، ومن هؤلاء الشعراء الذين ظهر المثل لديهم بشكل جلي الجزار السرقسطي ومن ذلك قوله في رسالة شعرية بعث بها إلى ابن البرجي (526):

---

(521) سورة البقرة، آية 36

(522) ابن بسام, الذخيرة،ق2،م2، ص 768 .

(523) الشيباني، أبو عبد الله ت(241هـ/855م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل 9 ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1993 م، ج5،ص279 .

(524) الجزار السرقسطي, روضة المحاسن, ص 89.

(525) السجستاني، أبو داوود سليمان بن الأشعث الأزدي (ت275هـ/888م) ،سنن أبي داوود، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1988 م، ج4، حديث رقم 4833، ص 261.

(526) الجزار السرقسطي , روضة المحاسن , ص 142 .

إن تُجزنا بالعتبِ ذماً فاحشاً فبما حواهُ رشْحُ كل إناء

ففي عجز البيت تضمين للمثل العربي "**كل إناء يرشح بما فيه** " مع اختلاف الصياغة، وأحياناً يصاغ هذا المثل بأسلوب آخر " **كل إناء ينضح بما فيه** " [527], واستخدم هذا المثل أيضاً ابن عمار في رسالة شعرية بعث بها إلى المعتمـد بـن عباد, حيث أورد المثل بصيغته الأصلية، يقول:[528]

ولا تستمع زور الوشاة وإفكهم فكل إناءٍ بالذي فيه يرشح

كما وظف الجزار السرقسطي معنى المثل العربي " **إنما المرءُ بأصغريه قلبه ولسانه** "[529] في قوله من رسالة شعرية [530]:

وبالأصغرين المرءُ كان معظماً وما أصغراهُ اليوم إلا المكاسبُ

كما تأثر ابن اللبانة بالمثل العربي " **أغرب من عنقاء** " الذي يضرب لما يـئس منه, والعنقاء طائر معروف الاسم مجهول الجسم, [531]في قوله[532]:

وجئتَ بها في الحسن ورقاء أيكةٍ ولكنها في الدهر عنقاءُ مغربِ

كما تأثر السرقسطي بنفس المثل في قوله [533]:

---

(527) الميداني , أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت 518 هـ/1124م), مجمع الأمثال , 2ج , تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد , دار الفكر , ج2،ص 162 , رقم 3159 .

(528) ابن الأبار , الحلة، ج2،ص 153 .

(529) الميداني , مجمع الأمثال , ج2،ص 294 , رقم 3982؛ الزمخشري , أبو القاسم جـار الله محمود بن عمر(ت 538 هـ/1143م) , المستقصى في أمثـال العـرب، 2ج , دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط2 , 1987 م , ج1 ص345 , رقم 1483 .

(530) الجزار السرقسطي, روضة المحاسن, ص89.

(531) أنظر: الأحدب, إبراهيم بن علي (ت 1308 هـ/1890م), فرائد الـلآل فـي مجمـع الأمثال, ج2, قدم له ووضع فهارسه إبراهيم شمس الدين, دار الكتب العلمية, بيـروت – لبنان, ج1 ص 16.

(532) ابن اللبانة, شعر ابن اللبانة, ص 16.

(533) الجزار السرقسطي, روضة المحاسن، ص 147.

عجباً لدعواك الوفاء وأنه   عمري لأغربُ فيك منا عنقاء

كما اقتبس الجزار السرقسطي المثل العربي " **إن كنت ريحاً فقد لاقيتَ إعصاراً** " اقتباساً حرفياً. (534)

يا مفتياً بانتقاض الشرع أعصارا   " إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصارا"

ومن الأمثال التي وظفها الشعراء لخدمة المعنى في رسائلهم الشعرية، قول العرب " **كمستبضع التمر إلى هجر** "(535)، يقول أبو عامر الأصيلي: (536)

جعلتُ بضاعتي تمراً   وجئتُ بها إلى هجر

ويهدف أبو عامر بن الأصيلي من وراء ذلك الوصف إبراز المكانة الأدبية للحصري، فجعل يصف شعره المرسل إلى الحصري الشاعر المبدع كمن يجلب التمر إلى بلاده، إذ لا قيمة له مقابل وفرته وكثرته وجودته في موطنه ومحل إنتاجه، وذلك أن هجر معدن التمر والمستبضع إليه مخطئ، لقد كان توظيف الشاعر للمثل توظيفاً موفقاً، إذ لبى لديه المعنى المراد.

ومن ألوان توظيف الموروث الثقافي تضمين الشعراء أبياتاً شعرية مشرقية:

ومن ذلك ما نجده في رسالة شعرية لابن عبدون حيث جعل عجز كل بيت من أبياتها شطراً من قصيدة لامرئ القيس, يقول فيها (537):

أيا سامياً من جانبيه إلى العلا   " سموَّ حَبابِ الماء حالاً إلى حالِ "

لعبدك دارٌ حلّ فيها كأنّها   "ديارٌ لسلمى عافياتٌ بذي الخال "

يقول لها لما رأى من دثورها   " ألا عِمْ صباحاً أيُّها الطللُ البالي "

وأبيات امرئ القيس هي: (538)

---

(534) الزمخشري، المستقصى، ج1،ص 373.

(535) الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص 152؛ الزمخشري، المستقصى، ج2، ص233.

(536) ابن بسام، الذخيرة،ق 3،م2،ص862.

(537) ابن عبدون, الديوان ,ص 171 .

ألا عِم صباحاً أيها الطللُ البالي   وهل يَعِمَن مَن كان في العُصُر الخالي

ديارٌ لِسَلمى عافياتٌ بذي خالٍ   ألحَّ عَليها كُـلُّ أسحـمَ هطَّـالِ

وقول ابن شرف القيرواني في رسالة شعرية كتب بها إلى المظفر بن الأفطس[539]:

سيري فلم نقْذفكِ في مجهلٍ   ولا ضربنا بكِ ضَرْبَ القمار

وهو بذلك يشير إلى قول المتنبي [540]:

ضرَبْتُ بهَا التّيهَ ضَرْبَ القِمَا   ر إمّا لهَذا وإمّا لِذَا

وقول أبي بكر بن سعيد البطليوسي مخاطباً بعض إخوانه: [541]

كأني فيما أشتكي ابن محلّمٍ   سقاماً ولكن لست أشكو الثمانينا

والشاعر في هذا البيت يشير إلى بيت عوف بن محلّم الشيباني في قوله:[542]

إن الثمانين وبُلغتها   قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

كما نجد التضمين من الشعر في بيت ابن اللبانة مخاطباً بعض إخوانه,مفتخرا بنفسه:[543]

---

(538) امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف، مصر، 1958 م، ص 27 –92.

(539) ابن بسام، الذخيرة ،ق2،م2،ص 643.

(540) المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين (ت354هـ/965م) ، ديوان أبو الطيب المتنبي، 2ج, بشرح العلام اللغوي عبد الرحمن البرقوقي, حقق النصوص وهذبها وعلق حواشيها وقدم لها الدكتور عمر فاروق الطباع, دار الأرقم بن أبي الأرقم, بيروت –لبنان, ج1، ص 137.

(541) ابن بسام، الذخيرة ،ق2،م2،ص 768 .

(542) المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت421 هـ/1030م)، الأزمنة والأمكنة 2ج، حققه وعلق عليه محمد نايف الدليمي،عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2002 م، ج2،ص236 ؛ ابن رشيق، العمدة ج1 ص638 .

وأتركُ جيرةً جاورا وأشدو   " أضاعوني وأيُّ فتى أضاعوا "

فقد ضمن الشاعر بيته شطراً من بيت الشاعر العُرجي[544] الذي يقول فيه[545]:

أضاعوني وأيُّ فتى أضاعوا   ليوم كريهةٍ وسِدادِ ثغر

وهذا البيت كثيراً ما تغنى به الظرفاء. [546]

كما جاء التضمين في الرسالة الشعرية التي رفعها مجموعة من وزراء المعتمد وعماله، وكان هدفهم تحريض المعتمد على ابن زيدون: [547]

قدْ قالَ شاعِرُ كِندةٍ فِيمَا مَضَى   بَيْتَاً عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي يُعْلَمُ

"لا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الأذَى   حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ "[548]

فجاء التضمين في هذه الرسالة لبيت المتنبي, إذ كان في هذا البيت إتمامٌ للمعنى, فقد كان هدفهم القضاء على ابن زيدون, و جاء بيت المتنبي يفي بالغرض إذ يقصد به أن الشرف الرفيع لا يسلم من أذى الحساد والمعادين إلا أن يقتل صاحب الشرف حساده وأعداءه, فإذا سفك الدم أصبح للملك هيبة, فلا يجترئ أحد على معارضته.

ومن تضمين الأبيات كاملة أيضاً قول ابن عمار: [549]

لكنْ عَدَتْنيَ عَنكم خَجْلَةٌ عرضتْ   كفانيَ العذرَ فيها بيتُ معتذر

---

(543) ابن اللبانة , شعر ابن اللبانة، ص 62 .

(544) هو بن عمرو بن عثمان بن عفان، وكان يسكن عرج الطائف، وهو من شعراء قريش المشهورين بالغزل، نحا نحو عمر بن أبي ربيعة وأجاد . (الأصفهاني، أبو الفرج،الأغاني، 24ج، لجنة نشر كتاب الأغاني، بأشراف محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة،1992م، ج1،ص 396 – 432).

(545) الأصفهاني، الأغاني، ج1،ص 429 .

(546) انظر: الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن محمد بن حجة (ت 837 هـ/1433م)، ثمرات الأوراق، تحقيق وتعليق محمد أبو الفضل إبراهيم،دار الجيل،بيروت، ط3 ، 1997 م، ص 38 –39 .

(547) ابن خاقان، القلائد ،ص75 .

(548) المتنبي , الديوان، ص 461 .

(549) ابن بسام، الذخيرة، ق3،م2،ص 863 .

" لو اختصرتمْ من الإحسانِ زرتكمُ   والعذبُ يُهجرُ للأفراط في الخصر"

فقد ضمن ابن عمار بيت المعري كاملاً، وقد علق ابن بسام على هذا التضمين بقوله " وما قيل في العجز عن الشكر، بكثرة البرِّ، أحسن من بيت المعري هذا، وقد تضمنه ابن عمار أحسن تضمين ".[550]

5. الإشارات التاريخية:

ورد كثيراً من الإشارات التاريخية في الرسائل الشعرية التي تدل على سعة إطلاع الشعراء على التراث التاريخي، حيث عمدوا إلى توظيف هذا الموروث قي رسائلهم الشعرية، ومن ذلك قول ابن اللبانة مشيراً إلى قصة جذيمة الأبرش ملك الحيرة والزباء ـ ملكة تدمر ما بين الروم والفرس ـ، يقول ابن اللبانة مخاطبا المعتمد:[551]

جذيمةُ أنتَ والزباءُ خانتْ   وما أنا من يقصرُ عن قصير

وملخص القصة أنه كانت هناك عداوة شديدة بين الزباء وجذيمة الأبرش بحكم الحروب التي دارت بينهما، وكان بينها وبين جذيمة بعد الحرب مهادنة، فحدَّث نفسه بخطبتِها، وأرسل من يخطبها له، وقد أوهمته بالقبول، وطلبت منه الحضور إليها، وأظهرت له السرور، وأكرمت مقدمه، وكان له عبد يقال له قصير بن سعد، كان حذره من الانخداع لها ولكنه أبى الاستماع إليه، ثم حدث أن غدرت به وقتلته، فأقسم قصير إلا أن يأخذ بثأره، فجدع أنفه وأوهمها أنه هاربٌ من عمرو بن عدي اللخمي، ابن أخت جذيمة، إلى أن أصبح ثقة لديها، حاك خطة من أجل وصول الجنود إلى مدينتها والقضاء عليها، فعندما رأتهم قالت بيتها المشهور:

ما للجمال مشيها وئيداً   أجندلاً يحملن أم حديدا

فكانت مثالاً للخيانة، وكان قصيرٌ مثلاً للوفاء، وقد اتخذ ابن اللبانة من هذه القصة مثالاً لقصة المعتمد وجعل من نفسه مثالاً لقصير المخلص لسيده ومولاه، وهناك قضية أخرى أشار إليها ابن اللبانة من طرفٍ خفي، وهي أن

---

(550) ابن بسام، الذخيرة، ق2،م1،ص 401 .

(551) ابن اللبانة، شعر ابن اللبانة،ص 52 .

جذيمة الأبرش لخمي موصول النسب بالمعتمد. [552] وهذا إنما يدل على معرفة ابن اللبانة بالتاريخ والأنساب، وقدرته على توظيفها في خدمة المعاني التي يقصدها.

ومن الذين أشاروا إلى الأحداث التاريخية ابن عبدون، عندما خرج من بطليوس مستوحشاً، في قوله: [553]

فقبلُ أبى الدنية قيسُ عبسٍ ولم يصغي إلى قولِ المُشيرِ

فقد استعان الشاعر بالأحداث التاريخية ليبين ما لديه من عفة نفس، وقيس بن عبس بن جذيمة، هو صاحب حرب داحس والغبراء، [554] وقد هجر قومه بعد هذه الحرب [555]، أما ابن عبدون فقد هجر بطليوس.

ومن الإشارة إلى القصص التاريخية قول الفضل بن حسداي مراجعاً إلى الوزير أبي محمد بن سفيان وقد غضب منه: [556]

وبسطتُ أوضحَ من زيادٍ عُذْرَه لو لمْ تكنْ أقسى من النعمانِ

ويقصد الشاعر بذلك أنه اعتذر وأوضح عذره لأبي محمد بن سفيان أكثر مما بسط عذره النابغة الذبياني إلى النعمان بن المنذر عندما هدر دمه بعد وصفه لزوجته، ثم عاد فأمنه ورضي عنه، [557] فكأن المخاطب أكثر قسوة من النعمان بن المنذر.

4.4 المحسنات البديعية

---

(552) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(ت597هـ/1201م)، الأذكياء، بعناية بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2003 م، ص 221 – 227 .

(553) ابن عبدون، الديوان، ص 155.

(554) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت456 هـ/1063) ، جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط5، ص 251.

(555) ابن بسام، الذخيرة، ق2،م2، الهامش رقم 5، ص 711.

(556) ابن بسام، المصدر نفسه، ق3،م1،ص492.

(557) انظر القصة:أبو زيد القرشي، محمد بن أبي الخطاب(ت170هـ/786م)، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة –القاهرة، ص 70 –97 .

حفِلتْ الرسائل الشعرية بالمحسنات البديعية، غير أن هذا الشيوع والانتشار لـم يكن مستقبحاً، ولم يؤثر في المعنى بشكل سـلبي، وإنمـا جـاء لإتمـام المعنـى وتوضيحه، ومن المحسنات البديعية التي ظهرت بشكل واضح:

1. الفواصل (حُسن التسجيع):

تمثّلُ الكلمات داخل البيت الشعري وحدات موسيقية متجانسة، " لها أثر كبيـر على السامع وتحقق للبيت جرساً موسيقياً لا يتحقق دون هذا التقـسيم خاصـة إذا اتفقت هذه الكلمات (الوحدات الموسيقية) في نهايتها "[558].

كقول ابن خفاجة: [559]

سنيَّ العطايا حَفيَّ التَّحايا　　　عليَّ السجايا كريمُ الذمَمْ

فقد بنى ابن خفاجة بيته على إيقاع داخلي حققه من خلال استخدام الفواصل والسجعات التي تشكل قوافي داخلية متكررة في ثنايا البيت.

وقوله أيضاً من نفس الرسالة الشعرية:

وجوبُ الفِجاج وخوضُ الهياج　　　وشقُّ العجاج ووَطءِ القمَمْ

وقول الأعمى التطيلي من رسالة شعرية: [560]

صقور أو بدور أو بحور　　　وإن لم تلقَ مثلهُمُ رجالاً

فقد كرر الشاعر الصيغة الصرفية (فُعولٌ) واختتمها بسجعة مكونة من حرفين (الواو والراء).

وقول المعتمد بن عباد في رسالة أرسل بها إلى أبيه المعتضد: [561]

فالنفْسُ جازعةٌ والعيْنُ دامعةٌ　　　والصوتُ مُنخَفِض والطرفُ مُنكسِرُ

---

[558] علي، أشرف علي، الصورة الفنية في شعر ابن دراج القسطلي، تقديم محمود علي مكي، مكتبة نهضة الشرق ـ جامعة القاهرة ، ص 248.

[559] ابن خفاجة، الديوان،ص 46.

[560] الأعمى التطيلي، الديوان،ص 244.

[561] الأعمى التطيلي، المصدر نفسه، ص 244 .

فقد جاء البيت مكوناً من أربع جمل متوازنة قائمة على تكرار الـصيغ الـصرفية والنحوية، إضافة إلى تكرار السجعات المبنية على التاء المربوطة فـي الـشطر الأول، والتوازي في المدى والنبرة في الشطر الثاني، مما يحقق نوعاً من الإيقاع الداخلي المؤثر في نفسية المتلقي.

2. التصريع:

يقصد بالتصريع ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه تنقص بنقصانه وتزيد بزيادته [562]، "واشتقاق التصريع من مِصراعي الباب؛ ولذلك قيل لنصف البيت مصراع كأنه باب القصيدة ومدخلُها" [563]

ويرى ابن رشيق أن سبب التصريع مبادرة الشاعر القافية ليُعلم أول وهلةٍ أنه أخذ في كلام موزون غير منثور، ولذلك وقع في أول الشعر" [564]، من أمثلة التصريع في الرسائل ما جاء في قول أبي القاسم بن الجد مفتتحاً رسالة شعرية[565]:

أما ونَسيم الرَّوض طابَ به فَجْرُ وهَبَّ لهُ من كُلِّ زاهِرَةٍ نَشْرُ

"وربما صرع الشاعر في غير الابتداء وذلك إذا خرج من قصة إلى قصة، أو من وصف شيء إلى وصف شيء آخر، فيأتي حينئذٍ بالتصريع إخباراً بذلك وتنبيهاً عليه" [566] ومن ذلك رسالة شعرية كتب بها ابن زيدون إلى أبي عامر بن مسلمة،

أفتتحها بقوله معاتباً: [567]

تُبَاعِدُنا عَلى قُرْبِ الجِوَار كَأنَّا صَدَّنا شَحْطُ المَزَار

وبعد ستة أبيات انتقل إلى الطلب منه أن يراعي مودته ويحفظ جواره، ونلاحظ أنه عندما انتقل إلى الغرض الثاني صرَّع لينبه بذلك، حيث يقول:

فَرَاعِ مَوَدتي، واحْفَظ جِوَاري فإن الله أوْصَى بالجِوار

ونجد عند بعض الشعراء كثرة استخدام التصريع، حتى صرعوا في غير موضع التصريع ويعده ابن رشيق دليلاً على قوة الطبع، [568]ومن ذلك رسالة شعرية لإدريس بن اليمان أجاب فيها على رسالة شعرية وصلته من أبي عامر بن مسلمة، يقول فيها: [569]

يا صنوَ ماءِ السماء في رقةٍ وصفاء

ويا سراجَ ضيـاءٍ يجلو دجى الظلماء

بهرتَ سيما ذكـاءٍ في بهجةٍ وذكــاء

وحزتَ في العليـاءِ قوادمَ الجـوزاءِ

---

[562] ابن رشيق، العمدة ج1،ص325 .

[563] ابن رشيق، المصدر نفسه،ج1، ص326 .

[564] ابن رشيق، المصدر نفسه، ج1، ص326 .

[565] ابن خاقان، القلائد، ص 328 .

[566] ابن رشيق، العمدة ج1،ص326 .

[567] ابن زيدون، الديوان، ص 204 – 205.

[568] انظر: ابن رشيق، العمدة،ج1،ص326.

[569] ابن خاقان، القلائد، ص83.

يا حاتم الكرماءِ وأحمد الشعراء

وقول أبي القاسم محمد بن عبد الغفور[570] في خطاب لأحد أعيان بني الدب: [571]

إنْ جهلتَ الوفاءَ في أهلِ حمصٍ فبنو الدبِّ سادةٌ زعماءُ

فيهم عفة وفيهم وفــاء ولهم ذمة وفيهم حياءُ

وزراءٌ أكابرُ كرمــاءُ علماءٌ أفاضلٌ حلماءُ

3- التدوير:

يعد التدوير من الظواهر التي برزت في الرسائل الشعرية فـي القـرن الخـامس الهجري، وهو يقوم على "تقسيم الكلمة إلى شطري البيت أي أنه يكسر حاجز القسمة العروضية بمقياس يخضع للقراءة عبر دمج الكلمة مما يخلق نزاعاً في النفس يكـسر الحواجز الرتيبة، وهذا بدوره نوع من الإيقاع الهادف إلى التخاص من الرتوب عبر التنويع ودمج البيت"[572].

ومن الأمثلة على التدوير ما جاء في رسالة ابن زيدون إلى أبي عبد الله بن عبد العزيز، يقول فيها: [573]

إن الذي قسم الحظوظ حباك بالخلق العظيمْ

لا استزيدُ اللهَ نعمى فيك، لا بل أستَديـمْ

فلقد أقر العين أنك غُرةُ الزمن البهيـ ـمْ

حسبي الثناءُ لحُسن برقِك ما بدا برقٌ فَشِيمْ

ثُم الدعاءُ بِأنْ تَهنأ طُولَ عيشِك في نَعيمْ

ولا شك أن للبيت المدور في القصيدة تأثيرٌ في المتلقي مختلفٌ عن تأثير الأبيات الأخرى في القصيدة، ذلك أنه يسبغ على البيت غنائية وليونة لأنه يمده ويطيل نغماته[574]

---

(570) هو أبو القاسم محمد بن عبد الغفور، صاحب المعتمد، كانا قبل تمكن السلطان رضيعي لبان أمهما الكاس، وقد توفي في عنفوان شبابه (ابن بسام، الذخيرة،ق2،م1،ص323؛ ابن سعيد، المغرب،ج1، ص 241) .

(571) ابن بسام، الذخيرة،ق2،م1،ص324 .

(572) الحسين، أحمد جاسم الحسين، الشعرية (قراءة في تجربة ابن المعتز العباسي)،الأوائل للنشر والتوزيع، ط1 ، 2000 م، ص131 .

(573) ابن زيدون، الديوان ،ص(203 ـ 204) .

ومن التدوير ما جاء في رسالة كتب بها المعتمد بن عباد إلى الطبيب المصري مستدعياً إياه: [575]

أيـها الصاحبُ الذي فارقَتْ عيْني منـه السـنا والسـنَاء

نَحنُ في المجلس الذي يهبُ الراحةَ والسمْع والغِنَى والغِناء

نَتَعاطى التـي تنَسي من الرقةِ و اللذةِ الهوى والهواء

فأتـهِ تُلفِ راحةً ومحيا قد أعدا لـك الحيـا والحيـاء

4- الاعتراض:

وهو أن يكون الشاعر آخذاً في معنى، فيعرض له غيره، فيعدل عـن الأول إلـى الثاني، فيأتي به، ثم يعود إلى الأول من غير أن يخل بالثاني في شيءٍ، بل يكون مما يشُد الأول [576].

وقد أطلق عليه ابن رشيق وابن الأثير اسم (الالتفات)، وسماه آخرون الاستدراك، أما ابن منقذ فيسميه الاعتراض ويقول هو: "أن تذكر في البيت جملةً معترضـة، لا تكون زائدة، بل يكون فيها فائدةٌ "[577].

والاعتراض من خصائص المعاني؛ إذ إنه يقف حاجزاً بين إتمام المعنى عندما يجزئ التركيب ويوقف مد التتابع، وخلق حالة ترقب لدى المتلقي بانتظار إتمـام المدلول ويقوم بتحطيم المتتابعات.[578]

من ذلك قول بعض الوزراء مما كتبوا به إلى المعتمد بن عباد:[579]

فلقد علِمتَ ـ ولن نبصرك الهدى فلأنتَ أهدى في الأمور وأحزم.

---

(574) الملائكة، نازك، قضايا الشعر المعاصر، مكتبة النهضة، بغداد، ط2، 1965م، ص 91.

(575) المعتمد، الديوان،ص49؛ المقري، النفح م4،ص281؛ ابن خاقان، القلائد،ص 58 .

(576) انظر: ابن رشيق، العمدة،ج 1،ص 636 –637؛ ابن الأثي، كفاية الطالب،ص 190 .

(577) ابن منقذ، البديع في البديع، ص 190 .

(578) انظر: الحسين، الشعرية، ص 135 .

(579) ابن خاقان، القلائد، ص 74 .

أن المُلوك تَخَافُ من أبنائِهـا فَتُحِل من مُهجاتِهمْ ما يحرُمُ

فقد جعل الشاعر قوله ولن نبصرك الهدى فلأنت أهدى في الأمور وأحزم معترضاً بين قوله علمت.. وأن الملوك... .

ومن رسالة شعرية لأبي بكر محمد بن رحيم قوله: (580)

وكَمْ لك عنْدي مِنْ يدٍ ألمعيةٍ يقِل لها بذلُ البقية من عُمري

ومن مدحٍ – ضمنْتَها كُل مفْخَرٍ- حبيبةِ الأنفاس مِسْكّيةِ النشر

حيث استخدم الشاعر جملة معترضة هي ضمنتها كل مفخر.

وقد انتشرت هذه الظاهرة بشكل بارز ولافت للانتباه في رسائل ابن زيدون الشعرية، منها رسالته الشعرية إلى ولادة عندما فرَّ من السجن، حيث يقول : (581)

يا ليتَ شعري –ولمْ نُعْتِب أعاديكُمْ - هلْ نالَ حظاً مِن العُتْبى أعادِينَا

أوْلي وفاءٍ – وإن لمْ تبذلي صِلةً - فالطيفُ يقنعُنا، والذكر يكفِينَا

حيث جاء قوله: "ولم نعتب أعاديكم " جملة معترضة في البيت الأول، وقوله: " وإن لم تبذلي صلة " جملة معترضة في البيت الثاني.

ومن رسالته الشعرية إلى المظفر بن الأفطس قوله: **(582)**

فأطْولُهُمْ - بالأيادي - يداً وأثبتُهُمْ – في المعالي – قَدمْ

فقد جعل الشاعر شبه الجملة " بالأيادي " جملة معترضة في الشطر الأول، وشبه الجملة " في المعالي " جملة معترضة في الشطر الثاني.

5**- الجناس**: وهو مطابقة حالة الأحرف، ويعرفه ابن المعتز بقولـه: " وهـو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تـشبهها فـي تأليف حروفها"(583) ويأتي على عدة أنواع منها:

---

(580) ابن خاقان، القلائد، ص 346 .

(581) ابن زيدون، الديوان،ص 141- 148 .

(582) ابن زيدون، المصدر نفسه ،ص 410 .

الجناس التام: وهو مطابقة حالة الأحرف مع اختلاف المعنى[584]، ونجده في بعض الرسائل الشعرية ومن ذلك قول المعتمد بن عباد[585]:

جواد أتاني من جوادٍ تطابقاً فيا كرم المُهدي ويا كرم المهدي

فقد جانس الشاعر جناساً تاماً بين "جواد" الأولى بمعنى الفرس و"جواد " الثانية بمعنى الكريم، كما جانس في نفس البيت بين "المهدي " والمهدى"

كما نجد ذلك في قول أبي بكر بن سعيد البطليوسي مخاطباً قاضـي الجماعـة بقرطبة[586]:

مولى ومولي نعمةٍ ومواليا وأخا إخاء خالصاً وخليلا

فقد جانس الشاعر جناساً تاماً بين " مولى" و "مولي ".

كما نجد الجناس في قول ابن عمار: [587]

يا أيها الراضي وإنْ لمْ تلقَني من صفحةِ الراضي بما أدريه

لقد جانس الشاعر بين كلمة "الراضي" الأولى ويقصد بها الراضي بن المعتمد, وكلمة " الراضي " الثانية بمعنى الرضا.

كما استخدم الشعراء **الجناس الناقص** فـي رسـائلهم الـشعرية كقـول ابـن عبدون[588]:

---

[583] ابن المعتز، أبو العباس عبد الله بن المعتز (299هـ/911م)، البديع، تقديم وشرح وتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل ، بيروت، ط1،1990 م،ص (107 ـ 108).

[584] انظر: ابن المعتز، البديع، ص 108 .

[585] المعتمد بن عباد، الديوان ،ص34 .

[586] ابن بسام، الذخيرة،ق2،م2،ص767 .

[587] ابن الأبار , الحلة السيراء ،ج 2،ص 151 .

[588] ابن عبدون، الديوان ،ص 155.

وقد ضمتْ جوانحُنا قلوباً   أبت غير القصور أو القبور

فقد جانس الشاعر جناساً ناقصاً بين لفظتي " القصور، والقبور ".

كما نجد ذلك عند المعتمد بن عباد، في رسالة شعرية بعث بها إلى أبيه، حيث يقول: (589)

بقيتَ، ولا مُلك إلا وقدْ   غدا مِلك كفك قهراً وقسْراً

ففي لفظتي "قهراً وقسرا " جناس ناقص.

وقول ابن عمار أيضاً مخاطباً الوزير ابن العزيز:(590)

وصلتْ دُعابتُك التي أهديتَها   في خاتمِ التأمين والتأمير

فقد جانس الشاعر جناساً ناقصاً بين لفظتي " التأمين، والتأمير " .

6- التكرار:

وهو اتفاق المعنى واللفظ، ويسميه السجلماسي "التكرير" والتكرار اللفظي هو " إعادة اللفظ " ويقال له أيضاً المشاكلة (591)، ويطلق عليه ابن الأثير اسم التكريـر، ويشير "إلى أن له مواضع يقبح فيها ومواضع أخرى يستحـسن فيهـا، وأكثـر وقوعه في الألفاظ دون المعاني، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فـذلك الخـذلان" (592)، ونجد ذلك بشكل واضح في الرسائل الشعرية، ولعل ذلك يعود إلى رغبـة منشئ الرسالة تأكيد المعاني التي يذهب، أو إظهار المقدرة اللغوية وسعة المعرفة، ومن ذلك قول ابن اللبانة (593):

حاش لله أن أجيح كريماً   يتشكى فقراً وكم سـد فقرا

لا أزيد الجفاء فيه شقوقاً   غدر الدهرُ بي لأن رمتُ غدرا

---

(589) المعتمد بن عباد، الديوان، ص 40.

(590) ابن خاقان، القلائد،ص 191 .

(591) السجلماسي، أبو محمد القاسم الأنصاري السجلماسي(من نقاد القرن الثامن الهجري)، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تقديم وتحقيق علال الغازي،مكتبة المعارف، الرباط، ط1، 1980 م، ص 477؛ أنظر أيضاً: ابن منقذ، البديع في البديع، ص 275 .

(592) ابن الأثير، كفاية الطالب،ص208 .

(593) ابن اللبانة، شعر ابن اللبانة, ص 44 .

فقد كرر الشاعر كلمة "فقرا" في البيت الأول، كما كرر كلمة " غدر" مع أنهما تحملان المعنى نفسه في كلا البيتين.

ومن التكرار الحسن ما جاء في رسالة شعرية لأبي بكر بن رحيم خاطب بها أبا إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين، يقول فيها(594):

سماحك "لا" انسجامُ المُزن سكباً   وبأسُك "لا" اجترا الأسدُ المغيرة

وعزمُك "لا " انحدار السيلُ ليلا   وحدك "لا" شبا البيض المبيرة

وعزتك التي رقـت فراقت   جمالا "لا " سنى الشمس المنيرة

وقول المعتمد بن عباد مخاطباً ابن عمار (595):

سلام، سلام أنتما الأنس كله   وإن غبتما، أم الربيع هي الأنس

فقد جاء التكرار هنا في كلمتي " سلام، و الأنس "

كما نجد التكرار في قول ابن اللبانة الداني مخاطباً المعتمد بن عباد(596):

وعسى أراك بحيث ينبعث الندى   فلقد رأيتك حيث ينبعث الدمُ

فقد كرر الشاعر أكثر من كلمة في الشطر الأول (أراك بحيث ينبعـث) فـي الشطر الثاني (رأيتك حيث ينبعث).

وكذلك قول الأديب أبي العباس أحمد بن قاسم، مما اندرج في رسالة نثرية:597

أو حين نور عارضي فتفتّحتْ   أنواره فكأنها أنوارُ

وهنا نجد الشاعر كرر لفظ " نور" ومشتقاتها ثلاث مرات.

ومن التكرار أيضاً قول ابن اللبانة الداني(598):

أيها الماجدُ السميدعُ قدراً   صرفي البر إنما كان برا

جاء تكرار الشاعر هنا للفظة "البر "، بمعنى الإحسان في الموقعين.

---

(594) ابن خاقان، القلائد،ص 351 .

(595) المعتمد بن عباد، الديوان،ص 19 .

(596) ابن اللبانة، شعر ابن اللبانة، ص 93 .

(597) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص 909 .

(598) ابن اللبانة، شعر ابن اللبانة , ص 44 .

وعلى هذا فاللفظ المكرر ينبغي أن يكون وثيق الصلة بالمعنى العام، وإلا فهو لفظ متكاف لا سبيل إلى قبوله. (599)

8-الطباق: من الطباق ما نجده عند ابن شهيد، قوله: (600)

الوردُ عهْداً ونَشْراً صِنوُ عهدِك، لا تُنسي أواخرهُ طيباً أوائلهُ

فقد طابق الشاعر بين لفظتي " أواخره، وأوائله ".

ومن الطباق قول المعتمد بن عباد:(601)

ومن في كفه بُؤسى ونُعمى تَصرفُ في العدو وفي الحبيبِ

وقد طابق الشاعر بين " بؤسى، ونعمى " و" العدو، والحبيب " فأضفى على البيت الشعري رونقاً وجمالاً.

ومن الطباق قول المتوكل بن الأفطس، وكان قد كتب به إلى ابن عبدون (602):

فحسبي عمن نأى ممن دنا فمن غاب كان فدا من حضر

لقد جاء الطباق في هذا البيت بين لفظتي " نأى ,دنا " , ولفظتي " غاب , حضر".

ومن الطباق قول ابن عمار (603)

تأملتُ منك البدر في ليلة الخطبِ ونلتُ لديك الخصب في زمن الجدبِ

وجاء الطباق بين لفظتي " الخصب, الجدب " .

9-الأساليب الإنشائية:

لقد اعتمد أصحاب الرسائل الشعرية على **الأساليب الإنشائية** في توجيه خطـابهم من مثل النداء والأمر والاستفهام، وقد أكثر الشعراء من هذه الأساليب بشكل لافـت للنظر، ولعل ذلك يعود إلى أن الشاعر ينشئ رسالته ويوجهها إلـى طـرف آخـر مخاطباً له بالأمر أو النداء أو الاستفهام أو الاستفسار، والأمثلة على ذلـك كثيـرة جداً، من ذلك ما جاء في شعر ابن اللبانة مستخدماً النداء: (604)

---

(599) الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، ص 231 .

(600) ابن شهيد، الديوان،ص 146 .

(601) المعتمد بن عباد، الديوان، ص 32 .

(602) ابن الأبار , الحلة السيراء،ج2،ص106 .

(603) ابن الأبار, المصدر نفسه ،ج2،ص 139 .

(604) ابن اللبانة، شعر ابن اللبانة، ص 28 .

يا روضة أضحى النسيمُ لسانَها يصفُ الذي تخفيه من آراجِها

وقوله: (605)

يا من عليه من المكارمِ والعُلى بُرد بتطريز المحامد معْلمُ

ومن ذلك أيضاً قول المعتم

د بن عباد مخاطباً ابن زيدون: (606)

أيها المُنحطُ عنّي مجلساً وله في النفس أعلى مجْلِس

وقول أبي علي الحسن بن الغليظ مخاطباً ابن السراج المالقي مستخدماً أداتي النداء والاستفهام: (607)

يا خليلاً صفا وكدر يوْمي هل إلى الطّيب في غدٍ من سبيل؟

ومن استخدام فعل الأمر قوله: (608)

سكِنْ فُؤادك لا تذهبْ بك الفِكَرُ ماذا يُعيد عليك البث والحذَرُ

وقول الوزير الفقيه أبي أيوب ابن أبي أمية حيث يجمع بين الأمر والاستفهام: (609)

قُلْ للوزير: وأين الشكرُ من مِنَنٍ ؟ جاءتْ على سنَنٍ تُتْرى وتتصلُ

ومن استخدام الاستفهام قول أبي عبد الله بن أبي الخصال: (610)

فَهلَ لك في وُدِّ ذَوى لك ظاهراً ؟ وباطِنُهُ ينْدى صفاء ويقطُرُ

وقول الأديب أبي محمد غانم مخاطباً بعض إخوانه جامعاً بين الاستفهام والنداء والأمر، حيث يقول: (611)

أمن لبيرةَ تسري الريحُ حاملةً روْح النّسيم فأحياني وحياني ؟

---

(605) ابن اللبانة، المصدر نفسه ،ص 93.

(606) المعتمد بن عباد، الديوان، ص 57.

(607) ابن بسام، الذخيرة ق1، م2،ص871 .

(608) المعتمد بن عباد، الديوان ص 36،ابن خاقان، القلائد، ص83 .

(609) ابن خاقان، القلائد،ص 463 .

(610) ابن خاقان، المصدر نفسه، ص 530 .

(611) ابن بسام، الذخيرة،ق1،م2،ص 856 .

يا لائح البرق من أعلامها غسقاً   جُدْ بالتّحيةِ من حيا فأحياني

ومن استخدام النداء والاستفهام قول ابن عمار مخاطبا بعض إخوانه: (612)

أإخوانَنا هل حالَ من دوننا أمرُ   تراءى لكم أم وحشةٌ جرها الدهرُ

10- لزوم ما لا يلزم:

أي أن يلزم الشاعر نفسه أكثر من حرف في روي الرسالة الشعرية، كأن يلتـزم الشاعر بأخر حرفين أو ثلاثة أحرف إلى نهاية الرسالة الـشعرية، ويـسمه النقـاد القدماء" الإعنات "، يقول ابن المعتز " من إعنات الشاعر نفسه في القوافي وتكلفه من ذلك ما ليس له " (613). وقد شاع مصطلح "لزوم ما لا يلزم" أكثـر مـن مـصطلح" الإعنات "، والمصطلحان صحيحان لأن الإعنات هو إلزام الـشاعر نفـسه بمـا لا ينبغي(614)وقد سمي بذلك لأنه لا يعد من الأحرف التي تجـب المحافظـة عليهـا، كحرف الروي في القصيدة العربية، وقد ظهر هذا اللون من البديع لدى مجموعة من الشعراء في رسائلهم الشعرية، ومن ذلك قول ابن زيدون في رسالته التي أرسل بها إلى ولادة: (615)

أضحى التنائي بديلاً عن تدانينا   وناب عن طيب لقيانا تجافينا

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنـا   شوقاً إليكم ولا جفت مآقيـنا

نكاد حين تناجيكم ضمائرنـا   يقضي علينا الأسى لولا تأسينا

حيث التزم الشاعر بثلاثة أحرف في روي أبيات الرسالة جميعها.

وقول ابن زيدون مراجعاً أبا بكر بن القصيرة:(616)

قد أحسن اللهُ في الذي صنَعهْ   عارضُ كُرْهٍ بِلُطْفِهِ رفَعهْ

تَبارك اللهُ إن عادةَ حسـ ـ ـ   ـناهُ مع الشكر غيرُ مُنْتَزعه

---

(612) ابن بسام، المصدر نفسه،ق 2،م1،ص401 .

(613) ابن المعتز، البديع،ص 175 .

(614) مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ج 1،ص 191 .

(615) ابن زيدون، الديوان، ص 141 .

(616) ابن زيدون، الديوان، ص 210 .

كما التزم أبو عبد الله بن أبي الخصال أربعة أحرف في روي الرسـالة الـشعرية التي أرسل بها مهنئاً أبا بكر بن رحيم، حيث يقول: (617)

إذا ما شرفَ الأشرافُ قوماً   فإن بني رُحيْمٍ شَرفُوه

ومن يُعرف بهِ لهمْ قديمـاً   وإن رغمتْ أنوفٌ عرفُوهُ

كُفاةٌ للملوكِ علـى سبيـلٍ   ودين نَصيحةٍ ما حرفُوهُ

وما الأشرافُ إلا عبد قِنٍ   لهمْ فمتى تَولى اسْتَصْرفُوه

وقد برزت هذه الظاهرة بكثرة عند ابن عند ابن خفاجة، ومن الأمثلة على ذلك قوله مخاطباً القاضي أبا إسحاق بن ميمون : (618)

برعتَ فرُعتَ فمنْ ذا حبيب   لهُ الويلُ أمْ منْ أبو الطيبِ

ولوْ جارياك إلى غايـةٍ   لفُزتَ وكانا من الخُيبِ

أجدتَ وجدتَ فَمِنْ روْضةٍ   تنم و منْ وابلٍ صيبِ

حيث التزم الشاعر بثلاثة أحرف هي الياء المكررة والباء.

وله من رسالة شعرية أخرى التزم فيها الفتحة قبل الروي والميم الـساكنة، وقـد أرسل بها إلى القاضي أبي أمية، يقول فيها: (619)

ويهْجُرُ في الله حتى الكَرى   ويألفُ في اللهِ حتى نَعمْ

تُنور بالبشـر أخلاقـُـهُ   ويجْري بكفيْهِ ماءُ الكَرمْ

ويـهتز للضيفِ خدامـُـهُ   وتُعدي سجايا الموالي الخدمْ

من الملاحظ أن بعض الشعراء حاولوا الإكثار من هذا النوع، ولربما يكون السبب في ذلك محاولتهم إظهار قدرتهم على النظم، وإبراز تفوقهم على أقرانهم، "ويحمد

---

(617) ابن خاقان، القلائد،ص 531 .

(618) ابن خفاجة، الديوان،ص 246 .

(619) ابن خفاجة، المصدر نفسه ،ص 46 .

في هذا النوع ما ليس فيه كلفة؛ لأن التكلف يذهب برونق الصنعة، ويضعف هشاشة النفس له، وحينئذ يكون تركه أجود من ذكره ".[620]

5.4 الخاتمة :

لقد سعت هذه الدراسة سعياً جاداً إلى محاولة بناء صورة واضحة القسمات للرسائل الشعرية في الأندلس في القرن الخامس الهجري، وهي فترة شهدت شيوع فن الرسائل الشعرية وتطورها وازدهارها، وتشعب موضوعاتها تبعاً لتشعب أمور الحياة في المجتمع الأندلسي.

وقد استطاعت هذه الدراسة أن تحدد مفهوم الرسائل الشعرية تحديداً فنياً ونقدياً، وتوصلت إلى أن الرسائل الشعرية عبارة عن نصوص شعرية، يتبادلها الشعراء فيما بينهم متفاوتة في الطول متعددة في الأغراض، وتشتمل على الخطاب والجواب معاً، وأن الشعراء أطلقوا على هذه الرسائل مصطلحات عدة منها: الرسالة والكتاب، والخطاب والطرس، الصحيفة وغيرها، وهي مصطلحات استعاروا أكثرها من مصطلحات الرسائل النثرية.

وكشفت الدراسة عن أسباب شيوع هذه الظاهرة وتطورها، فكان في مقدمتها روابط الصداقة القوية التي تجمع بين الشعراء وأقرانهم، وشيوع ظاهرة التشرد والترحال وعدم الاستقرار التي عانى منها كثير من أبناء المجتمع الأندلسي، كما كان من أسباب ازدهارها اهتمام ملوك الطائف بالشعر والشعراء، وما كان من دعوتهم إياهم لحضور مجالسهم أو القدوم عليهم مستخدمين الرسائل الشعرية في مخاطبتهم، كما كان للشعراء الجوالين أثرهم في ازدهار هذا الفن إذ كانوا يستخدمون الرسائل الشعرية لمخاطبة أقرانهم وولاة الأمر وغيرهم بالإضافة إلى كثرة السفارات التي نهض بأمرها كثير من الشعراء الذين استخدموا الرسائل الشعرية لتأدية مهامهم.

وقد تفنن الشعراء الأندلسيون في ألوان الرسائل الشعرية فجاءت في عدة ألوان: المطارحات الشعرية، وهي المراسلات الشعرية التي تتم بين الشعراء؛ وذلك بأن

---

(620) حسين، عبد القادر حسين، فن البديع، دار الشروق، بيروت، ط1، 1983 م، ص 132 .

ينظم أحد الشعراء قصيدة ويبعث بها إلى شاعر آخر، فيرد عليه بقصيدة مراعيـاً فيها وزن القصيدة الأولى وقافيتها. أما اللون الثاني فهو المطيرات وهي رسـائل شعرية تحمل ألغازاً ترسل إلى الطرف الآخر لفك رموزها ومعمياتها، وجاء اللون الثالث في شكل قصائد شعرية كان يرسلها الشعراء فـي مناسـبات سياسـية أو اجتماعية أو إخوانية مختلفة.

وقد كشفت الدراسة عن مدى طواعية الرسائل الشعرية للتعبير عن كثير مـن القضايا الخاصة والعامة، فقد تناول الشعراء في رسائلهم كثيراً من القضايا العامة السياسية والاجتماعية والطبيعية والعسكرية التي كانت تشغل بال أبنـاء المجتمـع الأندلسي، مثل الفتن والصراع الداخلي بين أمراء الطوائف، وأحداث الصراع مع الإسبان، والقضايا المتعلقة بالشخصيات العامة من أمراء الأندلس وأعيانـه مـن مديح وهجاء، ونقد سياستهم الداخلية والخارجية، ووصـف المـدن والحـصون والقلاع وعناصر الطبيعة المختلفة، ومجالس اللهو والمجون وغيرها.

إن تناول الشعراء في رسائلهم هذه القضايا العامة تؤكد علاقتهم الوثيقة بأحداث مجتمعهم، وتفاعلهم معها، ذلك أنها كانت محركـاً أساسـياً لعواطـف الـشعراء وانفعالاتهم، فصاغوا ذلك في رسائل شعرية تميزت بدرجة عاليـة مـن الفنيـة والإتقان وقد أعانهم على ذلك ما لهم من موهبة شعرية وما أوتوا من مقدرة فنيـة عالية.

لقد كشفت الدراسة عن نواح كثيرة من آداب السلوك الاجتماعي الرفيع الـذي يحظى بتقدير أبناء المجتمع الأندلسي، وانتشر بينهم علـى اخـتلاف مـستوياتهم الاجتماعية، مثل الاستئذان عند مغادرة البلاد أو القدوم على العظـيم، واسـتقبال الضيف وتوديعه، وتقاسم المسرة والمضرة وغيرها، مما يدل على رقة الأندلسيين ورهافة حسهم وسمو ذوقهم ونقاء طبعهم.

فقد تنازل ملوك الأندلس وأمراؤها عن كثير من أقدارهم الاجتماعية، ونزلـوا عن عليائهم فراسلوا الشعراء من عامة الناس، وخاطبوهم مخاطبة الند للند، وشعر الشعراء من أبناء العامة بإذابة ما بينهم وبين خاصة قومهم من فروق اجتماعيـة،

مما يعين في نهاية المطاف على تشكيل صورة عن المجتمع الأندلسي، وما يسوده من قيم وآداب السلوك الرفيع.

كما أبانت الدراسة عن أن الشعراء الأندلسيين اتخذوا من الرسـائل الـشعرية وسيلة للتعبير عن ذواتهم وانفعالاتهم وعواطفهم الذاتية، وتصوير استجاباتهم لكثير من المواقف الحياتية المتعلقة بذواتهم وإخوانهم وأصدقائهم؛ أي وسيلة للتعبير عن القضايا التي كان فيها لذات الشاعر دور كبير فيها، من مثل المـودة والـصداقة والعتاب واللوم والتهنئة والاستعطاف والشكوى والفخر والغزل والاسـتهداء ومـا إلى ذلك من موضوعات ذاتية وإخوانية.

كما كشفت الدراسة عن أن بعض الشعراء اتخذوا من رسائلهم وسيلة للتعبيـر عن بعض نظراتهم النقدية وانطباعاتهم الذاتية حول ما كانوا يتبادلونه من رسـائل شعرية، فقد ظهر في ثنايا بعض هذه الرسائل الشاعر المخاطِب أو المجاوِب ناقداً لما أرسل إليه أو خوطب به، مبدياً رأيه الشخصي والانطباعي في النص الشعري المرسل إليه، فقد أصدر بعض الرسائل كثيراً من الأحكام النقدية مثل وصف لغـة الرسالة بالسلاسة والاتساق وحسن السبك والبعد عن الغريب والتعقيد، والبعد عن المعاظلة والتكلف، وحسن استخدام التشبيه، كما وصفوا الأثر الذي تتركه الرسالة الشعرية في النفس، ونعتوها بسحر القول وفصل الخطاب.

وبينت الدراسة أن الرسائل الشعرية جاءت في بناء شعري مميز، فقد جـاءت الرسالة والجواب عليها على نفس الوزن والقافية والموضوع، مع عدم الالتزام في عدد الأبيات، وقد خلت أغلب هذه الرسائل من المطالع؛ لأن مقامها لا يحتمل ذلك.

ولقد وظف الشعراء موروثهم الثقافي والديني والأدبي ومن ذلك الآيات القرآنية والقصص القرآني، والأحاديث النبوية والأمثـال العربيـة، والـشعر المـشرقي والإشارات التاريخية المختلفة، على مستوى الألفاظ والمعاني والأفكـار؛ وذلـك لتأكيد المعاني التي يذهبون إليها، والارتقاء بأساليبهم.

وقد اهتم الشعراء بالمحسنات البديعية و اللفظية كالتسجيع و التصريع والتدوير والاعتراض والجناس والطباق والتكرار، واستخدام الأساليب الإنـشائية المختلفـة

ولزوم ما لا يلزم وغيرها من الفنون التي تسهم في الجمع بين متطلبات المعنـى وجماليات التعبير.

المراجع:

أبو الخطاب القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب(ت170هـ/786م)، (د، ت) **جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام،** تحقيق علي محمد البجـاوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة.

الأحدب, إبراهيم بن علي (ت 1308 هـ/1960م)، (د، ت) **فرائـد الـلآل فـي مجمع الأمثـال,** 2ج, قدم له ووضع فهارسه إبراهيم شمس الدين, دار الكتب العلمية, بيروت ، لبنان .

الأزدي, علي بن ظافر(ت613هـ/1261م)، 1992م بدائع البدائه, تحقيـق أبـو الفضل إبراهيم, المكتبة العصرية, صيدا, بيروت .

الأصفهاني, أبو عبد الله محمـد بـن حامـد بـن عبـد الله، عمـاد الـدين (ت 597هـ/1200م)(د،ت) خريدة القصر وجريدة العصر, 4ق, تحقيق عمـر الدسوقي علي عبد العظيم, دار نهضة مصر, الفجالة ، مصر.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت356هـ ـ/967م)، 1992م الأغاني، 24ج، لجنة نشر كتاب الأغاني، بإشراف محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية، القاهرة .

الأعمى التطيلي, أبو جعفـر أحمـد بـن عبـد الله بـن أبـي هريـرة (ت525 هـ/1130م), 1989م **ديوان الأعمى التطيلي**, تحقيق إحـسان عبـاس, دار الثقافة, بيروت.

ابن الأبار, أبو عبد الله محمد بن أبي بكـر القـضاعي (ت 658هـ ـ/1259م)، 1958م **الحلة السيراء**, 2ج, تحقيق حسين مؤنس, دار المعارف, القـاهرة، ط2.

ابـن الأثيـر، أبـو الفـتح ضـياء الـدين نـصر الله بـن محمـد الموصلي(ت637هـ/1239م)، 1939م **المثل الـسائر فـي أدب الكاتـب والشاعر،**4ج، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

ابن الأثير، نصر الله بن محمد، ضياء الدين (ت637 هـ/1239م)،(د،ت) **كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب**، تحقيق:نوري القيسي وحاتم الـضامن وهلال ناجي، جامعة الموصل، (د ط).

ابن الجوزي، جمال الدين أبـي الفـرج عبـد الـرحمن بـن علـي القرشـي البغدادي(597هـ/1201م)، 2003 م **كتاب الأذكياء**، بعنايـة بـسام عبـد الوهاب الجابي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1.

ابن الحداد، أبو عبد الله بن الحداد الأندلسي (ت480هـ/1087م)، 1985م **شعر ابن الحداد**، تحقيق منال منيزل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1.

ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمـد الـسلماني(ت776هـ ـ/1374م)، 1974م **الإحاطة في أخبار غرناطة**، 4م، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1**.**

ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الـسلماني(ت 776هـ ـ/ 1374م)،(د،ت) **كتاب السحر و الشعر** ،(د،ط) .

ابن اللبانة, أبو بكر محمد بن عيسى (ت507هـ/1113م)، 1977م شـعر ابـن اللبانة الداني, جمع وتحقيق محمد مجيد السعيد, جامعة البصرة.

ابن المعتز، أبو العباس عبد الله (ت299هـ ـ/911م)، 1990م **البـديع**، تقـديم وشرح وتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط1.

ابن بسام, أبو الحسن علي الشنتريني, ت(542 هـ/1147م)، 1997م **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة,** 4ق، 8م, تحقيق إحسان عباس, دار الثقافة، بيروت.

ابن بشكوال, أبو القاسم خلف بن عبد الملـك (ت 578 هـ ـ/1182م)، 1989م **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس،** 3ج, تحقيق إبراهيم الإيباري , دار الكتـاب المصري، القاهرة , دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1.

ابن حزم الأندلسي, أبو علي بن أحمد بن سـعيد (ت 456 هـ ـ/1063م),(د،ت) **طوق الحمامة في الألفة والآلاف,** ضبط نصه وحرر هوامشه الطاهر أحمد مكي, دار المعارف، القاهرة، 1985م.

ابـن حـزم، أبـو محمـد علـي بـن أحمـد بـن سـعيد الأندلـسي (ت456 هـ/1063م)،(د،ت) **جمهرة أنساب العرب،** تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط5.

ابن حمديس، عبد الجبار بن حمـديس الـصقلي (ت527 هـ ـ/1132م)،(د،ت) **ديوان ابن حمديس الصقلي،** صححه وقدم له إحسان عبـاس، دار صـادر، بيروت.

ابن خاقان, أبو نصر الفتح بن محمد الإشبيلي (ت529 هـ ـ/1134م)، 1998م **قلائد العقيان ومحاسن الأعيان,** حققه وعلق عليه: حسين يوسف خريـوش, مكتبة المنار، ط1.

ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد الإشـبيلي (ت529 هـ ـ/1134م)، 1983م **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مُلح أهل الأندلس،** دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1 .

ابن خفاجة, أبو إسحاق إبراهيم الأندلسي (ت 533هـ ـ/1138م),1979م **ديـوان ابن خفاجة**, تحقيق الدكتور سيد غازي, منشأة المعارف، ط2.

ابن دحية, أبو الخطاب عمر بن حسن (ت633هـ/1235م)،1997م **المطرب من أشعار أهل المغرب,** تحقيق إبراهيم الأبياري وآخرون, راجعه طه حـسين, مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة .

ابن دراج القسطلي، أحمد بن محمد (ت 421هـ/1030م)،1961م **ديـوان ابـن دراج القسطلي**, حقق وقدم له وعلق عليه محمود علـي مكـي, منـشورات المكتب الإسلامي, دمشق, ط1 .

ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت456 هـ/1063م)، 1988م **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، 2ج، تحقيق محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، ط1.

ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت456 هـ/1063م)، 1989م ديوان **ابن رشيق القيرواني**، تحقيق عبد الرحمن ياغي، دار الثقافة، بيروت.

ابن زيدون, أبو الوليد أحمد بن عبد الله (ت 463هـ/1070م)،1957م **ديوان ابن زيدون ورسائله**, شرح وتحقيق علي عبد العظيم, دار النهـضة المـصرية للطبع والنشر, القاهرة .

ابن سعيد, أبو الحسن علي بن موسى (ت685 هـ/1286م)، 1955م **المغرب في حلى المغرب**، ج2, تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ،ط4.

ابن سعيد، أبو الحـسن علـي بـن موسـى (ت673 هـ ـ/1274م)، 1973م **المرقصات والمطربات**، دار حمد ومحيو، بيروت.

ابن شهيد الأندلسي, أبو عامر أحمد بن عبد الملك (ت 426 هـ/1034م)،(د،ت) ديوان **ابن شهيد الأندلسي**، جمعه وحققه, يعقوب زكي, راجعه محمود علي مكي, دار الكاتب العربي, القاهرة.

ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد(ت328 هـ/940م)، 1956م **العقد الفريد**، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته، أحمد أمين، أحمـد الـزين، إبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر, القاهرة، ط2.

ابن عبدون، عبد المجيد بن عبدون الفهري(ت 529هـ/1135م)، 1988م **ديوان عبد المجيد بن عبدون اليابري** (**الشعر والنثر) مع دراسة لأدبه**، إعـداد وتحقيق سليم التنير، دار الكتاب العربي، دمشق، ط1.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل(ت774هـ/1372م)، 1987م **قـصص الأنبيـاء**، تحقيق وتعليق عبد القادر أحمد عطا، دار الفكر، عمان، ط1.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(ت630هـ/1232م)،(د،ت) لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير ونخبة من المحققين، دار المعارف، بيروت.

ابن منقذ، أسامة بن مرشد بن علي (ت 584 هـ/1188م)، 1987م **البديع في نقد الشعر**، حققه وقدم له علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

امرؤ القيس،1958م **ديوان امرئ القيس**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر،(د، ط).

البطليوسي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد (ت 521 هـ/1127م)، 1986م **شروح سقط الزند**،4ق،تحقيق مصطفى السقا وعبد السلام هارون وآخرين، بإشراف طه حسين،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر، ط3.

بهنام, هدى شوكة،1984م **النقد الأدبي في كتاب نفح الطيب**, دار الرائد العربي, بيروت، ط2 .

الجزار السرقسطي،1988م، **روضة المْحاسن وعمدة المُحاسِن** (ديوان أبي بكر يحيى بن محمد وفصول من كتابه بادرة العصر وفائدة المِصِر)، تحقيق ودراسة منجد مصطفى، مطبعة المجمع العلمي العراقي،بغداد.

الحسن اليوسي، الحسن بن مسعود أبو علي نور الدين(ت1102هـ /1691م)، 1981 م **زهر الأكم في الأمثال والحكم**، 3ج، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1.

الحسين، أحمد جاسم،2000 م **الشعرية (قراءة في تجربة ابن المعتز العباسي)**، الأوائل للنشر والتوزيع، ط1.

حسين، عبد الرزاق, 1994 م **الأدب العربي في جزر البليار**، دار الجليل للنشر، عمان، ط1.

حسين، عبد القادر،1983م **فن البديع**، دار الشروق ، بيروت، ط1.

الحطيئة,جرول بن أوس العبسي(ت45هـ/665)،1987م **ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت**، تحقيق نعمان محمد أمين طه,مكتبة الخانجي،القاهرة,ط1.

الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن محمد بن حجة(ت 837 هـ/1433م)، 1997م **ثمرات الأوراق**، تحقيق وتعليق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت ،لبنان، ط3.

تتتتتتت

الحميدي, أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الأزدي (ت488 هـ/1095م)، 1966م
جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس, الدار المصرية للتأليف والترجمة.
الحميري , أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر (ت440 هـ/1048م), 1997م
البديع في فصل الربيع , حققه وقدم له: إبراهيم علـي الكـردي, دار سـعد الدين, دمشق, ط1.
الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المـنعم، (ت 723 هـ ـ/1323م)، 1984م
الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2.
حيدر, حسن,1998م **المجالس الشعرية في عـصر ملـوك الطوائـف**, رسـالة ماجستير, جامعة مؤتة.
خالص, صلاح, 1981م **أشبيلية في القرن الخامس عشر الهجري**, دار الثقافـة, بيروت.
الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبـة (ت276هـ ـ/889م)، 1958م
الشعر والشعراء، 2ج، تحقيق أحمد محمود شاكر،دار المعارف، القاهرة، (د،ط).
ديوان أبي ذؤيب الهذلي،1998م شرحه وقدم له ووضع فهارسة سوهام المصري, عني بمراجعتة ياسين الأيوبي, المكتب الإسلامي, بيروت, ط1.
الربيعي، أحمد حاجم،2001م **القصص القرآني في الشعر الأندلسي**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1.
الزمخشري, أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت 538هـ/1143م)، 1987م
المستقصى في أمثال العرب،2ج , دار الكتب العلمية، بيروت، ط2 .
السجستاني، أبو داوود سليمان بن الأشـعث الأزدي(ت275هـ ـ/888م)،1988م
سنن أبي داوود، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.
السجلماسي، أبو محمد القاسم الأنصاري،(من نقاد القـرن الثـامن الهجـري)
1980م، **المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع**، تقديم وتحقيـق عـلال الغازي،مكتبة المعارف، الرباط ،المغرب، ط1.

شلبي , سعد إسماعيل,(د،ت) البيئة الأندلسية في شعر عصر ملوك الطوائف , دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.

شلبي، سعد إسماعيل،1973م **دراسات أدبية في الشعر الأندلـسي**، دار نهـضة مصر للطبع والنشر، الفجالة،مصر.

الشيباني، أبو عبد الله (ت 241هـ/855م)، 1993م **مسند الإمـام أحمـد بـن حنبل**، 9ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط2 .

شيخة , جمعة , 1994م **الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي**, 2ج, تقـديم محمد الطالبي, المطبعة المغاربية للطباعة والنشر، تونس , ط1.

الصمادي , ساري علي, 1990م **ظاهرة الحزن في الشعر الأندلسي فـي القـرن الخامس** للهجرة, الجامعة الأردنية.

الضبي , أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت599هـ/1202م) 1967م **بغيـة الملتمس في تاريخ رجال أهل الأنـدلس** , دار الكاتـب العربـي ,القـاهرة ,(د,ط).

عباس, إحسان عباس وآخرون, 1978م **دراسات فـي الأدب الأندلـسي** , الـدار العربية للكتاب، ليبيا، ط2 .

عباس, إحسان, 1971م. **تاريخ الأدب الأندلسي** (عصر الطوائف والمرابطين), دار الثقافة بيروت، لبنان, ط2.

عتيق،عبد العزيز،1976م **الأدب العربي في الأنـدلس**، دار النهـضة العربيـة، بيروت.

علي، سلمى سلمان،1986م **المرأة في الشعر الأندلسي " عصر الطوائف** " رسالة جامعية، بغداد.

عيسى, فوزي سعد،(د،ت) **الهجاء في الأدب الأندلسي**, دار المعارف.

غرسية غومس, 1969 م **الشعر الأندلسي** (بحث في تطوره وخصائصه), ترجمة حسين مؤنس, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة, ط3 .

غريب , جورج،1983م **العرب في الأندلس** , دار الثقافة , بيروت ، لبنان، ط4.

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت 175هـ/791م)،(د،ت) **كتاب العين**، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

القرطاجني, أبو الحسن حازم (ت684 هـ/1285م)، 1981م **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**, تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة, دار الغرب الإسلامي, بيروت, ط2.

قناوي ,عبد العظيم علي, 1949م **الوصف في الشعر العربي**, مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر,ط1 .

القيسي, فايز, 1998م أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دار البشير,عمان، ط1.

القيسي, فايز, 2003 م دراسات في الأدب الأندلسي, مركز زايد للتراث والتاريخ, العين ، الإمارات العربية المتحدة, ط1.

الكيلاني, حلمي إبراهيم, 1998م ابن شرف القيرواني (حياته وأدبه), مؤسسة البلسم للنشر والتوزيع, عمان ،الأردن، ط1.

مؤلف أندلسي مجهول, 1979م **الحلل الموشية في الأخبار المراكشية**, تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامه, دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء, ط1.

المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين(ت 354هـ/965م)،(د،ت) **ديوان أبي الطيب المتنبي**، 2ج , بشرح العلام اللغوي عبد الرحمن البرقوقي , حقق النصوص وهذبها وعلق حواشيها وقدم لها الدكتور عمر فاروق الطباع, دار الأرقم بن أبي الأرقم , بيروت.

المراكشي, أبو محمد عبد الواحد بن التجيبي (ت647هـ/1249م)، 1994م **المعجب في تلخيص أخبار المغرب,** تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب, دار الفرجاني، القاهرة .

المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى (كان حياً عام 712هـ/1312م)، 1983م **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،**

تحقيق ومراجعة ج.س. كولان و إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيـروت، ط3.

المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت421 هـ/1030م)، 2002م **الأزمنة والأمكنة،** 2ج، حققه وعلق عليه محمد نايف الدليمي،عالم الكتـب، بيروت، لبنان، ط1.

المطلبي،عبد الجبار يوسف،1986م الشعراء نقاداً، دار الشؤون الثقافية العامـة ، بغداد، ط1.

مطلوب، أحمد، 2001 م معجم مصطلحات النقد العربي القـديم, مكتبـة لبنـان ناشرون, بيروت، ط1.

مطلوب، أحمد،1989م معجم النقد العربي القديم، 2ج، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1.

المعتمد بن عباد , أبو القاسم محمد بن عباد(ت488 هـ/1095م),1997م ديـوان المعتمد بن عباد ملك أشبيلية ,جمعه وحققه حامد عبد المجيد وأحمد بـدوي , راجعه طه حسين, مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.

المقري, أحمد بن محمد التلمساني (1041هـ/1631م)، 1968م نفح الطيب مـن غصن الأندلس الرطيب, 8ج, تحقيق إحسان عباس, دار صادر، بيروت.

الملائكة، نازك،1965م قضايا الشعر المعاصر، مكتبة النهضة، بغداد، ط2.

الميداني, أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري,(ت 518هـ ـ/1124م),(د،ت) مجمع الأمثال،2ج , تحقيق محمد محي الدين عبـد الحميـد , دار الفكـر، بيروت.

الهرامة, عبد الحميد عبدالله, 1999م القصيدة الأندلسية (خـلال القـرن الثـامن الهجري), 2ج , دار الكاتب ، طرابلس، ط2.

الوائلي، عبد الحكيم،2001م موسوعة شعراء الأندلس، دار أسامة للنشر والتوزيع – عمان، ط1.